ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

قصائد لها قصص مؤثرة 13

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

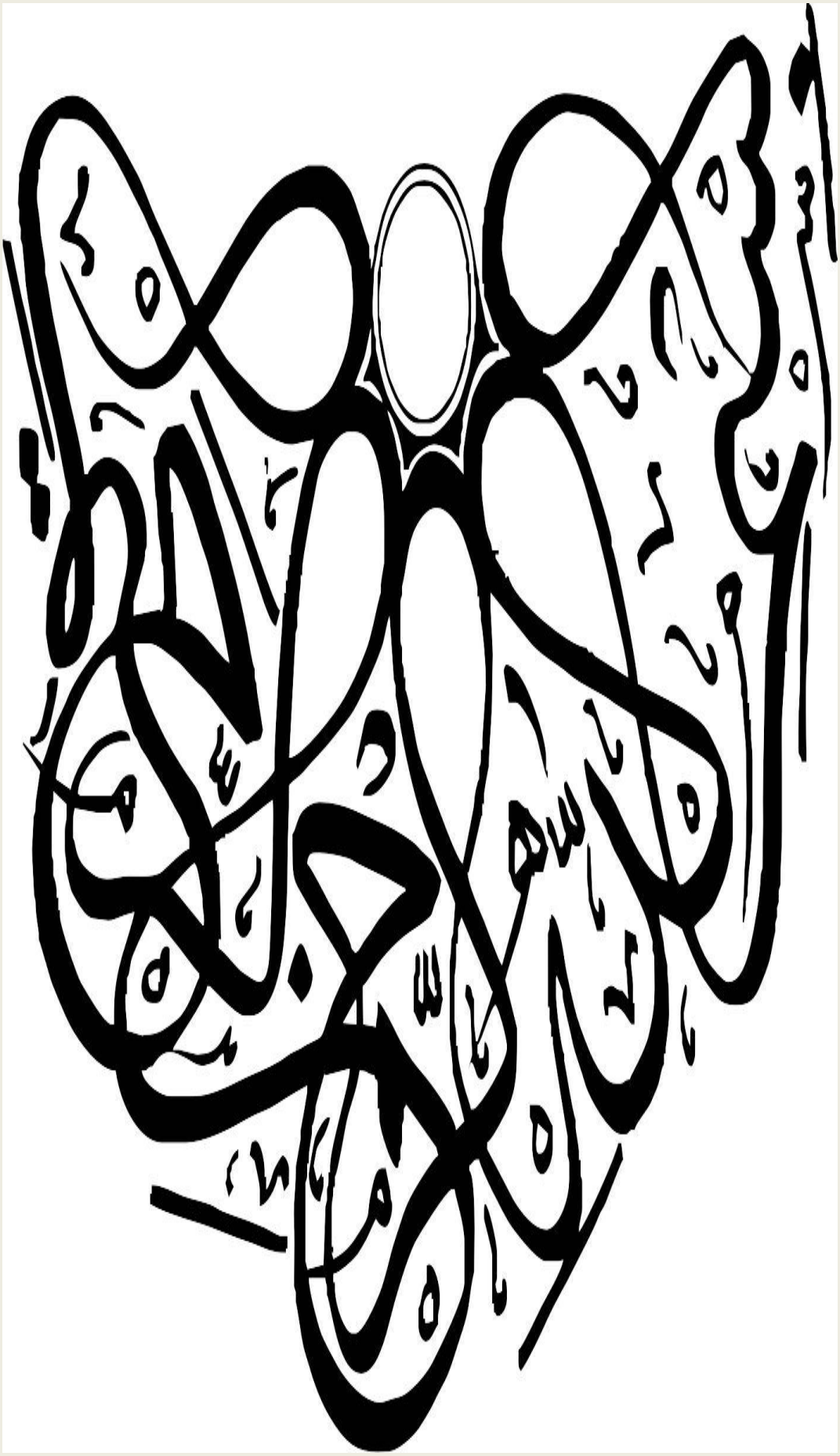

قصائد لها قصص مؤثرة 13

(ألا إن أجمل الأشعار ما كان منها يعبر عن قصة فيها عبرة ودرس!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

السم غير القاتل!

(ذات مرة تعبتْ امرأة جميلة شابة من حياتها الزوجية ، وأرادتْ قتل زوجها والتخلص منه! وفي الصباح توجهتْ إلى أمها ، وقالت لها: "يا أمي تعبتُ من زوجي ، ولم أعد قادرة على العيش معه ، أريد أن أقتله ، ولكن أخشى أن يُحَملني قانون الأرض المسؤولية ، هل يمكنكِ مساعدتي يا أمي؟" ، أجابت الأم: ماذا حدث منه لتقُدمي على هذا الصنيع الإجرامي؟! وتركتْها الأم تحكي كما يقول العوام: (في الخمر يا ليل)! فشرَّقتِ ابنتها وغرَّبتْ ، وحذفتْ وأضافتْ ، وشيطنته أي جعلت منه شيطاناً ، وملّكِتْ نفسها أي جعلتْ من نفسها ملاكاً! فأدركتِ الأم بفطرتها وحرصها أن ابنتها بالغتْ ولا شك! فقالت لها: يستحق زوجك هذا القتل ويمكنني مساعدتك ، ولكن ، هناك مهمة صغيرة تتكون من عدة عناصر! فسألت الابنة: أية مهمة تلك؟ أنا مستعدة لها جداً ، بل ومستعدة لبذل أية تكاليف أخرى للتخلص منه؟ قالت الأم حسناً:- أولاً: سيكون عليك أن تتصالحي معه ، حتى لا يشتبه فيك أحد عندما يموت! وثانياً:- سيكون عليك تجميل نفسك حتى تبدين شابة وجذابة بالنسبة له! وثالثاً:- عليك أن تعتني به جيداً ، وأن تكوني لطيفة جداً ومقدرة له ولأهله! ورابعاً:- يجب أن تكوني صبورة ومحبة وأقل غيرة ، وأن يكون لديك آذان أكثر استماعاً ، وأن تكوني أكثر احتراماً! وخامساً:- أنفقي دون إسراف ولا تغضبي ، حتى عندما يعطيك المال لأي شيء لا تسرفي أبداً! وسادساً:- لا ترفعي صوتك عليه ، وشجعي السلام والحب ، حتى لا يشتبه فيك أحد عندما يموت! هل يمكنك القيام بكل ذلك؟ نعم أستطيع. أجابت البنت! قالت الأم: حسناً ، خذي هذا المسحوق وضعي منه قليلاً جداً في وجبته اليومية الإفطار: (سندويتشات الجبن والبيض والفول والمشكل) ، سوف تقتله ببطء ، وذلك بعد أربعة أسابيع تقريباً! وبعد 30 يوم رجعت الفتاة لأمها مذعورة وقالت:- أمي ، ليس لدي أي نيةٍ لقتل زوجي أو التخلص منه مرة أخرى. الآن صرتُ أحبه لأنه تغير تماماً ، هو الآن زوجٌ لطيفٌ جداً أكثر مما تخيلت! ماذا يمكنني أن أفعل لإيقاف مفعول السم؟ أرجوك ساعديني يا أمي. دعت بنبرةٍ حزينة! أجابت الأم ؛ لا تقلقي يا ابنتي ، ما أعطيتك إياه في البداية ، كان مجرد ملح طعام عادي على هيئة مسحوق ، ولن يقتله أبداً! في الواقع ، كنتِ أنتِ السم الذي كان يقتل زوجك ببطء ، بالتوتر والخلاف والمشاكل! فعندما بدأت تحبينه وتكرمينه ، وتعتزي به رأيته يتغير إلى زوج وَدودٍ ولطيفٍ جداً ، واصلت الأم حديثها ؛ يا ابنتي الرجال ليسوا أشراراً حقاً ، ولكن طريقتنا في الارتباط بهم تُحدِّد استجاباتهم ومشاعرهم تجاهنا! إذا كنت تستطيعين إظهار الاحترام والتفاني والحب والرعاية والالتزام مع زوجك سيكون لك ومن أجلك! من أجل هذه القصة الطريفة كانت هذه القصيدة التي عنوانها منها وهو فيها: (السم غير القاتل)!)

أســـــدَيتِ نصـــــحَكِ طيِّـــــبَ الأفكـــــارِ ... فمضـــــى الرشـــــادُ بســـــيِّيء الأخطـــــارِ

يـــــا رَبـــــة الفهـــــم الصـــــحيح تحيـــــة ... مشـــــــفوعة بـــــــالود والإكبـــــــار

لمَّـــــا أتتْـــــكِ بُنيـــــة مقهـــــورة ... مـــــن صُـــــنع زوج ظـــــالم مكـــــار!

وســـــمعتِ منهـــــا دون قطـــــع حـــــديثها ... فاسترســـــلتْ فـــــي ذِكْـــــر كـــــل ضِـــــرار

صـــــدَمَتْكِ بالأخبـــــار صِـــــحَّتها فقـــــط ... عنـــــد المليـــــكِ الواحـــــد القهـــــار!

وكأنمـــــا الـــــزوجُ اســـــتباحَ ودادَهـــــا ... وطغـــــى عليهـــــا دون خـــــوف البـــــاري!

ذكرتْـــــه بالأوصـــــاف يُخجـــلُ ذِكْرُهـــــا ... وبـــــدون تقدمـــــةٍ ولا إنـــــذار!

عابثْـــــه فـــــي دِق الأمـــــور وجِلهـــــا! ... نعتثْـــــه بالمســـــتهتر المهـــــذار!

واســـتعظمتْ مـــا كـــان أنزلـــه بهـــا ... مـــن ســـييء الأحـــداث والأغيـــار

وأضـــافت الشـــيء الكثيـــر علـــى الـــذي ... جـــاء الحليـــلُ مِـــن الأذى والعـــار!

حتـــى اســـتغاثَ الكـــل مـــن أفعالـــه ... وأذاه طـــال الأهـــلَ قبـــل الجـــار!

والأم لـــم تُـــوغِرْ بقـــول صـــدرَها ... بـــل رحَّبـــت معهـــا بأخـــذ الثـــار!

مـــا كـــذبتْها فـــي الـــذي جهـــرَتْ بـــه ... كـــلا ، ولـــم تـــكُ فـــي الكـــلام تُمـــاري

بـــل ســـلمتْ بحـــديثها وبكائهـــا ... وشـــكاتها وبـــدمعها المِـــدرار!

وتظـــاهرتْ بالوَجـــد فـــي مأســـاتها ... ورَجَـــتْ ســـلامتها مـــن الأكـــدار!

هـــي أبـــدتِ التصـــديقَ رغـــم تزيُّـــدٍ ... أبدتْـــه نبـــرة كيـــدها المتـــواري

وتصـــنعتْ أن تســـتجيبَ لمطلـــب ... أملتْـــه طائفـــة مـــن الأفكـــار

لمَّـــا يُقِـــر بـــه مُعـــاقِر خمـــره ... كـــلا ، ولا هـــو مَطلـــبُ الخمـــار!

وزبـــائنُ الحانـــات مـــا نطقـــوا بـــه ... حاشـــا ، ولـــم يـــذكرْه أهـــلُ البـــار!

القتـــلُ أبشـــعُ مـــا يكـــونُ جريمـــة ... مهمـــا يكـــنْ مـــن طـــاريء الأعـــذار

إزهـــاقُ روح الـــزوج هـــل ذا منطـــقٌ؟! ... هـــل موتُـــه خيـــرٌ لأهـــل الـــدار؟!

لكـــنَّ أمَّـــاً فكـــرَتْ فـــي بنتهـــا ... وتعاطفـــتْ ، مِـــن أجـــل ذاك تُجـــاري!

مـــا جادلتْهـــا لحظـــة فيمـــا ارتـــأتْ ... كـــي لا تُحَـــرِّق بنتهـــا بالنـــار!

قالـــت: لـــديَّ السُّـــمُّ يُزهِـــقُ رُوحَـــه ... بقضـــاء رب النـــاس والأقـــدار!

لكـــن عليـــكِ ببـــرِّه وبـــوُدَّهِ ... لتكـــونيْ فـــي مَنـــأى عـــن الأنظـــار!

والملـــحَ أعطيـــتِ البُنيـــة خُدعـــة! ... وتلطفـــتْ زوجٌ بكـــل يَســـار!

وإذا المعاملـــة احتفـــتْ بوقارهـــا! ... يســـمو التعامُـــلُ عاليـــاً بوقـــار

وسَـــبتْ بإحســـان فـــؤادَ حليلهـــا ... لمَّـــا يعُـــدْ فـــي البيـــت بالجبـــار!

فـــإذا بـــه يُمســـي ويُصـــبحُ طيبـــاً ... لمَّـــا يَعُـــدْ بـــالمجرم الغـــدار!

يرعـــى الجـــوارَ ، ولـــيس يَخفـــرُ لحظـــة ... وهـــو الـــذي لـــم يَعتبـــرْ بجـــوار!

يحمـــي الـــذمارَ ، ولا يُهـــينُ حليلـــة ... يرجـــو ثـــوابَ الـــراحم الغفـــار

فأتتْـــكِ يَســـبقها ســـرورُ فؤادهـــا ... ودمـــوعُ عينيهـــا كمـــا الأنهـــار

والحـــزن يُلجـــمُ وجنتـــي غـــدَّارةٍ ... قتلـــتْ بـــرش الســـم فـــي الإفطـــار

فأرخْتِهـــا مـــن شـــر طارقـــة الأســـى ... وجهـــرتِ بالبُشـــرى بـــلا إضـــمار

وســـألتِ مـــاذا تطلبـــين أيـــا ابنتـــي ... أفشـــي إذن مـــا غـــابَ مـــن أســـرار

قالـــت: أريـــد الـــزوجَ حيـــاً ، إننـــي ... أصـــبحتُ أحســـبُه مـــن الأخيـــار!

أخشـــى أكـــونُ قتلتُـــه بترصُّـــدٍ ... مـــع ســـبق مـــا أخفيـــتُ مـــن إصـــرار!

فبـــذلتِ بُشـــرى للبُنيـــة أشـــرقتْ ... شمســـاً تُباغـــتْ ليلهـــا بنهـــار!

إذ قلـــتِ: لا لـــم تقتُليـــه أيـــا ابنتـــي ... فلتهنئنـــي بحلـــول الاستبشـــار!

لمَّـــا يكُـــنْ مســـحوقنا السُّـــمَّ الـــذي ... يُـــردي ، ويُنهـــي بـــاقيَ الأعمـــار!

بـــل كـــان مِلحـــاً لـــيس يَقتُـــلُ آكِـــلاً! ... هـــذي وربـــي خِيـــرة الأفكـــار!

السُّـــمُّ أنـــتِ إذا تعمَّـــدْتِ الأذى ... فـــأذاكِ يُعقِـــبُ شـــؤمَ كـــل خســـار!

السُّـــمُّ يـــأتي مِـــن نشـــوزكِ قـــاتلاً ... مُتوشـــحاً مَنظومـــة الأوزار

السُّـــمُّ إن عانـــدتِ دون مُبَـــرر ... والعِنـــدُ لـــيس طبيعـــة الأبـــرار

كـــوني لـــه أمَـــة لتســـبي قلبَـــه! ... فلكَـــمْ ســـبَتْ مُهـــجَ الرجـــال جَـــواري!

لا تُسْـــمِعيه مـــن الكـــلام قبيحَـــه! ... بـــل ناوليـــه القـــولَ كالأشـــعار!

أنـــا قـــد نصـــحتُكِ ، إنْ قبلـــتِ نصـــيحتي ... جَنبـــتِ نفسَـــكِ بُـــؤسَ كـــل شَـــنار

وعليـــكِ مِـــن رب الأنـــام ســـلامُه ... مـــا زارَ نحْـــلٌ مَشـــتلَ الأزهـــار!

الشعر لا يقتات به!

(كم سألني أولادي وأصدقائي والراسخون في معرفتي: ماذا استفدت من الشعر؟ كم عاد عليك من المال بشعرك؟ كم ربحت من المكاسب من الدواوين والأمسيات الشعرية وتحقيق الكتب؟ ولا أحري جواباً سوى: الأجر عند الله موفور ومدخر يا قوم! والشعر يا أحبابنا ليس مهنة ولا حرفة ، إنما هو رسالة! وكل شاعر تاجر بشعره ، خرج شعره متصنعاً متكلفاً في عمومه ، ليس يحمل رسالة ولا يصحح مساراً ولا ينقد واقعاً ولا يرسم صورة مثلى للحياة والأحياء! مقال للأستاذ عبد العزيز جويدة يقول فيه: (في كل لقاءٍ يَجمعُني بفصيل من الشعراء الشباب أقول لهم ، ومازلت أكرر مقولتي لهم ، بأن كتابة الشعر في العالم العربي ليست من مصادر الرزق ، ولكن الشعر لدينا من باب الترفيه ، وكل من راهنوا على أن يكون الشعر مصدر قوت يومهم ولقمة عيشهم خسروا خسارة فادحة ، وكرهوا الشعر ، وكرهوا الحياة ، وعاشوا وماتوا فقراء ، وأصبح الشعر مصدر تعاستهم وفقرهم! فلا تتعاملوا مع الشعر بمبدأ الوظيفة! فالذين كانوا أعظم منكم موهبة قتلهم الفقر وقتل موهبتهم! فالشعر يحتاج إلى من ينفق عليه ، مثل كل طيور الزينة. الشعر يحتاج إلى سقف لا نهائي من الحرية. وحرية الشاعر لا تتأتى إلا بالتحرر من قيوده المادية ، كي لا تذله الحاجة ويقهره العوز في هذا الزمن الصعب للغاية! ذلك لأنك لن تستطيع أن تُبدع وأنت جائع ، ولا وأنت رهين المحبسين: الفقر والمرض! والحرية المادية لها حدٌ أدنى ، إن لم يتوفر تُصبحُ حياة الشاعر كلها أزماتٍ متصلة! والشاعر المتأزم بصفةٍ مستمرةٍ يفقد ذاته شيئاً فشيئاً ، ويفقد شهية الكتابة ومتعة القراءة ، وتتصلب فيه شرايين الحب ، ويتقوقع ذاتياً ، ويزهد في مخالطة الناس ، لأن الفقر هو أسرع طريق للشيخوخة المبكرة للقلوب ، وعندما يشيخ القلب تتعطل الحواس ، وتصيب المبدع بلادة في الشعور ، وتتكرر صوره وكلماته وأوجاعه فلا جديد لديه ، لأن المَعين يَنضب والروافد تجف والمياه تغيض ، فيصبح الشاعر ناقماً على الحياة وكارهاً للجميع. وتذكروا دائماً مقولة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: (لو كان الفقر رجلاً لقتلته)! وإياك أيها الشاعر الشاب في لحظة ، أن تتوقع أن جائزة ما في مسابقةٍ ما ستُغنيك وتُؤمن مستقبلك! فعشراتٌ قبلك حصلوا على الجوائز ، ولم يبق منهم شيئٌ: لا الشعر ، ولا الجائزة! فعليك بالعمل والجد والاجتهاد والصبر ، والمواصلة في أي عمل شريفٍ تُحبه وتتكسب منه ، فمعظم الشعراء الشباب لا يعملون عملاً منتظماً بحجة أنهم يتفرغون للشعر! والحقيقة أنهم يجلسون على المقاهي ليل نهار يصبون جام غضبهم على الظروف والحظ ، ويوزعون أحقادهم على بقية شعراء جيلهم ، ويحددون من يستحق ومن لا يستحق ، ويظل كل منهم ينفخ في نفسه على الفاضي والمليان ، بأنه شاعرٌ لن يجود الزمان بمثله ، على أساس أن كلمة شاعر هذه جعلتْه من علماء وكالة ناسا الفضائية! يا سيدي إذا أردت أن يكون لك أسرة تُنفق عليها ، وأولادٌ تُعلمهم ، وحياة سوية مثل كل الأسوياء ، فعليك بالعمل من أجل هذا الحلم! وأوصيك بالعمل الشاق ، والتصميم على النجاح ، وتحقيق الهدف! وأما إذا كنت تتوقع أن شاعريتك مهما بلغت ستُحقق لك حد الكفاف من العيش نظيرَ مبيعات دواوينك ، فأنت مخطئ! وستدفع ثمن هذه الغيبوبة التي يجب أن تُفيق منها حالاً أيها الموهوم!) وتحت عنوان: (التكسب بالشعر) قال الشيخ المنجد ما نصه بتصرف:- (إذا كان أصل العمل مباحاً جاز التكسب به من حيث الأصل ، ولا ينتقل إلى الحُرمة أو الكراهة إلا لعارض! وقد نص الفقهاء رحمهم الله على أن حكم التكسب بالشعر فيه تفصيل! فإذا كان الشاعر يتكسب بالشعر من خلال إرهاب الناس بهجائه ، أو قدحه في أعراضهم ، وإنما أعطاه الناس أموالهم درءاً لشره وكفاً للسانه: فهذه الأموال المتحصلة هي من السحت الحرام! أما إذا كان شعراً مباحاً أو مندوباً ، وتحصَّل الشاعر على بعض المال بسبب شعره: فهذا لا حرج عليه فيه ولا بأس! عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَرْجِ ، إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ - لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا) رواه مسلم. وقال الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله: "إنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفعل مع هذا الشاعر ، لِمَا علمَ من حاله ، فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عُرف من حاله أنه قد اتَّخذ الشعر طريقًا للكسب ، فيُفرط في المدح إذا أعطي ، وفي الهجو والذمِّ إذا مُنع ، فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم". ولا خلاف في أن كل من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام ، وكل ما يقوله حرام عليه من ذلك ، ولا يحل الإصغاء إليه ، بل يجب الإنكار عليه ، فإنَّ لم يمكن ذلك: فمن خاف من لسانه تعيَّن عليه أن يداريه ما استطاع ، ويدافعه بما أمكن ، ولا يحل أن يعطيه شيئًا ابتداء ؛ لأنَّ ذلك عون على المعصية ، فإن لم يجد من ذلك بدًّا أعطاه بِنِيَّة وقاية العِرض ، فما وقى به المرء عرضَه كُتب له به صدقة". انتهى من المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم. ويقول أبو عبد الله القرطبي رحمه الله: قال ابن حبيب: "لا بأس بالإجارة على تعليم الشعر والرسائل وأيام العرب ، ويكره من الشعر ما فيه الخمر والخنا والهجاء". انتهى باختصار من الجامع لأحكام القرآن. وجاء في "رد المحتار" من كتب الحنفية: "ومن السُّحت ما يأخذه شاعرٌ لشعر ؛ لأنه إنما يدفع له عادة قطعاً للسانه. فلو كان ممن يؤمن شره فالظاهر أن ما يدفع له حلال ، بدليل دفعه عليه الصلاة والسلام بُردته لكعب لمَّا امتدحه بقصيدته المشهورة".) انتهى. وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله السؤال الآتي: هل يجوز التكسب من الشعر؟ فأجاب بقوله: "إذا كان الشعر مباحاً ، طيباً ، في مصالح المسلمين ، المؤلف يبيعه ويكتسب ، مثل: شعر في الآداب الشرعية ، شعر في الأحكام ، شعر في الصناعة المباحة ، ويبيعها ، فلا بأس ، مثلما تباع الكتب المؤلفة". انتهى. والناقد الأدبي الكبير الأستاذ نوار الماغوط يقول في هذا الصدد ما نصه بتصرف: (المعروف عن العرب في قديمهم الذي وصلنا ، أنهم أباة ، ويفضّلون الغزو والتجارة بل ويفضلون الغزو والموت على حالة الجوع. ولكن عوامل القحط وانصراف الناس إلى التجارة والغزو جعل هناك فرقاً بين الناس ، فمنهم من يملك الماشية ، ومنهم لا يمتلكون شيئاً سوى مهنة الرعي! وهنا نشأ أفراد يجود على الفقراء يُطلق عليهم صفة الكرم ، وفي المقابل نشأت جماعات استفادت من هذا الكرم وتغنّت به وشكرت صاحبه ، ثم تطور هذا الشكر بمرور الأيام إلى ما يُعرف بشعر المديح ، فبعد أن كان الشاعر يشكر الكريم لأنه مد إليه أو إلى جماعته يداً بيضاء ، أخذ يمدحه مقدمًا لينال من يديه ، وانقلب الشعر من الوفاء والشكر إلى المديح والاستجداء ، سواء مدح بما فيه من صفات إلى ما ليس فيه ، وتشكّلت ظاهرة ما يُعرف بشعراء التكسّب! وشعراء التكسّب في العصر الجاهلي. وبدأت مسيرة شعراء التكسّب بالنابغة الذبياني والأعشى ، وظهرت في أقبح صورها عند الحطيئة ثم انتظمت الآفاق ولا تكاد تلقي عصاها حتى يومنا هذا. فالنابغة تكسّب مالاً كثيراً من النعمان بن المنذر حتى كان أكله وشربه في صحاف من الذهب والفضة ، وقال في النعمان مدحاً لم يصل إليه شاعر من قبل وفضّله على كل الملوك. (فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكبُ)! وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنه أشعر العرب) ، ومع هذه المرتبة فقد حط هذا التكسّب من قدره. أما الأعشى فلم يُفرِّق في مدحه بين ملك وعربي وفارسي ، وفي سبيل ذلك كان نهماً في جمع المال ، ولم يتوان في سبيل ذلك عن المديح والهجاء معاً. ثم جاء من بعده الحطيئة ، ففتح المجال أمام الجميع ، ولا يُعدّ الحطيئة بفتحه هذا الباب واحداً من الشعراء المتكسّبين بالمدح أو الهجاء فحسب ، وإنما يعد رائداً من رواد شعراء التكسّب في نهاية العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي. ولننظر إلى شعراء التكسُّب في العهد الأموي:- لقد سار خلفاء بني أمية مسيرة الجاهليين من تشجيع للشعر والشعراء ، فكان لكل خليفة فريق من الشعراء

يكفيهم مؤونة عمرهم ، ولم يكتف الخلفاء بهذا ، بل أضافوا إليه جديداً هو استخدام الشعراء في الأمور السياسية ، ولعله لم يشذّ أحد عن هذه القاعدة إلا عمر بن عبد العزيز الذي كان يمنعه ورعُهُ وحرصه على مال المسلمين فلا يصرفه في غير حقه ، فلم يكن يستمع للشعراء المداحين له! أما بقية الخلفاء فقد كانوا يهبون بالمئات والألوف ، ولا يتورعون عن أن يهبوا أموال المسلمين إلى هؤلاء الشعراء الكذابين بالمدح والذم. ولننظر إلى شعراء التكسّب في العصر العباسي:- فنرى الخلفاء قد ورثوا ملك بني أمية ، وزادوا عليه ما اكتسبوه من الفرس ، فبعد أن كان العربي يأنف الخضوع لغير الله رأينا هؤلاء الشعراء يُقبلون الأرض التي يمشي عليها الخليفة أو يُقبلون يده التي تنبع منها المكرمات والأرزاق ، وحدَث مرةً أن أحدهم قبّل حافر الحمار الذي كان يركب عليه هارون الرشيد رحمه الله! ويعد بشار بن برد على رأس الشعراء الذين يتكسب بمدحه وذمه معاً ، ويرى أن الهجاء أوفر كسباً من المديح! وكذلك كان أبو العتاهية وهو من أحرص الناس على جمع المال ، وقد بلغ به التذلل مبلغاً جعله يتمنى لو جعل من خده نعلاً لحذاء الخليفة! فماذا عن أبي تمام والبحتري والمتنبي؟! لم يشتهر من الشعراء أحد شهرة أبي تمام والبحتري والمتنبي ، فقد كان أبو تمام متكسّباً بشعره سائلاً به ، وأما البحتري فقد بدأ حياته بمدح الباعة ثم ارتفع إلى مرتبة مدح الأمراء والوزراء والملوك. أما المتنبي ، فقد ثأر لنفسه وللشعراء فاشترط أن يمتدح وهو جالس على خلاف ما اعتاد الشعراء أن يمدحوا الأمراء وهم وقوف ، وكان المتنبي يتخذ من شعره مجالاً يتحدث به عن نفسه في أثناء مدحه الآخرين! فماذا عن تجارة الشعر والشعراء التجار؟! لقد أصبح الشعر تجارة ، وأصبح الشعراء تجاراً يعرضون أنفسهم على من يزيد ويمدهم أصحاب المال لمدحهم أو لذم عدوهم وأصبح الشعراء يوصفون – للأسف - بباعة الشعر! ولقد قلّد الشعراء في عصور انحطاط الأدب سلفهم الصالح والطالح معاً ، وهبطوا إلى درك الشحاذين ورضوا لأنفسهم العبودية والذل ، وأصبحت كلمة العبودية وخدمة أعتاب أسيادهم وغير أسيادهم من أبرز الصفات التي رضوها على أنفسهم! فإذا كان هذا حال "شعرائنا العظام" الذين تتلألأ شهرتهم في سماء مجدنا الأدبي ، فما هو حال شعرائنا في الزمن المعاصر؟! تمر السنوات والعقود والقرون ، والأدب العربي يترنّح تحت أثقال التقليد وفقد جذالته ، والملوك ما زالوا هم الملوك ، والشعراء ما زالوا هم الشعراء ، نراهم مدّاحين مكتسبين ، حتى أطلّ القرن العشرين وأطل معه شعراء لم يغادروا من متردم ، ورأينا زعيم النهضة الشعرية محمود سامي البارودي يصوغ المدائح في الخديوي ، وحافظ إبراهيم في عزيز مصر وخليفة المسلمين. يُسخّرون الشعر لمدح الزعماء الذين يتعيشون في أكنافهم ، وحتى أمير الشعراء أحمد شوقي رضي لنفسه أن يكون شاعر الأمير. وهكذا اختلط التكسّب بالفن والحاجة بالإبداع ، فخسر الشعر العربي روائع كثيرة ، ليعيش بعض الشعراء في بحبوحةٍ وهناء ، ومن نأى عن التزلف إلى الملوك لعزة نفسه عاش رهين المحبسين ، كما فعل المعري واضطر إلى أكل الحشيش. وإذن فلا شاعر عظيم في بلادنا! وهذه وصمة عار في أدبنا العربي تلحق بالملوك والرعية على حد سواء ، وتلقي بلومها الأكبر على الشعراء ، فقد كان من الممكن أن يتخذوا لهم حرفة يتعيشون منها ، ويتركوا للشعر عزّته ورفعته ولا يدنسوه بمطامعهم وشهواتهم! ولا يزال في عصرنا للخلفاء خلفاء ، وللشعراء خلفاء أيضاً ، وما زالت المدائح تُتلى في البلاط وفي المجالس والنوادي الثقافية والمنتديات والأمسيات الشعرية وخوان "شاعر المليون" وبلاط "أمير الشعراء" ، وفقد الشعر هيبته وفقد سويّته الفنية العالية ، وبقي الشعراء الرديئون الذين يفتقرون للموهبة الشعرية والسوية الإبداعية! وحفنة من المتسللين إلى الصحافة ، يستثمرون ثقافة العلاقات العامة على حساب غيرهم من المبدعين الذي تظل بضاعتهم كاسدة لا تجد من يسألهم عنها! فالشعراء الرديئون هم الأوفر حظاً في الظهور وفي احتلال مساحات ليست لهم ، وفي المقابل نجد الشاعر الحقيقي

يتوارى خجلاً من فوضى المشهد وخزيه ويفضّل الغياب على المجابهة التي لن يخرج منها سالماً! وهناك شعراء عظام كرام لهم استثناء في الشعر العربي! فبعض الشعراء احتفظوا بكرامتهم ، ولم يريقوا ماء وجوههم بالسؤال ، كما هو شأن عمر بن أبي ربيعة وأبي فراس الحمداني والرصافي والإمام الشافعي وغيرهم ، ويتميز شعرُهم أنه لم يكن يُقصد منه التكسُّب أو التقرب إلى أصحاب المال والجاه والسلطان ، بل كان شعرُهم في أغلبه يتناول الحكمة ، ولذلك انتشر شعرهم بين الناس ، ولا يزال شعرهم متداولاً حتى الآن ، وصارت بعض أبياتهم أمثالاً يتداولها الناس في حياتهم اليومية).هـ. وأشكر أديبنا الناقد الماغوط على ما تفضل به ، وأزيده من الشعر بيتاً فأقول بأن شعراء القيم العِظام العِزاز في زماننا المعاصر ، أصبح معظمهم نهباً لدور النشر والطباعة والتوزيع التي أصبح معظم أصحابها كالأوابد ، فللشاعر السهر والنصب والكتابة والإبداع ، وللأوابد هؤلاء المكسب والربح ، وحجتهم قديمة جديدة وجاهزة معلبة: (الناس لم يشتروا الكتاب) وسوف نصفي دوراتنا التوزيعية ، ولك الخيار يا شاعرنا في تجديدها أو الكف! فإذا اختار الكف حصل على نصف كمية الكتاب! وأين ذهب النصف الآخر؟ فيقولون: تلفيات وإهداءات للترويج ودعاية وإعلانات! وإذا تركنا هذه الساحة ، فلنذهب لساحة (الميديا) والتي الحسنة الوحيدة فيها للشاعر هي نشرُ شعره إليكترونياً! ولكن بلا مقابل كذلك! وفي هذا المضمار ظهر شحيط ومحيط ونطاط الحيط من المستشعرين والمتشاعرين المرتزقة ، الذين جمعوا إلى ضحالة فهمهم وتصوراتهم الكتابة الركيكة وأغلبها بالعامية! الأمر الذي أتى على حساب اللغة العربية وشعرها المحترم! وحدث ولا حرج عن الألقاب اللماعة: (الأعجوبة – الهويس – ملك الشعر – متنبي زمانه – زهير عصره – فرزدق الشام - شوقي الزمان والمكان – عنترة القريض) وغير ذلك! والله يشهد إنهم لا يستحقون لفظ الشعراء! فالشعر بريء منهم وهم بُرآء منه ، براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليهما سلام الله تعالى! والآن لنتابع ما منَّ الله تعالى علينا به في هذا الصدد!)

أتُزيلُ جوعَك يا سفيهُ قوافي؟! أيُبَلِّغ التقصيدُ حَدَّ كَفافِ؟!

أيُحَقِّقُ الآمالَ شِعرٌ صُغتَه بدم الفؤاد ومَدمع ذرَّاف؟!

أيُقِيلُ عَيشَك مِن عَثار مُدْقِع شِعرٌ تجلببَ بالجلال الضافي؟!

هل يَجلِبُ الأقواتَ شِعرٌ ثائرٌ أبداً على التجويع والإجحاف؟!

أيُعيدُ حقاً بالقصائد أفصَحَتْ عن كل خير في الضمائر خافي؟!

أو كل حق في القلوب مُطلسمٌ والرمزُ حوَّله رَويَّ القافي؟!

الشعرُ في الماضي سَبيلٌ للغِنى ووسيلة للكسب بالآلاف!

بالأمس كان الشعرُ دربَ سعادةٍ وعلى الكلام مُوافقٌ ومُنافي

لكنه التاريخ يَشهدُ بالذي دونتُ بالنص الصريح الصافي

أن القريض هناك أغنى أهله وأعاشَ في عِز وفي استشراف!

وعلـــــى الكـــــلام أدلـــــة مَبســـــوطة ... بشـــــهادة الماضـــــين والأســـــلاف

فتكســـــبَ الشـــــعراءُ بالشـــــعر الـــــذي ... قـــد أنشـــدوا فـــي حضـــرة الأشـــراف!

كـــــان اســـــتماعٌ واهتمـــــامٌ ، فاســـــتمى ... شِـــعرٌ زهـــا فـــي سُـــؤددٍ وطِـــراف

فقصـــــيدة تُتلـــــى ، فيَســـــطعُ نجمُهـــــا ... ويُجيزُهـــــا مَـــــولى ، وبعـــــدُ يُكـــــافي!

وقصـــــيدة تلقـــــى علـــــى مُتشـــــوق ... فتُثيـــــرُ فيـــــه مكـــــامنَ الأطيـــــاف

فيُجـــلُّ شـــاعرَها ، ويُمعِـــنُ فـــي العطـــا ... لا يُلجـــيء المُلقِـــي إلـــى اســـتعطاف!

كانـــت لـــنظم الشـــعر أعظـــمُ قِيمـــة ... فـــي أهـــل تطريـــب وأهـــل قـــوافي

وتفيـــأ الشـــعراءُ أشـــرفَ مَجـــدِهم ... إذ حققـــوا مـــا كـــان مـــن أهـــداف

فالشـــعرُ ديـــوانُ الحيـــاة وضِـــدِّها ... والشـــعرُ دربُ النـــاس للإيـــلاف!

والشـــعرُ آلـــتُهم لإشـــعال الـــوغى ... إذ يـــنفخ الثـــاراتِ فـــي الأســـياف

والشـــعرُ عُـــدَّتُهم لنشـــر فضـــائل ... تغشـــى الحواضـــرَ ، أو تجـــوسُ فيـــافي

والشـــعرُ مَـــنهجُهم لإرســـاء الإخـــا ... بـــين الـــورى بترفـــع وعفـــاف!

بالشـــعر تنـــدلعُ الحـــروبُ ، فيكتـــوي ... بســـعيرها قـــومٌ بكـــل تَجـــافي!

ويُبـــادُ قـــومٌ أبريـــاءُ تشـــفياً ... مِـــن آخـــرين أتَـــوْا بســـوء خِـــلاف

وتـــزولُ أرواحٌ ليَحصـــدَها الفنـــا ... ويَبـــوءُ مَـــن قتِلـــوا بالاســـتخفاف!

بالشـــعر تبتسِـــمُ الحيـــاة ، فـــلا تـــرى ... حِلفـــاً يُصـــارعُ بـــاقيَ الأحـــلاف!

بالشـــعر تُشـــرقُ شـــمسُ سِـــلم وادع ... فالأقويـــاءُ ترفقـــوا بضِـــعاف

بالشـــعر تنعقِـــدُ الصُّـــلوحُ علـــى المَـــلا ... والكـــل تحـــت مَظلـــة الإنصـــاف!

الشـــعرُ فـــي جُـــلِّ الأمـــور رفـــيقُهم ... ويُمـــدُّهم بـــالعزم والألطـــاف

والقـــومُ فيـــه فمُكثِـــرٌ أشـــعارَه! ... حتـــى طغـــتْ كالوابـــل الغـــرَّاف!

وسِـــواهُ – واأســـفى – مُقِـــلٌّ شِـــعرَه ... فـــيهم كطـــلٍّ جـــاء بعـــد نفـــاف!

واليـــوم أيـــن الشـــعرُ؟! أيـــن رُواتُـــه؟! ... أمســـى يُكابـــدُ كبـــوة الإســـفاف

ضـــــاعتْ قضـــــيته ، وخـــــابَ دِفاعُهـــــا! مـــــا نفـــــعُ تشـــــجيع وطـــــولِ هتـــــاف؟!

والحكـــمُ أصـــدرَه القضـــاة ، فلـــيس مِـــن نقـــض لِمـــا حكمـــوا ، ولا اســـتئناف

والســـــاحة امـــــتلأتْ بقـــــوم جُهَّـــــل يَستشـــــعرون بســـــيئ الأوصـــــاف

تَخِـــذوا القـــريضَ مَطِيـــة لتـــربُّح والـــبعضُ بـــالنص الرَّقيـــع يُـــوافي

والـــبعضُ فـــي لغـــة المَصـــاطب قـــابعٌ والـــبعضُ آثـــرَ لهجـــة الأجـــلاف

لمَّـــا يعُـــدْ ذوقٌ يُحِـــسُّ ويَصـــطفي ويُقـــيِّمُ الشَّـــعَرا ، وبعـــدُ يُصـــافي!

يـــا قـــوم ضـــجَّ الشـــعرُ مِـــن دعَـــواتكم لا تجرحـــوا الإحســـاسَ باســـتظراف

لمَّـــا يعُـــدْ للشِّـــعر ســـابقُ عهـــده مِـــن طيِّـــب الغايـــات والأهـــداف

مَـــن ظـــن أن الشِّـــعرَ مصـــدرُ رزقـــه فـــالظنُّ خـــابَ ، وخـــابَ عبـــدٌ غـــافي!

إلا إذا نـــــاجى الغـــــوانيَ عابثـــــاً وأوى إلـــــى الســـــيقان والأرداف

ودعـــا إلـــى الـــرجس المَقِيـــت صـــراحة وأثـــارَ شـــهْوات الشـــباب (الفـــافي)!

وأتـــى بليلـــى ، واســـتباحَ جمالهـــا حتـــى يُهِـــيجَ غرائـــز الأضـــياف

واســـتعذبَ الفســـقَ الحقيـــرَ صـــراحة وتنـــاولَ القسَـــماتِ بالإرهـــاف

لمَّـــا يَخـــفْ ربـــاً ، ولـــم يَعبـــأ بمـــا قـــد جاءنـــا فـــي ســـورة (الأحقـــاف)!

وأشـــاحَ بالوجـــه المُجـــافي للهُـــدى لـــم يتـــلُ مِـــن (هـــودٍ) ، ولا (الأعـــراف)!

يومـــاً مصـــيرَ مجـــاهر بضـــلاله ربِّ اكفنـــا مِـــن هولـــه يـــا كـــافي

وأنـــا الـــذي عُوفيـــتُ مِـــن هـــذا الخنـــا ســـبحان مَـــن يُـــؤتي الهُـــدى ، ويُعـــافي!

لمَّـــا أرِدْ بالشـــعر خيـــراً عـــاجلاً لأخـــط مـــا يَقلـــو الهُـــدى ويُجـــافي

مَرَضـــاً أراه ، ولا عـــلاجَ يُزيلـــه إلا الـــذي شـــرعَ الطبيـــبُ الشـــافي

المعروف لا يضيع!

(أحد المسافرين رأى شاباً غضاً ممددًا على سيارته غائبًا عن شعوره لا يرى عليه أثرًا لحادث أو سببًا مباشرًا لهذه الحال ، لم يتح لنفسه كثيرًا من التساؤلات ، بل قطعها بإغاثة هذا المسكين ، فما أن أمسكه بيده حتى أحس بحركةٍ بطيئةٍ في يدي هذا الشاب ، يشير بيديه إلى أنفه وفمه ، مبينًا له بذلك أنه لم يعد له نفس يعيش به ، فرح صانع المعروف بحياته ، وأحس بأن الله أرسله إليه لينقذه على يده تحرك بسرعة لأخذه إلى طبيب حاذق في شأن أمراض الصدر بمدينةٍ قريبة ، متكفلاً بكل المصاريف المهنية والعلاجية والدوائية لهذا المريض حتى يشفيه الله تعالى! فما إن وصَل إلى هناك قام الطبيب بالأمانة المُلقاة على عاتقه خير قيام ، وصانع المعروف واقفٌ على رأسه ، يرقب ذلك النفس المتقطع والصدر المتحشرج نسي سفره الذي خرج من أجله وترك الدنيا من ورائه ، وأقبل على إنقاذ روح كادت أن تفارق صاحبها ، ليُعيدها بأمرِ الله إليه ، لا لمعرفةٍ سابقةٍ ، ولا لمصلحةٍ دنيويةٍ لاحقة ، ولا لأنساب أو مصاهرة بينهما! إنما فقط حب صنيع المعروف الذي أكرمه الله به ، وما زال كذلك يرقب الشاب بعينيه ، ويحيطه برعايته ، ويلهج لسانه بالدعاء له ، أن يمُن الله عليه بالشفاء ، ويعيده إلى الحياة ، وشيئًا فشيئًا حتى سمع الأنفاس تتراجع ، والأزمة تِخف ، والأطراف تتحرك ، وبدأ نور العينين يخفق ببصيص من الحياة ، وصانع المعروف يحدق في وجه الطبيب يبحث عن الأمل في وجهه يتلمس ابتسامة النجاة على ثغره ، وبدأت الحياة تدب في أوصال ذلك الشاب ، وبدأت أسارير وجه الطبيب تتهلل بشرًا ، وتبشر بالحياة من جديد ، حينها تعرّف صانع المعروف على هاتف منزل أهل المصاب من المصاب نفسه ، واختفى من المستشفى حتى لا يتعرف عليه أحد ، وذهب ليتم معروفه بنجاح وحكمةٍ ليتصل على أهل المصاب ، فأخبرهم خبر ابنهم ومكانه. ولكن: من أنت أيها المتحدث؟ من أنت وفقك الله؟ من أنت يا صانع المعروف؟! أخبرنا باسمك ، دعنا نحدِّث الناس بشهامتك ، دعنا نصف للناس معروفك ، دعنا نردُّ لك شيئًا من جميلك ، وأي جميل يمكن أن يُرد لمثلك وقد كنت سببًا في رد الحياة إلى ابننا بإذن ربه سبحانه! أما لنا نصيب من إكرامك ، والإحسان إليك؟ فكان رده: أنا فاعل خير. فقط. كلمتان أجاب بهما صانع المعروف محتسبًا أجره عند الله الرحمن الرحيم ، ألا بوركت يا صاحب الخير كفاك الله شر مطارق السوء ، وسددت على الخير خطاك ، وحفظك الله من كل سوء ورعاك ، وبارك لك في صحتك ، وحياتك ، وذريتك ، وجعل الجنة مأوانا ومأواك. ينبغي على المسلم أن لا يتردد أن يقضي حاجة لأخيه ، ولو على حساب وقته أو جهده! إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ). رواه البخاري. ويقول كذلك: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء). رواه الطبراني وهو حديث حسن. ويقول كذلك: (وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ). متفق عليه!) وجاء في مدونة "فضاء الأطلس المتوسط" /آزرو ، وتحت عنوان: (المروءة تُولد مع ذويها) قال الأستاذ محمد عبيد ما نصه بتصرف يسير: (الشرف يكتسب من الواقع ، بحكم التفاعل مع مختلف المكونات الثقافية ، التي تزود المجتمع بنبل القيم ، التي ترفع مستوى الأفراد إلى درجة الشرفاء ، الذين يعتز بهم الشعب ، ويعتز بهم الوطن. أليست الشروط الموضوعية ، والذاتية ، التي يعيشها الإنسان ، أي إنسان ، ومهما كان هذا الإنسان ، هي التي تتحكم في تحديد ما يكونه الإنسان: شريفاً ، أو غير شريف ، حريصاً على إشاعة الشرف في المجتمع ، أو غير حريص عليه؟ ولماذا نجد أن الشرفاء منعدمون بين العاملين في الإدارات العمومية ، ولا يتواجدون فيها إلا نادراً؟ أعتقد أن

الشرف يولد مع الإنسان. فلا يمكن أن لا تعتبر الرضيع شريفاً. لكن سيتنازل عن هذه القيمة الاجتماعية أو يتشبث بها حسب مختلف الشروط التي ذكرت. إن الإنسان الذي لا يُقاوم أو لا يرفض أو لا ينقد أو لا يحتج أو لا يطمح. إن هذا الإنسان فاقد المستويات. إنه إنسان بلا تفاسير الإنسان .فالناس معادن ، فكما أن المعادن لا تخرج إلا بالتنقيب عنها من داخل الأرض. فكذلك البشر لا يُعرَفون إلا بالتنقيب عن طرق التجريب. صحيحٌ قد يكون مظهر بعضهم غيرَ مرغوبٍ فيه ، ولا مرضي ، وإن كان الجمال مطلباً لكل إنسان ، والله جميلٌ يحب الجمال ، إلا أنه قد تتغلب بعض الظروف على بعضهم فيكون هذا حاله ، وهذه طبيعته. ولكنَّه يحمل في جوفه قلباً أبيضَ ، ونية صافية أصفى من الماء ، وسريرة بينه وبين الله ، تُستجابُ بها دعوته. وكما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: "ربَّ أشعثَ أغبر ذي طمرينِ مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه". (أو كما في الحديث). والقلوب التي في الصدور كالجواهر المكنونة ، التي لا تعرف قيمتها إلا إذا أخرجتْ من مَكنونها ، فالمَظهر ليس بدليلٍ قطعي على المَخبر. وقيمة الناس عند الله بالقلوب لا بالمظاهر والأجسام. وكما في الحديث: "إن الله لا ينظرُ إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ، ولكن ينظرُ إلى قلوبكم". والعجيب أن القلوب هي الميزان عند الله في الدنيا. ويوم القيامة لا يدخل الجنة إلا صاحب القلب السليم ، كما قال عز وجل: "يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم). فالناسُ لا تُعرف إلا عند الضيق ، والحاجة ، والمِحن ، والشدائد ، وعند الكروب والحروب! فلا يَغرنك لمعان البرق حتى يمطر. ولا هتان المطر حتى يسيل. فكم من مليح فصيح كاذب؟! ومن كسير الثنيتينِ دليع اللسان صادق؟! والمخادعون بمظاهرهم كثيرون. لا يعرفون إلا وقت الخذلان على نهج ابن أبيّ. وعندها تنكشف الحقيقة ويعرف الصادق من الكاذب).هـ. يقول الدكتور فيصل الحليبي في كتابه: (حدائق المعروف) ما نصه: (إن فضل الله كبير فهو القائل: {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} ، فلنبحث عن طرقه ومواطنه ، وإن من أجل مواطنه الإنفاق على الأهل والأقارب بنية القربة إلى الله تعالى ، فهذه أم سلمة رضي الله عنها تأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتقول له: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هَكَذَا وَهَكَذَا إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ؟ قَالَ: نَعَمْ لَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ). رواه البخاري. وهل يخلو يوم لا ننفق فيه على أزواجنا وأولادنا؟! غير أن الأمر يحتاج إلى احتساب وطلب أجر من رب العالمين ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ). رواه البخاري. فإن كتب الله لك البركة في رزقك فلا تبخل على نفسك وإخوانك في بلدك وخارجه من نفقة مباركة قليلة أو كثيرة! أما قليلة ، فتذكرني بما ذكره لي أحد أئمة المساجد من أنه كان يعظم في أحد عمال النظافة المساكين سرعة استجابته لنداء الإنفاق في سبيل الله ، فإنه مع ضعفه ومسكنته كان لا يتردد عن ذلك ، بل كان كل مرة يبذل نصف ريال أو قريبًا منه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً! نصف ريال فقط! انتبه أن تقع في نفسك موقع الاحتقار ، فإن لها عند الله بإذنه شأنًا عظيمًا ، أتعلم لماذا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ). رواه البخاري. إنه نصف ريال فقط . لكنه ربما تحوّل إلى وقايةٍ عاصمةٍ بإذن الله من نار السعير ، ألا تذكر معي قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا النار ولو بشق تمرة). متفق عليه. ولندلف معًا إلى إحدى جهات الخير لنشاهد هذا المنظر السخي: صبي في ليلة العيد يقدِّم للموظف المسؤول عن جمع التبرعات مبلغًا قدره مائتا ريال تقريباً ، وعمره لا يتجاوز العاشرة ، فسأله متعجبًا منه: من أين لك هذا المبلغ؟ وماذا تريد أن نصنع به؟ فأجاب: إنه

مبلغ أعطاني إياه والدي لأشتري به كسوة العيد ، وإني أريد أن يشتري به أحد أيتام المسلمين ثياباً له في العيد جديدة ، أما أنا فتكفيني هذه الثياب التي أرتديها! ألا سقى الله هذا البيت الذي ترعرعت فيه ونشأت بين أكنافه يا بني ، وجعلك له قرة عين في الدنيا والآخرة).هـ. وعَودٌ إلى بطل قصيدتنا صانع المعروف الذي أدى معروفه على خير وجه ، محتسباً على الله تعالى بذله وإنفاقه ، مختفياً من المَشهد حتى لا يعرفه أحد لندرك أن المعروف لا يضيع أجره عند الله وإن ضاع عند الناس!)

صَـــــنيعُك للعُـــــرف مـــــا أمْلحَـــــهْ! وأنعِـــــمْ بتجرتـــــك المُربحـــــة!

بـــــذلت الخيـــــورَ لأصـــــحابها وراعيـــــت مـــــا تقتضـــــي المَصـــــلحة

ولـــــم تـــــرجُ مـــــدحاً تـــــدِلُّ بـــــهِ ولـــــم تـــــرجُ شـــــكراً ولا أوشِـــــحة

وقمـــــت بمـــــا قمـــــت مُســـــتروحاً أريجـــــاً ، وغيـــــرُك مـــــا اســـــتروحه

وعنـــــه سُـــــئِلت فلمَّـــــا تُجـــــبْ وكنـــــت توَرَّعـــــت أن تشـــــرحه

وعَـــــز الجـــــوابُ علـــــى ســـــائل فصـــــاغ الســـــؤالَ بـــــلا وَحوحـــــة

وخِفـــــت ضـــــياعَ الثـــــواب الـــــذي تمنيـــــت بالهمـــــة المُفلحـــــة

وأجـــــرُك عنـــــد المليـــــك غـــــداً ويومـــــاً ســـــتهتفُ مـــــا أملحـــــه!

صـــــنائعُ عُـــــرف الفتـــــى جُنـــــة عـــــن الخيـــــر يَلحقـــــه مُفصِـــــحة!

تقِيـــــهِ المصـــــائبَ إنْ أقبلـــــتْ وكانـــــت لهـــــا فـــــي الـــــورى مَســـــلحة

وترفـــــعُ ذاتـــــك إن جُنـــــدِلتْ وأضـــــحتْ بمـــــا ســـــاءها مُقمَحـــــة

جهـــــادٌ مـــــع الـــــنفس مُستبســـــلٌ وســـــعيٌ إلـــــى الخيـــــر مـــــا أربحـــــه!

وبـــــابٌ لتحقيـــــق مـــــا يَشـــــتهي فـــــؤادٌ يُنـــــاجي بهـــــا مَطمحـــــه

وأقـــــوى ســـــلاح لشـــــحذ التقـــــى يَفـــــوقُ بإخلاصـــــه الأســـــلحة

وتحيـــــا المُـــــروءة مَشـــــكورة وتزهـــــو بأفعالهـــــا المُفرحـــــة

وأكـــــرمْ بأهـــــل العطـــــاء لهـــــم نفـــــوسٌ لمَـــــن حـــــولهم مُصـــــلحة

ولا يرعـــــوون لأهـــــل الهـــــوى ولا يَصـــــحبون ذوي الأرجحـــــة

ومعـــــروفهم عنـــــد رب الســـــما ومـــــا عنـــــد ربـــــك مـــــا أربحـــــه!

الوريثُ الوحيد!

(إنه عندما يوجدُ في عائلةٍ ما يتيم ، فإنه يتعينُ على ذوي قرابته أن يُكمِلوا مسيرة أبيه ، ولا يُشعرونه يوماً بأنه في هذه الحياة وحده ، يتلظى بنيرانها ويواجهُ بلاءاتِها! أما أن يكونَ اليتيمُ نهباً للسِّباع والضواري من بني البشر ، فهذا لا يُقِرهُ عَقلٌ ولا شَرع! ويتيمُ قصيدتنا أو (الوريث الوحيد) هو يتيمٌ لأب مُوفق صالح ، كان قد توفاه الله تعالى وابنه الوحيد في شهره الخامس! ومن رحمة الله تعالى به وبأمه أن ترك عائلهما لهما إرثاً عظيماً يكفيهما ويفيض عن حاجتهما! وهو عبارة عن مجموعة شركات منتجات الألبان مَحلية وعالمية! ولأنه كان رجلاً طيباً محسناً ، لم يكن يبخلُ على أبيه وأمه وأخيه الوحيد وأخته الوحيدة! بل أغدقَ عليهم بالخيرات ، الأمرُ الذي جعل أمواله تتكاثرُ تكاثرَ الدود كما يقولون! وبعد أن اكتملتْ مراسيمُ الغسل والتكفين والصلاة والدفن والعزاء! وبعد فترة الإحداد بشهر ، جاء أخوه الوحيد ، ذلك العم العجيب إلى بيت أخيه ، وقال لزوجة أخيه: يا بنت الحلال ، لن تستطيعي إدارة شركات أخي وحدك ، وسوف أقومُ بهذا نيابة عنك! فوافقتْ وعملتْ له توكيلاً عاماً ليباشر عمله في الشركات ، بناءً عن طلبه! وبيتتِ المرأةُ حُسنَ النية ، فلم تُخوِّن هذا الرجل ، وتوسمتْ فيه خيراً في أن يرد جميلَ أخيه عليه وعلى عائلته! فواعدَها وأعطاها عهدَ الله وميثاقه أن يكون وفياً ، وأن يُطلعها على مُجريات الأمور أولاً بأول! ولكن للأسف ، لم ينفذ مما قال شيئاً ، بل استغلَ التوكيلَ العام وباعَ الشركات ، وسافرَ بأسرته إلى أمريكا ليَسلم من المُقاضاة العقيمة ، فهو غير مدان بالقانون ، وإن كان مُداناً بالشرع المطهر! فلقد كانت كل إجراءاته صحيحة قانوناً وإنْ لم تصح شرعاً! سافر خارج الدولة ، تاركاً زوجة أخيه وابنها اليتيم يأكلان من نوال المحسنين الذين أحسنَ إليهم زوجها في حياته ، وأغناهمُ الله تعالى على يديه! (إن ربي لطيفٌ لما يشاء)! وأما المهاجر السارق المحتال المجرم الأثيم ، فنمَّى أمواله في أمريكا ، وأصبح يمتلك مئات الملايين من الدولارات! وانقطعتِ الأخبارُ عقدين من الزمان ، لدرجة أن المرأة وابنها اعتقدا أنه قد مات! وبعد عقدٍ من السنوات ، عاد السارقُ واشترى عمارة وفيلا وأسس مجموعة شركات ، واشترى سيارة فارهة للغاية ، ولم يفكرْ حتى في مجرد السؤال عن زوجة أخيه وابنها! ولما علمتِ المرأة برجوعه ، أخذت وفداً من أهلها وأهله في محاولةٍ بائسةٍ يائسةٍ منها لإرجاع الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها! ولكن العم وبعد إعطاء عشرات المواعيد ، أعرض ونأى بجانبه ، ولم يعترف لها ولا لابنها بمِفحص قطاة! فعادتْ تجُر أذيال الخيبة واليأس إلا من أمل كبير في الله تعالى الحكم العدل! وقبل مغادرة المجلس وأمام الرجال طلبتْ منهم أن يُنصتوا كما طلبتْ منه أن ينصتْ لها! ولمّا أنصت الجميعُ قالت له بكل يقين وهدوءٍ وثقةٍ كبيرةٍ في الله: اعلم أنني لما أعطيتك التوكيل بحسن نية كنتُ قبلها قد استخرتُ الله تعالى ، وأمضيتُ قراري بتحرير التوكيل بعد دراسةٍ واستخارةٍ ، ولمَّا لم تصُن الأمانة وفعلت ما فعلت ، وأتينا نعطيك الفرصة لإرجاع الحق الذي لم تعترف به قائلاً: القانون لا يحمي المغفلين ، فإنني أتوجه إلى الله تعالى بأن يكون بيني وبينك ، وأن يكون لي ولابني اليتيم عليك! وقولك: (القانون لا يحمي المغفلين) يقابله عندي (أن الله لا يصلح عمل المفسدين)! ولا أزيد ، وطلبتْ من إخوتها وأعمامها وأخوالها إنهاء المجلس ، لأنه لا جدوى من المناقشات والمجادلات! وأردفت قائلة: حسبي الله تعالى ونعم الوكيل ، فوضتُ أمري وأمر ولدي إلى الله رب العالمين! وبعد سنة بتمامها ، وعلى طريص صحراوي معبَّد تصطدم سيارة العم السارق بشاحنة ، وكان حادثاً فظيعاً مريعاً أسفر عن وفاته ووفاة أفراد أسرته جميعاً بدون استثناء في مكان الحادث!

وكان الوريث الشرعي الوحيد هو اليتيم الذي لم يتجاوز الاثني عشر عاماً ، يوم عاد له المالُ المنمَّى أضعافاً مضاعفة! ويبوءُ العم بالإثم في قبره وآخرته! فسبحان مَن إذا أملى لظالم لم يُفلتْه! فتخيلتُ هذا اليتيم يصفُ لنا قصته ، ويحكيها من يوم مات أبوه الطيب الصالح الموفق ، إلى يوم مات عمه الطمَّاع الجشِع ، في قالب مأساوي مضحكٍ مبكي!)

وَيـــحَ العُمومـــة لمَّـــا تُـــوفِ بالعهـــدِ ... وأخلفـتْ مـا انتـوتْ مِـن صـادق الوعـدِ

هـــي التـــي اقترحـــتْ ، والأم قـــد قبلـــتْ ... وباركـــتْ مـــا ارتـــآه العَـــمُّ مِـــن قصـــد

أعطتْـــــه بارقـــــة الأمـــــان تســـــبقها ... قناعـــــة أنْ يعـــــودَ الأمـــــرُ بالفيـــــد

وأمَّلـــتْ خيرَهـــا يـــأتي علـــى عَجَـــل ... ولـــم تُـــدوِّنْ علـــى الأوراق مِـــن قيـــد

وشـــجّعتْه علـــى اســـتثمار مـــا ورثـــتْ ... ولـــم تُعلـــقْ علـــى نـــصٍّ ولا بَنـــد

وناولتْـــــهُ مِـــــن التطمـــــين حِصَّـــــته ... لأنـــــه جـــــادَ بالأيمـــــان والعهـــــد

وقاســـــمَ الأم أن الخيـــــرَ موعـــــدُها ... إنْ طـــابَ زرعٌ ســـيؤتي طيِّـــبَ الحَصـــد

فـــدونتْ إســـمَها فـــي الطِـــرس راضـــية ... ولـــم تُخـــوِّنْ ، عســـى الـــرحمنُ أن يهـــدي

ووقعـــــتْ دون تأجيـــــل وكالتهـــــا ... واســـتقبلَ العـــمُّ جَـــذلاً عاجـــلَ الـــرد

وقـــام عمـــي بمـــا يَخـــزى الجبـــينُ لـــه ... بـــرغم مـــا كـــان يُبديـــهِ مِـــن الزهـــد

بـــاعَ المـــواردَ أغنتْنـــا مكاســـبُها ... عـــن جُـــود عَمْـــر مِـــن الآنـــام ، أو زيـــد

فلـــم تعُـــدْ شـــركاتٌ نســـتعينُ بهـــا! ... كانـــت لأمـــي ولـــي مِـــن أنفـــع الرِّفـــد

غـــدرت يـــا عـــمُّ ، والأعـــدا بنـــا شـــمتوا ... فمـــا مُبـــررُ مـــا أتيـــت مِـــن كيـــد؟!

أمـــا حبـــاك أبـــي الأمـــوالَ وافـــرة ... جَلـــتْ عـــن الحَصـــر يـــا عَمـــاهُ والعـــد؟!

ألـــم يَخصـــك بالعطـــاء أنـــت بـــه ... فـــي ذِروة العـــز والتمكـــين والســـعد؟!

ألـــم يُـــؤازرْك بـــالخيور مـــا صـــرفت ... عينـــاك عـــن نهمـــة الأطمـــاع والجَحـــد؟!

أنـــا اليتـــيمُ ، وهـــذا المـــالُ مـــالُ أبـــي ... وقبـــلَ فقـــدِ أبـــي ذاقَ الـــردى جـــدي

لا عَـــمَّ يُرجـــعُ مـــا اســـتحللت دون حيـــا ... بـــدافع الـــبُغض والشـــحناء والحِقـــد

ثـــم اغتربـــت عـــن الـــديار مُغتصـــباً ... أمـــوالَ أم وطفـــل كـــان فـــي المهـــد

وبـــــارك الله أمـــــوالاً ظفـــــرت بهـــــا ... عقـــداً ، ولمَّـــا تـــزرْ أهليـــك فـــي البُلـــد

ونحـــــن عِشـــــنا علـــــى نـــــوال كوكبـــــة ... مِـــــن الأماجـــد ، رامُـــوا جَنـــة الخُلـــد

مـــا ألجأونـــا بمـــا جـــادوا إلـــى أحـــدٍ ... والجـــودُ أذهـــبَ ذِكـــرَ النهـــب والفقـــد

وأنـــــت ترتـــــعُ فـــــي أموالنـــــا غـــــرداً ... واهـــــاً لعـــــم علـــــى إهلاكنـــــا غِـــــرد!

وعُـــــدت تملـــــك آلافـــــاً مؤلفـــــة ... وجئـــت أطلـــبُ حقـــي ، قلـــت: مـــا عنـــدي!

هيـــا اثبتـــوا حقكـــم ، حتـــى أعيـــدَ لكـــم ... أوراقكـــم أيـــن أتلوهـــا فأســـتهدي؟!

فقلـــتُ: يـــا عمَّنـــا ، دنيـــاك فانيـــة ... فامهـــدْ لنفســـك خـــفْ مـــن ظلمـــة اللحـــد!

مـــا زادَ خـــذهُ ، وأرجـــعْ مـــا ســـرقت لنـــا ... حتـــى تعـــود لنـــا وشـــائجُ الـــود!

فقلـــت: لـــيس لكـــم فـــي ذِمتـــي ذهـــبٌ ... كـــلا ، ولا وَرِقٌ ، والـــزورُ لـــن يُجـــدي!

فعـــدتُ يَصـــحبُني يـــأسٌ بُلِيـــتُ بـــه ... إذ مـــا لطغيـــان هـــذا العـــم مِـــن حَـــد!

وفيـــك فوضـــت رب النـــاس منتظـــراً ... عدالـــة الخـــالق المُهـــيمن المُبـــدي

ومـــا غفلـــتُ عـــن الـــدعاء أرســـلهُ ... والكـــف مُـــدتْ إلـــى رب الســـما الفـــرد!

وكنـــتُ واللهِ يـــا عمـــي علـــى ثِقـــةٍ ... مـــن نصـــر رب يُعيـــدُ الحـــق للعبـــد!

فجاءنـــا نبـــأ أصـــمى مســـامعنا ... مـــن أن عمـــي قضـــى فـــي حـــادثٍ مُـــردي

وأســـرة العـــم يـــا للهـــول قـــد هلكـــتْ! ... وبـــت وحـــدي وريثـــاً لـــيس مـــن نِـــد!

وعـــاد مـــالي ، ورب النـــاس ضـــاعفهُ ... وللمهـــيمن كـــلُّ الشـــكر والحمـــد

وبُـــدِّلَ الحـــالُ مِـــن ضِـــيق إلـــى فـــرج ... والعـــيشُ كـــالبحر بـــين الجَـــزر والمَـــد!

الطبل والتطبيل!

(إنها لكارثة كُبرى أن لا تكون لغة إلا التطبيل والتمييع والتطويع! وقد ألفناها كثيراً ، ومَقتناها أكثر! وكرهنا أصحابها ، ولكن لمَّا طفح الكيل ، وبلغ السيل الزبى ، كان لا بد من قصيدةٍ عن الطبل والتطبيل ، تضعُ الأمر في نصابه ، وتردُّ القوسَ إلى باريها ، والخبز إلى خبازيه ، لتُعْلِم الطبالة أن في الساحة مَن يفهمونهم ، ويكشفون خِداعهم! واحترتُ حيرة شديدة في هذه القصيدة! على أي بحر وعلى أية قافيةٍ يمكن أن أكتبها! فوقع في خاطري أن أجاري الشاعر حسين الدجاني في مطلعه:- (ألا بالصبر تبلغ ما تريدُ!) فأقول مجارياً له:-

ألا بالطبـــــل تبلـــــغ مـــــا تريـــــدُ وبالتطبيـــــل يعتـــــدلُ الحديـــــدُ

فطبِّـــلْ مـــا اســـتطعت لعـــل طـــبلاً تُفيـــدُ بـــه الـــورى ، أو تســـتفيد

ولكنني لم أرتح لهذا المطلع ، واستهجنت أن أحل التطبيل محل التقوى التي اشترطها الدجاني في مطلعه الجميل الساحر! فقلت: أذهب إلى امرئ القيس شاعر الجاهلية الأولى في مطلعه الجميل: (وليل كموج البحر أرخى سدوله)! فقلت مجارياً امرئ القيس:-

وطبـــل كمثـــل الرعـــدِ وافـــى بجُعـــره فأحـــدثَ أهـــوالاً بَـــدَتْ لمُطبِّـــلِ

ألا أيهـــا الطبـــلُ المُخـــذلُ عزمَنـــا أجِرْنـــا مـــن الجُعـــر الفظيـــع المُجَلجِـــل

وعدتُ فوازنتُ مرة ثانية ، فوجدتُ أن مقام البحر أسمى بكثير من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى الشاعر العباسي أبي تمام في مطلعه البديع: (السيف أصدق أنباءٍ من الكتب)! وارتأيت لنفسي أن يطيبَ لي هذا الاختيار المحترم ، فقلت مجارياً أبا تمام:-

الطبـــل أكثـــرُ أنغامـــاً مـــن الكتـــبِ فـــي ضـــربه يُمـــزجُ التهـــريجُ باللعـــبِ

بـــيض الجلاجـــل فـــي رَنـــاتهن صـــدىً يُجلـــي عـــن الـــنفس مـــا عانـــتْ مِـــن النصـــب

وعدتُ فوازنتُ مرة ثالثة ، فوجدتُ أن مقام السيف أسمى بكثير جداً من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى أبي العتاهية شاعر الرشيد في مطلعه الطيب القائل: (ألا ليت الشباب يعود يوماً؟)! لأعقد مقارنة بين طبول الماضي (دفوف الأعراس والحروب) ، فقلت مجارياً:-

ألا ليـــــت الطبـــــولَ تعـــــودُ يومـــــاً لنخبرَهـــــا بعالمنـــــا المَعيـــــبِ

يـــرى فـــي الطبـــل بُـــرءاً لا يُبـــارَى يُطبِّـــلُ فـــي الشـــروق ، وفـــي الغـــروب

وعدتُ فوازنتُ مرة رابعة ، فوجدتُ أن مقام طبول أو دفوف الأعراس والحروب أسمى بكثير من مَقام طبول الجاهلية المعاصرة ومُطبليها! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى أمير الشعراء شوقي في مطلعه المبدع: (قم للمعلم وفه التبجيلا)! فقلت مجارياً لشوقي:-

قـــــم للمُطبِّـــــل وفـــــه التخـــــذيلا كـــــاد المُطبِّـــــل أن يُضِـــــلَّ الجـــــيلا

أرأيـــت أحقـــرَ مِـــن مُطبِّـــل قومـــه تطبيلـــه يَصـــفُ الخنـــوعَ ســـبيلا

وعدتُ فوازنتُ مرة خامسة ، فوجدتُ أن مقام المعلم أسمى بكثير من مقام الطبل والتطبيل! فقلتُ في نفسي: إذنْ أذهب إلى إمام المذهب محمد بن إدريس الشافعي الفقيه الشاعر والشاعر الفقيه في مطلعه الرائع: (نعيب زماننا والعيب فينا)! فقلت مجارياً للشافعي:-

نعيـــبُ طبولنـــا ، والعيـــبُ فينـــا ومـــا لطبولنـــا عَيـــبٌ سِـــوانا

وقـــد نهجـــو الطبـــولَ بغيـــر ذنـــب ولـــو للطبـــل حنجـــرة هجانـــا

وعدتُ فوازنتُ مرة سادسة ، فوجدتُ أن مقام الزمان أسمى بكثير من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إذن إلى الشاعر القدير أحمد عبد الهادي الشاعر الصعيدي الأسواني في مطلع جاريته قديماً فقلت فيه: (سئمت الحياة وأشجانها)! فقلت مجارياً:-

ســـــئمتُ الطبـــــولَ وأصـــــواتها وعِبـــتُ المُطبِّـــلَ يُـــزري بهـــا

ورُحـــــتُ أوضِّـــــحُ مستبســـــلا لكـــــل المخـــــاليق تضـــــليلها

وعدتُ فوازنتُ مرة سابعة ، فوجدتُ أن مقام الحياة أسمى بكثير من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى الشاعر العباسي المعروف أبي العلاء المعري رهين المحبسين في مطلعه المحترم: (غيرُ مُجدٍ في ملتي واعتقادي)! فجاريتُه قائلاً:-

غيـــرُ مُجـــدٍ فـــي رُؤيتـــي ضـــربُ طبـــلِ بـــين كفـــيْ مُســـتهتِر أو شِـــبلِ!

وشـــبيهٌ قـــرعُ الطبـــول بـــداري بالـــدعاوى يَســـوقها بعـــضُ (هِبـــل)!

وعدتُ فوازنتُ مرة ثامنة ، فوجدتُ أن مقام الملة والاعتقاد أسمى بكثير من مقام الطبل والتطبيل! فقلتُ في نفسي: إذن أذهب إلى الشاعر إبراهيم ناجي في أطلاله ، حيث يقول في مطلعه الساحر الباهر:- (يا فؤادي رحمَ اللهُ الهوى)! فقلتُ مُجارياً لناجي:-

يـــا فـــؤادي الطبـــلُ أزرى بـــالورى باعثـــاً فـــيهم أضـــاليلَ الهـــوى

وأنـــا أســـأل نفســـي دائمـــاً: هـــل ســـبيلٌ للتعـــافي يـــا تُـــرى؟!

وعدتُ فوازنتُ مرة تاسعة ، فوجدتُ أن مقام مناجاة الفؤاد أسمى بكثير من مقام الطبل والطبالة! فقلتُ في نفسي: إذن أذهب إلى الحصري القيرواني الشاعر الأندلسي في مطلعه الطيب:- (يا ليلُ الصبُّ متى غده)! فقلت معارضاً للقيرواني:-

يـــا طبـــلُ الخيـــرُ متـــى غـــدُه هـــل يـــأتي غضـــاً سُـــوْدَدُهُ

أنهكنـــا التطبيـــلُ ، فـــذبنا شـــوقاً لهُـــدوءٍ نشـــهدُه

والحقيقة أن هذه المطالع كلها لم ترُقني ، وإنما عمدتُ إلى اختيار مطلع مختلفٍ بمذاق مختلف!
ذلك أن الطبل والتطبيل قد ارتفعتْ وتيرتُهما جداً ، وانتقلتِ العدوى إلى البقاع والأصقاع ، كما انتقلتْ إلى الحَواضر والبَوادي! وهانَ كل شيئ في سبيل الطبل والتطبيل! وتعساً للطبالة!)

قـــــــرَعَ الأراذلُ للعُتـــــــاة طبُـــــــولا ... واســـــــتعذبوا إيقاعَهـــــا المَخبـــــولا

صَـــــنعوا بقـــــرع الطبـــــل مَجـــداً زائفـــاً ... خـــــدعَ الأنـــــامَ ، ورَوَّجَ التضـــــليلا

كـــــم حَسَّـــــنوا بالطبـــــل أقـــبَحَ صـــــورةٍ ... فيهـــــا العُتـــــاة تبتلـــــوا تبتـــــيلا!

كـــم زيَّفـــوا التـــاريخ يَفضـــحُ مـــا ادَّعَـــوا! ... كـــــم زوَّروا ليُمَـــــرِّرُوا التـــــدجيلا!

كـــم شـــيطنوا الحـــق المبـــينَ تشـــفياً ... حتـــــى يُزيغـــــوا أنفســـــاً وعقـــــولا!

كـــم مثلـــــوا دَورَ الحـــــريص نكايـــــة! ... خـــــابَ الأراذلُ أتقنـــــوا التمثـــــيلا!

كـــم صَـــوَّروا البُهتـــان صِـــدقاً خالصـــاً ... فغـــــدا لنـــــا معلـــــومُهم مجهـــــولا!

كـــم شـــوَّهوا أهـــلَ العقيـــدة سَـــخطة ... لِطغـــــاة عصـــــر فضـــــلوا تفضـــــيلا!

وتكلفـــــوا الكِـــــذبَ الصُّـــــراحَ تحـــــايلاً ... والنـــــاسُ طبعـــــاً صَـــــدَّقوا التجهـــــيلا

وتطـــــاولوا حِقـــداً علـــــى أهـــــل الهُـــدى ... وهـــــمُ أشـــــدُ العـــــالمين ذحـــــولا!

طبالـــــة التهـــــريج هـــــا هـــــم بـــــالغوا ... ولهـــم بصـــائرُ فـــي التخـــرُّص حُـــولى!

أدوارُهـــم فـــوق المســـارح مـــا انطلـــتْ ... إلا علـــــى الحمقـــــى ، وســـــاءَ رَعـــــيلا

منهـــــاجُهم حَبْـــــكُ المـــــدائح والفِـــــرى ... حتـــــى غـــدَوا فـــي النـــاس أكـــذبَ قِـــيلا

لا ديـــــنَ يَـــــردَعُهم إذا مـــــا عَربـــــدوا ... شـــــابوا علـــــى كيـــــل السِّـــــباب كُهـــــولا

هـــــم أشـــــهروا لمـــــن اهتـــــدى أغلالهـــــم ... يُشْـــــفون فـــــي أهـــــل الصـــــلاح غلـــــيلا

لِعِقـــــوا نِعـــــالَ مَـــــن افتـــــرى ، وتشـــــرذموا ... واســـــــتعذبوا التلفيـــــقَ والتـــــأويلا

لـــــم يَنصـــــروا قِيَمـــــاً بقـــــرع طبُـــــولهم ... والنصـــــرُ كـــــم يســـــتهجنُ التطبـــــيلا!

وقـــــد اســـــتبانَ الـــــدربُ: هـــــذي فِرقـــــة ... جعلـــــتْ تزلفهـــــا الـــــرخيصَ ســـــبيلا

والســـــحرُ أبطِـــــلَ ، والحقيقـــــة حَصحصـــــتْ ... والطبـــــلُ جامـــــلَ مُفســـــداً وعمـــــيلا

ويمـــوتُ طبـــالٌ ، فمـــا اعتبـــروا بـــهِ ... وسِـــواه مـــات مُجنـــدلاً مَغلـــولا

كـــالوا التـــرَحُّم ، أظهـــروا تـــأبينهم ... واســـتبدلوا ببكـــائهم إكلـــيلا

والـــبعضُ فـــي ليـــل الجنـــازة حَـــثهم ... أن يصـــحبوا فـــي الظلمـــة القِنـــديلا

إذ لا اعتبـــار لأي قـــارع طبلـــةٍ ... أمســـى عـــن التـــوب الوشـــيكِ كَسُـــولا

طبالـــة التطويـــع شِـــيباناً غـــدَوا ... وقبـــورُهم نـــادتْ: كفـــى تهلـــيلا

عُـــودوا إلـــى الـــرحمن يُصـــلِحْ شـــأنكم ... فـــاللهُ خيـــرٌ مُصـــلِحاً ووكـــيلا

وكفـــى انحطاطـــاً يـــا حُثـــالات الـــورى ... هيـــا اجعلـــوا نهـــجَ الرشـــاد دلـــيلا

واســـتغفروا ربَّ الســـما يَغفـــرْ لكـــم! ... ويَزيـــدكم مـــن فضـــله تبجـــيلا

ســـتُودِّعون طبـــولكم ، فتنبهـــوا! ... أخـــراكُمُ خيـــراً تفـــوقُ الأولـــى

وكبيـــرُكم قـــد عـــاشَ أشـــرسَ آكـــل ... سيَضـــمُّه قبـــرٌ ، ويَلقـــى السُّـــولا

ويبيـــتُ فـــي القبـــر الوشـــيك مُوَسَّـــداً ... ويبيـــتُ عـــن أهـــل الـــدنا مســـؤولا

ويبيـــتُ مَـــن أكـــلَ الأطايـــبَ والحَـــلا ... واللحـــمَ - مُلتـــذاً بـــه - مـــأكولا

إن قلـــتُمُ هـــذا أضـــلَّ جميعَنـــا ... ســـيكونُ فـــي ســـاح الحســـاب خـــذولا

لمَّـــا يَـــزلْ أمَـــدٌ فتوبـــوا تُفلحـــوا ... وتُخوَّلـــون نجـــاتكم تخـــويلا

وكثيـــرٌ الهَلكـــى ومَـــن لحِقـــوا بهـــم ... لكـــنْ أرى أهـــلَ النجـــاة قلـــيلا

أبلغـــتُكم ، واللهُ يَعلـــمُ نِيتـــي ... واللهُ خيـــرٌ ضـــامِناً وكفـــيلا!

العشق المهلك! (محاكاة للعبيدي)

(كتب الشاعر العبقري عبد الناصر عليوي العبيدي نصه الرائع: (العشق المهلك) ، فلما طالعتُه للمرة الأولى تولد عندي مطلعٌ يُحاكي نصه! فعزمتُ على إكمال المُحاكاة حُباً في العبيدي وبُغضاً في منهج العشق المهلك! فكانت هذه القصيدة ترجمة له! يقول مطلع العبيدي:-

الـــذئبُ يأكـــلُ كـــل يـــوم نعجـــة ... وبعدلـــــه تتـــــبجح الأغنـــــامُ!

قالـــت: مُخلصُـــنا ، وحـــامي أرضـــنا ... وبـــــه غـــداً تتحقـــقُ الأحـــلام!

ويستمر (العبيدي) في وصف العشق المهلك مبيناً كيف عشقتِ الأغنام الذئب الذي استفحل خطره ، ودعا صحبه ورفاقه ليأكلوا معه ، إلى أن يختم (العبيدي) بالتنديد بالرعاة الذين سلموا أغنامهم طائعين للذئاب ، محملاً إياهم المسؤولية الأخلاقية والأدبية ، فيسجل في رمزية نادرة اعتراف الجميع ـ موضحاً أبعاد المؤامرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ بقوله:-

فجميعُنـــا ضـــد النعـــاج حقيقـــة ... وعـــــدوُّنا وعـــــدوُّك الإســـــلامُ

أيـــــلامُ ذئـــــبٌ بـــــالغريزة حاقـــــدٌ؟! ... أم إن شـــــذاذ الخِـــــراف تُـــــلام؟!

فنسَجتُ على مِنوال العبيدي هذه القصيدة في محاكاته! وأعلم علم اليقين أنني لم أبلغ شأو (العبيدي) في الشعر ، ولكن يبقى لي شرفُ المحاولة الذي أدندنُ حوله في كل مرة أحاكي فيها فحولَ الشعراء! وعسى اللهُ تعالى أن يكتب الأجر لي وللعبيدي على ما نكتبه من الشعر نسقطه على واقعنا الكسير ، علنا نساهم في إصلاح مُعوجه! فالدال على الخير كفاعله!)

الـــــــذئبُ شَـــــــدَّتْ أزرَه الأغنـــــــامُ ... وظهيرُهـــــا – فـــي الشـــدِّ – الاستســـلامُ!

منحَتْـــــه عـــــن عمـــــدٍ زمـــــامَ قِيادهـــــا ... وكأنـــــــه المُتصـــــــرفُ القـــــــوَّام!

إن شـــــاء فلـــــيَطعمْ ويَعـــــزمْ صـــــحبَه ... إذ إن أفـــــــراد القطيـــــــع كِـــــــرام

أو شـــــاء بـــــاعَ مـــــن القطيـــــع أو اشـــــترى ... وفـــــق الهـــــوى ، مـــــا فـــــي البيـــــوع سَـــــوام

أو شـــــاء ذبَّـــــحَ ، والمُـــــدى مَشـــــحوذة ... ويُعينـــــــه الجـــــــزارُ واللحـــــــام

أو شـــــاء جَـــــوَّعَ ، والقطيـــــعُ مُرَحِّـــــبٌ ... يُزجـــــي المـــــدائحَ منـــــذ غـــــابَ طعـــــام!

أو شـــــاء عطـــــشَ رغـــــم وفـــــرة مائـــــه ... فالشـــــربُ ـ يـــــا غـــــنم القطيـــــع ـ حـــــرام

أو شـــــاء فليقصـــــفْ حظـــــائرَ أسِّســـــتْ ... لتعـــــيشَ داخـــــل سُـــــورها الأغنـــــام

أو شـــــاء هجَّرَهـــــا ، وحـــــاز ربوعَهـــــا ... مـــــن بعـــــد أن أفتـــــى لـــــه (الحاخـــــام)!

أو شـــــاء شـــــرَّدَ بعضَـــــها متغلبـــــاً ... وســـــلاحُه التقتيـــــلُ والإرغـــــام!

أو شـــاء ســـربلها بأشـــرس قيـــدِه ... ولـــه ـ علـــى تقييـــدها ـ إجـــرام

هـــذي مبادئـــه ، وذلـــك شـــأنه ... فعليـــه – مـــن رب الأنـــام – الســـام!

هـــو لا يـــرى غيـــرَ الـــذئاب خلائقـــاً ... فلتســـقطِ الأهـــدافُ والآضـــام!

وإلـــى هنـــا فالـــذئبُ لـــيس يَعيبُـــه ... مـــا قـــد رأى أبـــداً ، فـــلا اســـتذمام!

لكنمـــا الأغنـــامُ تعشـــقُ ذئبَهـــا ... كيـــف استســـاغتْ؟ بـــئسَ الاســـتفهام؟!

هـــل أصـــبحتْ (ليلـــى) وذئـــبٌ (قيسُـــها)؟! ... هـــل بـــين (ليلـــى) والوحـــوش غـــرام؟!

تعســـاً لعشـــق لا يُسَـــلي أهلـــه ... بـــين الأنـــام ، وخـــابَ بعـــدُ هُيـــام!

يـــا هـــذه الأغنـــامُ عِشـــقكِ مُهلـــكٌ ... أفـــلا يصـــدُّكِ عـــن هـــواكِ حِمـــام؟!

عِشـــقُ الـــذئاب إهانـــة ومَذلـــة ... وفضـــيحة يهـــذي بهـــا اللـــوام!

أزرى بـــكِ العِشـــقُ الرذيـــلُ ، فـــأقلعي ... عمـــا يَشـــينكِ ، عابـــكِ الآنـــام

كيـــف ارتأيـــتِ الـــذئبَ ألطـــفَ عاشـــق ... وهـــو الكفـــورُ تحوطـــه الآثـــام؟!

أوَمـــا قـــرأتِ علـــى المَـــدى تاريخـــه ... إذ خطـــه بمِـــداده النهـــام؟!

ذئـــبٌ إلـــى ســـفكِ الـــدما مُـــتعطشٌ ... جَـــمُّ المفاســـد ، واســـمُه (بَلعـــام)!

ويـــرى حميـــراً دونـــه كـــل الـــورى! ... ذئـــبٌ تُشـــكلُ عقلـــه الأوهـــام

ويشـــيعُ فـــي الأرض الفســـادَ بـــلا حيـــا ... وعـــدوُّه ـ فـــي ذي الـــدنا ـ الإســـلام

ولـــه جـــرائمُ لا ســـبيلَ لعـــدِّها ... مهمـــا رصـــدتُ تخـــوننني الأرقـــام!

ولـــه هـــزائمُ أزهقـــتْ ثرواتـــه ... شـــهدتْ بهـــا الأصـــقاعُ والآكـــام

ورفاقـــه لـــم يفقهـــوا كبواتـــه ... وكـــأنهم ـ فـــي دعمـــه ـ أصـــنام!

يـــا هـــذه الغـــنمُ الـــذئابُ تجمهـــرتْ ... لـــو كـــان ذئـــبٌ لـــم تـــذلَّ الهـــام

بـــدأتْ بـــذئب ، ثـــم نـــادى قومـــه ... فتكتلـــوا ، واستأســـدَ الأقـــوام!

وأتـــوا علـــى الأغنـــام دون هـــوادة ... حمـــل اللـــواء جـــوارحٌ ورُهـــام

بـــدأوا براعيهـــا وقائـــد جمعهـــا ... لمَّـــا يَعُـــدْ راع ولا غنـــام!

والـــــدورُ آتٍ كـــــل مـــــن خنعـــــوا لـــــه ... وعقابَـــــــــه ســـــــــيناله الظـــــــــلّام

فخـــــذي بنصـــــح (ابـــــن العبيـــــديِّ) الـــــذي ... أزرى بعِشـــــــقكِ ، والقصـــــــيدُ سِـــــــهام

ورأيـــــتُ (عبـــــدَ الناصـــــر) اختصـــــرَ المـــــدى ... والـــــــنص يُنبـــــــيءُ أنـــــــه مقـــــــدام!

هـــــو شـــــخصَ الـــــداءَ الـــــذي أودى بنـــــا ... وكـــــــأن فـــــــي طياتـــــــه الجرســـــــام

ومحـــــــذراً سُـــــــمرَ النعـــــــاج مبينـــــــاً ... خطـــــرَ الـــــذئاب ، فمـــــا عليـــــه مـــــلام!

وكلامـــــه فصـــــلٌ لمـــــن يُصـــــغي لـــــه ... فعســـــى يفيـــــدُ الغـــــافلين كـــــلام!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

شدت أزره: أي قوت من عزمه. القوام: أي القائم على أمرها المتولي قيادها. سوام: أي مساومة في عمليتي البيع والشراء! المُدى: جمع مُدية وهي المطواة أو السكين في أيدي الشطار! اللحام: بائع اللحم. السام: اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى. استذمام: تعيير أو تعييب. الآضام: الآمال والطموحات. هُيام: شدة الحب والتعلق. حِمام: موتٌ وهلاك. الآنام: الخلائق. النهام: الراهب الذي يكتب ويؤرخ. بلعام: هو بلعام بن باعوراء عالم بني إسرائيل ، وفيه نزلت آية سورة الأعراف: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها). الآكام: الصخور. كبواته: عثراته ومزالقه. الهام: جمع هامة وهي الرأس. رُهام: هي جوارح الطير كالصقر والنسر والباز والشاهين. خنعوا: أي رضخوا. ابن العبيدي: هو شاعرنا الكبير عبد الناصر عليوي العبيدي ، وهو شاعر غني عن التعريف ، وقد عارضناه من قبل في قصيدتنا: (رد سادة القبائل على اليمامة) ، ولا يخفى أن الأستاذ عبد الناصر له قدم طولى علينا ، في تقديمنا وأشعارنا للناس وللجمهور ، ونقول هذا معترفين بفضله. الجرسام: أي السم الزعاف.

اليتمُ دَربُ الغِنى!

(يحكى أن أمراة تزوجت بعد وفاة زوجها ، وكان لديها طفلٌ واحدٌ من زوجها السابق ، وكان يبلغ من العمر ثلاثة أعوام ، وانتقلت المرأة إلى منزل زوجها مع ابنها بعد زواجها من الرجل الثاني. وكان غنياً جداً فلم يعترض الزوج على بقاء الطفل في منزله مع أمه! وبعد مرور عاما أنجبت المرأة طفلاً ، وشعر الزوج بالسعادة الغامرة ، ولكن بدأت مشاعر الزوج تتغير باتجاه ابنها اليتيم. حيث توقف عن اللعب معه ولم يعد يهتم به مثل السابق ، وأصبح لا يطيق وجوده في منزله الواسع. وفي أحد المرات عاد الرجل من العمل ومعه دراجة هوائية لابنه! وكانت الأم تتألم بشدة وهي ترى ابنها اليتيم يشاهد أخاه بحزن وهو يلعب ويتجول في المنزل فوق دراجته الجديدة! فتحدثت الأم مع زوجها ، وطلبت منه أن يجلب دراجة أخرى لابنها اليتيم مثل أخيه ، ولكن الزوج رفض بشدةٍ ، وأخبرها بأنه ليس مسؤولا عنه ، وإذا لم تتوقف عن الحديث عن ابنها فإنه سوف يقوم بطرده من المنزل ، فشعرت بالخوف على ابنها ، وتقبلت الأمر خوفاً على فقدانه! وقبلت الأم أن ترى ابنها يعيش حياة مريرة وقد ملئت هذه الحياة ظلماً وحزناً وقهراً وألماً أفضل من أن لا تراه نهائياً! ومضت الأيام ، وكبر الأولاد ، وقام الزوج بتسجيل ابنه في أحدث المدرس الأهليه ، ورفض تسجيل ابن زوجته فيها ، وقال: أنا لست والده ، لكي أهدر أموالي في تعليمه! وفي النهاية هو لن ينفعني ، ولن يحمل اسمي ، فأجابت الأم بغضب ، وقالت: نعم ربما لا يكون من لحمك ودمك وليس ابنك ولن يحمل اسمك. ولكن هذا لا يعني أن تحرمه من التعليم ، وتتركه يعيش في ظلام الجهل ، أليس في قلبك ذرة رحمة وشفقة؟! ألا تعطف على طفل يتيم؟! فقال لها متجهماً: لقد طفح الكيل ، أنا لم أعد أحتمل وجوده هنا ، ولا أريد رؤيته في منزلي! وهنا اقترب الصبي من أمه ، ومسح دموعها ، فنظرت إليه نظرة عطفٍ وحنان وإشفاق! فقال لها وهو يبكي: لا تحزني يا أمي ، لا يوجد شيئ يستحق أن تذرفي دمعة واحدة من دموعك من أجله ، لقد تعبت وأنا أرى ذلك العجوز يقوم بإهانتك كل يوم من أجلي! ومن أجل أن تكوني سعيدة ، سوف أرحل وأترك المنزل! وودع الصبي أمه ، وحمل ملابسه ، وغادر البيت! وأصبح قلبها يشتعل ناراً! ويوجد أسئلة كثيرة لا تعلم أجوبتها: إلى أين سيذهب هذا الفتى الصغير؟ وأين سوف يعيش؟ وأين سوف يأكل؟ وماذا إن مرض؟ من الذي سيداويه وسيهتم به؟! كل هذي الأسئلة كانت تطرق رأسها ، ثم رفعت يدها الى السماء وقالت: اللهم إني استودعتك ابني اليتيم ، فتكفل به واحفظه ، وأعده لي سالماً غانماً ، كما أعدت موسى – صلى الله عليه وسلم – لأمه! ومرت سُويعات ، وعاد الزوج من العمل نظر إلى زوجتة فوجدها سعيدة مطمئنة. فتعجب من أمرها ، كيف تبدو سعيدة ولم يمر علي رحيل ابنها بضع ساعات! فسألها: لماذا أنت سعيدة ولست حزينة على رحيل ابنك؟! فابتسمت ثم قالت: لقد تركت أمر كفالته على من يستطيع رعايته وحمايته وهو الوحيد القادر على فعل كل ذلك دون ملل وكلل ودون أن يطلب مقابلاً أيضاً! فقال متعجباً من هو؟! فقالت: إنه الله رب العالمين! فضحك ساخراً ، وقال: العالم في الخارج لا يرحم مسكيناً ، ولا يشفق على جائع! يبدو أنك فقدت عقلك! ومضت عجلة الزمان ، وبعد مرور سنواتٍ قليلةٍ عاد ابنها لزيارتها وهو يحمل طفلاً بيده ويصطحب امرأة برفقته. فسلم على أمه. فقالت وهي في غاية السعادة: من هذه المرأة؟! وابن من هذا الطفل؟! فأجابها بدون إبطاء: هذه زوجتي وهذا ابني. فقالت: كيف استطعت أن تكوِّن حياتك وأنت ليس لديك المال ولا مأوى لك ولا عائل؟! فقال لها: في الحقيقة أنا لا أعلم كيف عصفت بي الحياة ، لقد كنت تائهاً وحيداً ، لا أدري إلى أين أذهب. ثم توجهت

إلى أحد المساجد في قرية صغيرة ونمت. وكنت أبحث في النهار عن عمل وفي الليل أعود الى المسجد! فأخبرت إمام المسجد بقصتي وثم أستأذنت منه أن يسمح لي بأن أبات في المسجد حتى أجد مكاناً ، وافق وكان يطعمني كل يوم وكنت أقوم بتنظيف المسجد. وفي أحد الأيام مرض الإمام فتقدمت أنا بالناس ومنذ تلك الليلة وأنا أصلي بالناس. وبدأ الناس يتقربون مني ، وأصبح الجميع يحبونني ويحترمونني. ثم عرضوا علي بأن أتزوج من فتاةٍ يتيمةٍ ليس لديها سوى جدتها ، فوافقت ، وتكفل جميعهم بكل شيء. وتزوجت وبعد فترةٍ قصيرةٍ توفت السيدة العجوز! وحصلتْ زوجتي الفاضلة على قطعة أرض من ورث جدتها. وقمت بزراعتها وتحسنت أوضاعنا والحمد لله. أصبح لدي الكثير من الأراضي الزراعية! وهنا بكت الأم من شدة السعادة وعلمت بأن الله استجاب لدعائها. ولكن لم يكن الزوج مصدقا أنه سوف يعود في يوم من الأيام شخصاً غنياً! وجاء وتحدث إليه وقد زالت الأحقاد والضغائن ، حيث أيقن زوج أمه أن الله تعالى قد تكفل بالصبي ورعاه! فقال: ونعم بالله! وإذن فاليتم حقيقة درب الغنى والعفة والاعتزاز!)

إنمـــــا اليُـــــتمُ يَسَـــــارٌ وغِنـــــى ... وانتصـــــارٌ رَغـــــم ألـــــوان العَنـــــا

وابتشـــــــارٌ بـــــــالخيور ازيَّنـــــــتْ ... واعتلـــــتْ حِصـــــنَ التحـــــدي مَســـــكنا

كابـــــــدتْ أمٌ ، وجـــــــافى زوجُهـــــــا ... وأتـــــــى فِعـــــــلاً دَنيئـــــــاً أرعَنـــــــا!

لـــــم يكـــــنْ فـــــي قلبـــــه الجـــــافي وفـــــا ... ولآيـــــات الهُـــــدى مـــــا أذعنـــــا

أزه العِنـــــــــــدُ ، وأغـــــــــــراهُ الأذى ... لـــــم يكـــــنْ فيمـــــا ارتـــــآهُ مُحسِـــــنا

وانبـــــــرى يهـــــذي بأشـــــقى حُجَّـــــةٍ ... بكُليمـــــــــاتٍ تبـــــــدَّتْ مَطعنـــــــا!

أنكـــــــرتْ أمٌ وقالـــــــتْ رأيهـــــــا ... لكـــــن الـــــزوجُ لحـــــق مـــــا انثنـــــى

قـــــال: هـــــذا لـــــيس منـــــي ، فـــــافهمي ... لســـــتُ أهـــــوى قـــــط أن يبقـــــى هُنـــــا!

فمضـــــــى الابـــــــنُ البئـــــــيس المبتلـــــــى ... بعـــــد أن ضـــــاقتْ علـــــى الســـــاري الـــــدنا

ثـــــم جَـــــنَّ الليـــــلُ ، واســـــودَ الـــــدجى ... ومِـــــن الظلمـــــة قـــــد يـــــأتي الســـــنا

جعـــــلَ السُّـــــكنى بـــــأرجى مســـــجدٍ ... وعلـــــى الحُســـــنى (إمـــــامٌ) بَرهنـــــا

بـــــذلَ الخيـــــراتِ ، لـــــم يبخـــــلْ بهـــــا ... جَـــــلَّ سَـــــمْتاً ، وتســـــامى مَعـــــدنا!

وأهـــــالي الحـــــي ســـــاقوا جُـــــودَهم ... وأنـــــالوا الأعـــــزبَ الشـــــهمَ المُنـــــى!

زوَّجـــــوهُ حِســـــبة ، يـــــا ســـــعدَهم! ... فـــــإذا بـــــالعيش يُشـــــجيه الهنـــــا

زالَ عنـــــه اليُـــــتمُ ، بـــــاتوا أهلـــــه ... وتوَلـــــتْ كـــــل أصـــــناف الضـــــنا

وغـــــــزتْ تفكيـــــــرَه أمٌ نـــــــأتْ ... بـــــدُعاها الابـــــنُ بـــــاهى ، واغتنـــــى

كيـــــف ينســـــاها ، ولـــــم تغـــــدُر بـــــه؟! ... هـــــل لـــــه عنهـــــا بمـــــا قالـــــت غِنـــــا؟!

نصـــــبَ عينيـــــه زهَـــــتْ أطيافهـــــا! ... كـــــلُّ طيـــــفٍ غـــــالَ كربـــــاً مُحزنـــــا!

بضـــــعة الأعـــــوام أمســـــتْ أدهُـــــراً ... وكـــــأن البُعـــــدَ وافـــــى أزمُنـــــا

زارهـــــا والأنـــــسُ يُشـــــجي قلبـــــه ... وإذا بالـــــدمع يُزْكِـــــي أعيُنـــــا

غربـــــة طالـــــتْ ، وشـــــبَّتْ نارُهـــــا ... وحبيـــــبُ الـــــروح فيهـــــا أمعَنـــــا

رحَّبَـــــتْ بـــــابن وزوج أشـــــرقتْ ... وحفيـــــدٍ بـــــالتلاقي دَنـــــدَنا

قـــــال: يـــــا أمـــــاه دنيـــــا أقبلـــــتْ ... حـــــوَّلَ الـــــرحمنُ صـــــعبي هيِّنـــــا

دعـــــوة هـــــذي اســـــتُجيبتْ صـــــدِّقي ... وغـــــدا حـــــالي ببُعـــــدي أحســـــنا

فـــــافرحي لـــــي ، واقرئـــــي أقصوصـــــتي ... قصـــــة التمكـــــين طابـــــت والغنـــــى

مـــــا اختفـــــى منهـــــا لقـــــد أعلنتـــــه ... كـــــل ســـــر فـــــي حيـــــاتي أعلنـــــا!

ازرعـــــي الآمـــــالَ فـــــي نفـــــس خبـــــتْ ... عزمُهـــــا بـــــالقهر أضـــــحى موهنـــــا

كـــــل حـــــي ســـــيُوافى رزقـــــه ... كـــــاملاً مســـــتكملاً قبـــــل الفنـــــا

أعلِمينـــــا أنمـــــا اليُـــــتم مَضـــــا ... وســـــبيلٌ للتنـــــامي والبنـــــا

وقضـــــاءُ الله بـــــاليُتم قضـــــى ... لليتـــــامى أن يُنـــــادوا: ربنـــــا!

أمنياتٌ فات أوانها!

(ممرضة استرالية قامت بتأليف كتاب بعنوان: (أكثر خمسة أشياء نندم عليها عندما نكبر). يتضمن الكتاب ملخصًا: تم سؤال العديد من كبار السن قبل وفاتهم عن أبرز الأشياء التي ندموا على فعلها (أو عدم فعلها) لو عادوا إلى سن الشباب. فكان الملاحظ وجود خمس رغبات اشترك في ذكرها معظم كبار السن وهن: أولًا: تمنيت لو كانت لديّ الشجاعة لأعيش لنفسي ولا أعيش الحياة التي يتوقعها أو يريدها مني الآخرون. فقد عبّر معظمهم عن ندمه على إرضاء الغير (كرؤسائهم في العمل) أو الظهور بمظهر يُرضي المجتمع أو من يعيشون حولهم. ثانيًا: تمنيت لو أنني خصصت وقتًا أطول لعائلتي وأصدقائي بدلًا من إضاعة العمر كله في روتين العمل المجهد. ثالثًا: تمنيت لو كانت لديّ الشجاعة لأعبّر عن مشاعري بصراحةٍ ووضوح. فالكثيرون كتموا مشاعرهم لأسباب مثل تجنّب مصادمة الآخرين ، أو التضحية لأجل أناس لا يستحقون. رابعًا: تمنيت لو بقيت على اتصال مع أصدقائي القدامى أو تجديد صداقتي معهم ، فالأصدقاء القدامى يختلفون عن بقية الأصدقاء كوننا نشعر معهم بالسعادة ونسترجع معهم ذكريات الطفولة الجميلة. ولكننا للأسف نبتعد عنهم في مرحلة العمل وبناء العائلة حتى نفقدهم نهائياً أو نسمع بوفاتهم فجأة. وخامساً وأخيرًا: تمنيت لو أنني أدركت مبكراً المعنى الحقيقي للسعادة ، فمعظمنا لا يدرك إلا متأخرًا أن السعادة كانت حالة ذهنية لا ترتبط بالمال أو المنصب أو الشهرة. إن السعادة كانت اختيارًا يمكن نيله بجهد أقل وتكلفة أبسط ، ولكننا نبقى متمسكين بالأفكار التقليدية حول تحقيقها! يقول الله تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"! حقاً إنه يوم لا ترى فيه إلا الصمت الرهيب ، والكبت الرعيب ، والخشوع المهيب الذي لا يتخلله كلام ، ولا يقطعه اعتذار فاليوم يوم العقاب لا يوم العتاب! سماه الله تعالى يوم الآزفة ، ويوم التناد ، ويوم الفصل ، ويوم النشور ، ويوم الدين ، ويوم البعث ، ويوم الحساب ، لكن الاسم الذي يزلزل القلوب ويورث الفزع ويهزّ المشاعر هو أن ذلك اليوم هو يوم الحسرة! يأمر الله نبيه وكل ورثته من الدعاة والواعظين أن ينذروا الناس ذلك اليوم الذي تتقطع فيه قلوب الغافلين حسرات ويكثر فيه الندم والزفرات. إنه يوم حسرة على الكافرين والظالمين والمعرضين حينما يبدو لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون. إنه يوم الحسرة والندامة! يندم الكافر على كفره ، والظالم على ظلمه ، والمقصّر في طاعة ربه على تقصيره ، ولكن لا ينفع الندم! (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) إنه يوم الحسرة ؛ لأنه يوم يعلو فيه البكاء والعويل ، وتكثر الأمنيات والتوسلات ، فما أكثر من يقول: (رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْت)! وما أكثر من يقول: (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)! وما أكثر من يقول: (لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)! إنه يوم الحسرة ، يومئذ يتذكر الإنسان الحقّ ويتعظ بما يرى ، ولكن بعد فوات الأوان وأنَّى له الذكرى! وحين تتجلى الحقيقة يقول: (يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)! إنها الآمال والأماني الضائعة التي فات أوانها وضاع ميعادها! (فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)! ولكن يا حسرة على العباد! تُتاح لهم فرص النجاة فيُعْرِضُون عنها ، ويَفتح الله لهم أبواب رحمته ولكنهم يتجافون أبواب الرحمة وهو يناديهم: (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ)! إنه يوم الحسرة ، وأيّ حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنّته ، واستحقاق سخطه ودخول النار! (يوْمَ يَنْظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرٰبًا)! إنه يوم حسرة على التابعين يوم أن يتبرأ منهم المتبوعون: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ

مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)! إنه يوم حسرة فيا حسرة مَن ينادي: (يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي)! ويا حسرة مسلمة أسلمت نفسها لدعاة الشهوات فأغروها بخلع الحجاب: (أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ)! إنه يوم حسرة على الظالمين ، يوم أن يأتوا بحسنات أمثال الجبال ويأتون وقد سفكوا دم هذا ، وأخذوا مال هذا ، وقذفوا هذا ، وضربوا هذا ، وآذوا هذا ؛ فيأخذ هؤلاء من حسناتهم وهؤلاء من حسناتهم ، فإن فنيت حسناتهم قبل أن يُقْضَى ما عليهم أُخِذَ من سيئاتهم فطُرِحَتْ عليهم ، ثم أُلْقُوا في النار! سيقول قوم: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) ، فيُجبَهم بعد مدة: (اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)! يوم يقول فيه المفـرِّط: (يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ)! أمنيات فاتتْ!

كـــم أمـــانٍ فـــي مَشـــهد التيـــه لاحـــتْ ... واشـــتكتْ مِـــن أصـــحابها واســـتجارتْ!

هـــل يعـــيشُ شـــهمٌ علـــى أمنيـــاتٍ ... دون بـــذل بـــه العـــزائمُ قامـــت؟!

إن نفســـاً تهـــوَى ســـرابَ التمنـــي ... دون ســـعي ، واللهِ ضَـــلتْ وخابـــت!

تحتفـــي دومـــاً بالضـــياع ، وتهـــذي ... وعلامـــاتُ الهـــزل فـــي الـــدرب بانـــت

والتـــرَدِّي عُقبـــى نفـــوس تـــدَنتْ ... والمآســـي بعـــد التـــدني اســـتبانت

لـــم تكـــنْ تُعطـــي للســـقوط احتمـــالاً ... غرَّهـــا العـــزمُ حـــين صـــالتْ وجالـــت

بعـــد مـــاذا كانـــت إفاقـــة (زيـــدٍ) ... ليـــت نفســـاً مِـــن غيهـــا مـــا أفاقـــت!

لا تعـــودُ ذكـــرى إذا مـــا تولـــتْ! ... هـــل تعـــودُ الأضـــواءُ إمـــا تلاشـــت؟!

كـــل درب حـــوى طيوفـــاً تُنـــاجي ... قلـــبَ مُشـــتاق إذ تهـــادتْ وغابـــت

كيـــف ينســـى الإنســـانُ أعـــذبَ ذِكـــرى ... كـــان يهـــوَى مُرورَهـــا يـــومَ طابـــت؟!

فـــي زوايـــا العُمـــر المُـــودِّع أنّـــتْ! ... والأنـــينُ ممـــا تُعانيـــهِ صـــامِت!

فـــي الفـــؤاد لهـــا اشـــتياقٌ يُسَـــلي ... مَـــن دعاهـــا للعَـــود لمَّـــا اســـتحالت

هـــل بهـــذا التـــذكير أي اعتبـــار ... بعـــدما الحـــالُ للترهـــل آلـــت؟!

لـــو تعـــودُ الـــذكرى بمـــال أعِيـــدَتْ! ... والعيـــونُ إمَّـــا رأتْهـــا اســـتكانت

كـــم تحِـــنُّ نفســـي لـــذكرى تمَضَّـــتْ ... بُعـــدُها يَكـــوي ، والعـــذاباتُ طالـــت!

أمنية كافور الإخشيدي!

(كثيرٌ من الناس يظن أن الأماني تصنع أصحابها! والعكس هو الحقيقة! فإن أصحاب الهمم العالية هم الذين يجتهدون حتى يحققوا آمالهم وطموحاتهم! بعد استعانتهم بالله تعالى بالطبع! وواحد من هؤلاء (كافور)! كان كافور الإخشيدي عبداً حبشياً ، وكان أسود اللون ، ولم يكن على سواده وسيماً ، بل كان دميماً قبيح الشكل ، مثقوب الشفة السفلى ، مشوه القدمين ، بطيئاً سَمِجاً ، ثقيل القدم! دخل مصر عبداً ليُباع في سوق النخاسين ، وبينما هو كذلك سأل رفيقاً له عن أمنيته ، وهما في ذات الظرف وذل الرق ، فقال رفيقه: "أتمنى أن أباع إلى طباخ لآكل ما شئت متى شئت"! أما كافور فقال: "أما أنا فأتمنى أن أملك هذه البلاد! تخيلوا يا قومنا! عبد في سوق النخاسين ، ويتنافس الناس لشراء حريته ، وهو يتطلع لحكمهم! ومرت السنوات ، وبيع كافور لقائد في الجيش ، فعلمه القائد أصول الجندية ، حتى صار فارساً مغواراً ثم قائداً عظيماً! ثم أصبح ملكاً وأحد حكام الدولة الإخشيدية ، لينال ما تمنى ، بينما صاحبه في المطبخ يأكل كما اشتهى ووقتما يحب! فالإخشيد اشترى كافوراً ، ورباه وأحسن تربيته ، ثم أعتقه ، ثم جعله من كبار قومه لما يمتلكه من حسن التدبير والحزم ، بل إن بعض المؤرخين يُعيد لكافور الفضل في بقاء الدولة الإخشيدية! ويكفي أن نعرف أن الفاطميين كلما عزموا على غزو مصر تذكروا كافوراً فقالوا: "لن نستطيع فتح مصر قبل زوال الحجر الأسود يعنون كافوراً! وأصبح كافور سنة ٩٦٦ م والياً على مصر ، حيث حكمها ، ثم توسع إلى بلاد الشام ، ودام حكمه لمدة ٢٣ عاماً! اشتراه في عام 923 م محمد بن طغج مؤسس الأسرة الإخشيدية كرقيق من الحبش ، وكان مخصياً وكان أسود اللون ، ولم يكن كافور وسيماً ، بل كان دميماً قبيح الشكل مثقوب الشفة السفلى مشوَّه القدمين بطيئاً ثقيل القدم ، فوقع في يد أحد تجار الزيوت فسخره في شؤون شتى. وقاسى كافور الأمرين ، ولقي الكثير من العنت من سيده. حتى إذا خرج من تحت قبضة سيده ، ووقع في يد محمود بن وهب بن عباس الكاتب ، فعرف كافور السبيل نحو القراءة والكتابة ، فنفض يديه متاعب المعصرة وأدران الزيت ، فالسيد الجديد ابن عباس الكاتب الإخشيدي هذا كان موصولاً بمحمد بن طغج ، ويعرفه منذ كان قائداً من قادة (تكين) أمير مصر وقتها ، وقبل أن يصبح ابن طغج على حكم مصر. حمل كافور هدية من مولاه إلى ابن طغج ، فعينه الإخشيد كمشرف على التعاليم الأميرية لأبنائه ، ورشحه كضابط في الجيش المصري. وكان يفضل البقاء والإخلاص لسيده ، ليس طمعاً في إرثه أو هداياه كما فعل بقية الناس ، وعندما انتبه سيده لذكائه وموهبته وإخلاصه ، جعله حراً وأطلق سراحه. وأرسلَ كافورٌ كقائد عسكري في عام 945 م لسوريا ، كما أرسل ليقود حملات أخرى في الحجاز ، كما أن له خلفية بالترتيبات والشؤون الدبلوماسية بين الخليفة في بغداد والأمراء الإخشيديين. وأصبح الحاكم الفعلي لمصر منذ 946 م ، وذلك بعد وفاة محمد بن طغج (كوصي على العرش) وتوفي في القاهرة ، كما أنه دفن في القدس. على الرغم من أن المؤرخين وصفوه بأنه حاكمٌ عادلٌ ومعتدل ، إلا أن شهرته ارتبطت بالقصائد الساخرة الموجهة ضده من قبل المتنبي الشاعر الأكثر شهرة عربياً! ومن المشهور عنه كذلك رعايته للأدب ، فلقد اكتسب شعبية بين العلماء والأدباء ويجد راحته مع العلماء والشعراء. وكان يحيط نفسه برجال الدين وأكرمهم بالكثير من الهدايا. وعرف برعاية المهرجانات ، وقام المتنبي أحد أشهر الشعراء المعاصرين له بمدحه ، ومع ذلك لم يكافئه (أبو المسك كافور) بمنصب رفيع ، ولم يمنحه الهدايا المنشودة ، فسخر منه وهجاه ، وكان من أشهر أبيات الشعر التي هجا بها المتنبي كافوراً قوله: (لا تشتر العبد إلا

والعصا معه ** إن العبيـد لأنجاس مناكيـد!) وارتبط بزوغ كافور في الدولة الإخشيدية بالظروف السياسية لهذه الدولة ، فقد استطاع أن يدير دفة الدولة عقب وفاة محمد بن طغج الإخشيد ، حيث إن أنوجور (محمود) بن محمد بن طغج كان لا يزال صبيًا في الخامسة عشرة من عمره ، ويروي أن كافور لم يكن ليتيح لأونوجور هذا الفرصة كي يمرن نفسه على الحكم فيفيد منه ، ولم يكن ليدعه يظهر للناس حتى لا يعرفوه ، فأفل نجم أونوجور سريعاً ليسطع نجم كافور الذي دعا له الخطباء على المنابر دون أونوجور ، في الوقت الذي كان ينال فيه أونوجور ما خصصه له كافور من مال بلغ أربعمائة ألف دينار في العام! وآلت الأمور لكافور الذي ملك السلطة والمال في يده ، وضاق الأمر بأونوجور وقتها ، فترك العاصمة وادعى بأنه سيخرج للهو والصيد ، فاتجه إلى ناحية الرملة بأرض [فلسطين] ليمكن نفسه ويجمع شتات من حوله ومن هم بَرِمُون بأبي المسك كافور ، وفي قرارة نفسه ونيته انتزاع ما سُلب من ملكه ، ولكن أماً لأونوجور كانت أبصر من ابنها رأت بأن الضجر بكافور لم ينته إلى قلوب كثيرة من ذوي النفوذ ، والجند على الدوام رهنٌ بأرزاقهم يعطون قلوبهم حيث يضمنونها ، ورأت أن ما في خزائن ابنها لا يكفي ، فهو شيء قليل لا يكاد أن يكفي ما هم طامعون فيه ، فحذرت ابنها من مغبة الهزيمة ، ورأت في الوقوف إلى جانب أبي المسك كافور مزية ومكسباً لأسرتها ، وهنا نجد أن كافور قد تنازل عن جانب من كبريائه ، وبطيب خاطر كتب لأونوجور يسترضيه ويمنيه. ولكن الملك الصغير كان قد نسي مسألة الملك هذه وقنع بما يصله من دريهمات ، وهنا أصبحت الأمور جادة وبقي كل شيء في يدي أبي المسك من جديد ، وظل الأمر هكذا حيث مات أونوجور عن عمر يناهز الثلاثين عاماً وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين من الهجرة ، عاش منها كافور في ظل أونوجور سلطاناً حقيقياً ممسكاً بكل مقاليد الحكم مدة أربعة عشرة عاماً ، وقيل أن كافور دس له السم ليستريح منه وليزيحه من طريقه ، فتولى من بعده أخوه علي بن الإخشيد الذي كانت نفسه تمتلئ رعباً من سطوة كافور وشدة بأسه ، وكافور يعطي لعلي بن الأخشيد مثلما كان يعطيه شقيقه أونوجور في السابق ، ولكن السلطة التي قبض عليها كافور بشدة جعلته يُضيق الخناق عليه فلم يتركه يظهر للشعب مما جعل الصبي ينحدر إلى حياة اللهو والدعة ، ثم اتجه للانقطاع للعبادة يجد فيها سلواه ، حتى إذا أرهقته العبادة شمر عن ساعديه ليبحث عن حقه المسلوب يطلبه ، فما كان من كافور إلا أن عجل بموته بعد أن دس له السم أيضاً.ولكن أخبار (السم) الذي دسه كافور لعلي بن الإخشيد ولأخيه (أونوجور) من قبل ، لم يوثقها أحد من المؤرخين الثقات! ولم يحصل كافور على تفويض من قبل الخلافة العباسية في أول الأمر. ولكن مدحه بنو العباس فيما بعد ، ورأوا أن خطراً لا يأتي منه! بيد أنه لم يواجه اعتراضًا من قبلها ، وكان يلقب بالأستاذ ، ويكنى بأبي المسك ، وكانت السياسة الخارجية لكافور استمرارًا لسياسة محمد بن طغج الإخشيد في الحفاظ على علاقة متوازنة مع كل من العباسيين والفاطميين! وبصفة عامة ، فقد كان قريبًا من قلوب المصريين لكونه سخيًا كريمًا ؛ وينظر بنفسه في قضاء حوائج الناس والفصل في مظالمهم ، وفي عهده بدأ نشاط دعاة الفاطميين للأسف في مصر. وشغل أبو المسك كافور دولة بني الإخشيد قرابة واحداً وعشرين سنة أو تزيد ، كانت هذه الدولة قد دام حكمها لمصر مدة أربعاً وثلاثين عاماً ، عاش كافور يدبر أمور الحكم في الدولة مع مولاه ، حتى قيل أن هذه الدولة ما حكمت بقدر ما كان الحكم فيها لكافور ذاته ، بل ويمكن القول أن دولة بني الإخشيد هي التي سوت الطريق وجعلته ممهداَ ليفتح سبيل حكم مصر أمام هذا الرجل ، الذي ملأ مكانه كما لم يملأه أحد من قبله ، حتى أنه

شغل شعراءها ، فنجد شاعراً بقامة أبي الطيب المتنبي مدح كافوراً فأنصفه ، وحين انقلب عليه وهجاه لم ينصفه! وعلى هذا فيمكن وصفه بالمرتزق بالشعر أكثر منه بالشاعر المتجرد! واحترتُ جداً ، وأنا أريد الكتابة عن عظيم أمنية (كافور) ، واحترتُ أكثر وأنا أجمع الأخبار التي تناقض أكثرُها ، ولم يوثقْ أغلبُها! فرشحتُ للكتابة الأخبارَ الموثوقة المقطوعَ بصحَّتها فقط!)

للمُلـــــكِ فـــــي أصـــــحابه تـــــأثيرُ ... مَجـــــدٌ تمنـــــى نيلـــــه (كـــــافورُ)!

إن المُنـــــى كـــــم تصـــــطفِي أربابَهـــــا! ... وبهـــــم تلـــــفُّ مطـــــامحٌ وتـــــدور

وتُـــــداعِبُ الآمـــــالُ مَـــــن يحيـــــا لهـــــا ... ولهـــــا نســـــيمٌ فـــــي الـــــدلال عطيـــــر

أســـــألت نخاســـــيهِ مـــــا أثمانُـــــه؟! ... عبـــــدٌ يُبـــــاعُ ، ومـــــا لـــــه تســـــعير!

ومَـــــن اشـــــتراه فقائـــــدٌ ذو همَّـــــةٍ ... خبَـــــرَ الرجـــــالَ ، لـــــه بهـــــم تنظيـــــر!

ورأى بـــــ (ـــــكافور) خِـــــلالَ رجولـــــةٍ ... هـــــذي الخِـــــلالُ يُعِزهـــــا التحريـــــر

شـــــكرَ الشـــــراءَ لســـــيدٍ متفضـــــل ... وجميلـــــه بـــــين الـــــورى مَقـــــرور

واهـــــتمَّ لـــــم يتركْـــــه عبـــــداً مُهمَـــــلاً ... وفـــــؤادُهُ كالقِـــــدر حـــــين يَفـــــور!

بـــــل علـــــمَ العبـــــدَ الرمايـــــة ، فاســـــتمى ... ونمَـــــتْ لديـــــه مَقاصِـــــدٌ وأمـــــور

وتعلـــــمَ الجُنديـــــة ابتشـــــرَتْ بـــــه ... وتعلـــــمَ المِغـــــوارُ كيـــــف يُجيـــــر

وســـــلوكُه الهيجـــــاءَ مُعتـــــركٌ لـــــه ... - إمـــــا أغـــــارَ علـــــى العـــــدا – تـــــدبير!

والفـــــذ (إخشـــــيدُ) الـــــديار لـــــه حِجـــــا ... إذ علّـــــمَ (الكـــــافورَ) كيـــــف يُـــــدير

ربَّـــــاهُ تربيـــــة تعـــــذر وصـــــفها ... فالعبـــــدُ فـــــي قلـــــب النظـــــام وزيـــــر!

(كـــــافورُ) أمَّـــــلَ مُلـــــكَ دار بـــــاذلاً ... جهـــــداً إلـــــى أنْ جـــــاءه التـــــأمير!

مـــــا انفـــــك يَختبـــــرُ التحمُّـــــلَ والقـــــوى ... ويَجـــــدُّ فيمـــــا يبتغـــــي ويثـــــور

مـــــازالَ يرســـــلها شـــــرارة طـــــامح ... يســـــعى ، ولـــــيس علـــــى الحقـــــوق يجـــــور!

مـــــازال يَـــــدْأبُ فـــــي اصـــــطبار دائـــــم ... ويَســـــوقُ رأيـــــاً للمَـــــلا ويُشـــــير

مـــــازال يقـــــتحمُ الصِّـــــعابَ غضـــــنفراً ... لـــــم تعضُـــــل البطـــــلَ الهُمـــــامَ ثغـــــور

الفـــــارسُ المِغـــــوارُ تصـــــقله القنـــــا ... والقائـــــدُ المِقـــــدامُ بـــــات يُغيـــــر

الفـــاتحُ الغـــازي تُشـــرِّفه الـــوغى ... ويُثيـــرُ خـــاطرَه الجســـورَ نفيـــر!

والجُنـــدُ فـــي الميـــدان طـــوعُ بنانـــه! ... أسَـــدٌ علـــى خيـــر الجنـــود هَصُـــور

أبقـــى علـــى (الإخشـــيد) دولتـــه التـــي ... كـــم غالهـــا التضـــييعُ والتتبيـــر!

واســـتقرئ التـــاريخ عـــن غزواتـــه! ... فـــالفتحُ بعـــد الفـــتح ، والتبشـــير!

وســـل الـــروافضَ أدركـــوا ســـلطانه ... وبأنـــه إمَّـــا غـــزا منصـــور

وكـــم ارتجـــوا موتـــاً يـــزف زوالـــه ... أو أن يكـــون لمُلكـــه التـــدمير!

مُتشـــيعون ، ويَـــدَّعون شـــرافة ... فهـــل الشـــرافة يـــا غثـــا (دِيكـــور)؟!

برئـــتْ مِـــن الضُّـــلّال (فاطمـــة) الهُـــدى ... هـــذا انتســـابٌ يَعتريـــه الـــزور

قـــالوا عـــن (الكـــافور) أســـوأ قـــولهم ... وهـــمُ العُتـــاة المجرمـــون البُـــور!

حَجَـــراً رأوهُ أســـوداً مُتغلبـــاً ... فـــي حُكـــم (مصـــرَ) ، وفـــي لقـــاهُ شـــرور!

لكنـــه بالعـــدل قـــاد ديـــاره ... والمـــالُ فـــاضَ بمصـــرَ ، والتيســـير!

هـــذا هـــو التـــاريخ أصـــدقُ شـــاهدٍ ... لمـــن اشـــتهى حقـــاً ، فـــلا تزويـــر!

نـــادى المنـــادي مَـــن يريـــد زكاتنـــا ... والنـــاسُ قـــالوا: حالنـــا ميســـور!

وبعهـــده أعطـــى التوسُّـــعَ حِصـــة ... وعلـــى بـــلاد الشـــام كـــان ظهـــور

وعلـــى (الحجـــاز) تكثفـــتْ حَمَلاتُـــه ... لمَّـــا يكـــنْ فيهـــا وَنـــىً وفتـــور

عقـــدان فـــي حكـــم الـــبلاد فمـــا اشـــتكى ... فـــردٌ ، ولـــم يـــكُ فـــي الـــديار فقيـــر

هـــي ســـيرة (الأســـتاذ) عـــاطرة الشـــذى ... مهمـــا تطـــاولَ حاقـــدٌ مَوتـــور

هـــذا (أبـــو المســـكِ) الكـــريم عطـــاؤه ... هـــو بـــالألى افتقـــروا إليـــه خبيـــر

هـــو عظـــمَ العلمـــاءَ ، أكـــرمَ شـــأنهم ... فـــي باحـــة القصـــر العظـــيم بُـــدور

حلقـــات علـــم لا تســـلْ عـــن حســـنها ... ودروسُ فقـــهٍ شـــرحُهن يَســـير

هـــو قـــرَّبَ الشـــعراءَ ، تـــاقَ لشِـــعرهم ... ورعـــى القصـــيدَ كأنـــه الجمهـــور

ومواقـــفُ (المتنبـــيْ) لـــيس تعيبُـــه ... بـــئسَ القصـــائدُ مـــا بهـــا تـــوقير

المـــدحُ كـــان لجلـــب داعيـــة الغِنـــى ... والـــــذمُّ كـــــان وراءه التقتيـــــر!

وإذن فمرتـــــــزقٌ يُؤمـــــــلُ حَصـــــة ... مِـــن مـــال مَـــن أودى بـــه التعييـــر!

وإذا القصـــائدُ أســـفرتْ عـــن رجســـها ... وعـــلاجُ مَـــن أدلـــى بهـــا التعزيـــر!

يـــا ســـيدَ (الأحبـــاش) صِـــيتُك طيـــبٌ ... ولأنـــت ممـــا قيـــلَ فيـــك طهـــور

واســـألْ (بنـــي العبَّـــاس) عـــن مـــدح الـــذي ... نصـــرَ الحنيفـــة ، واحتوتْـــه الـــدور!

ولـــه بمصـــرَ رَعِيـــة فخـــرتْ بـــه ... والشـــعبُ ممـــا شـــاده مبهـــور!

(كـــافورُ) عـــانى ظلـــمَ أســـيادٍ مضـــوا ... كـــم عـــذبوه ، ولـــم يكـــنْ تبريـــر!

لـــم يـــنسَ تـــاجرَ زيتـــه وعصـــيره ... خابـــتْ تجارتُـــه ، وخـــابَ عصـــير!

قاســـى مِـــن الجَـــور الكثيـــرَ ، فمـــا اعتـــدى ... والعـــادلُ المحبـــوبُ لـــيس يجـــور!

لكنمـــا (الإخشـــيدُ) قـــدَّرَ جُهـــدهُ ... ولكـــل فـــذٍ مُحســـن تقـــدير

لمَّـــا يكـــنْ (كـــافور) يقـــرأ أســـطراً ... وكـــذاك لـــم يكتـــبْ ، فحـــلَّ النـــور!

إذ علّـــمَ (الإخشـــيدُ) عبـــداً مخلصـــاً ... فـــتلا وسَـــطرَ ، واســـتمى التســـطير!

ورفيـــق (كـــافور) ضـــحية بطنـــه ... وطموحُـــه نـــارٌ زكـــتْ وقـــدور!

وتحقـــق الأمـــلُ الـــذي هـــو رامَـــه ... فـــالبطنُ ممـــا قـــد حـــواه قريـــر

ورفيقـــه (كـــافورُ) أدرك مـــا ارتجـــى ... المُلـــكُ جـــاء ، لـــذا اســـتراحَ ضـــمير

للأمنيـــات صِـــحابُها ودروبُهـــا! ... إن الـــذي يهَـــبُ الأنـــامَ قـــدير!

أول القصيدة كُفر!

(يُحكي أنه في عصر الدولة الفاطمية بمصر في زمن حُكم المعز لدين الله الفاطمي ، وعندما وطأت قدمه أرض مصر ، مدحه الشاعر الأندلسي ابن هانئ بقصيدةٍ لينال عطية منه قال في مطلعها الكفري الشركي:-

مـــا شِـــئت ، لا مـــا شـــاءت الأقـــدارُ! فـــاحكم فأنـــت الواحـــدُ القهـــارُ

وكأنمـــــا أنـــــت النبـــــي محمـــــدٌ وكأنمـــــا أنصـــــارُك الأنصـــــار

أمعـــــز ديـــــن الله إن زماننـــــا بـــك فيـــه بـــأوٌ - جـــلَّ - واســـتكبار

هـــا إن مصـــر غـــداة صـــرت قطينهـــا أحـــرى لتحسُـــدها بـــك الأقطـــار

ولما سمع المصريون القصيدة والتي بها العديد من المبالغات الكفرية في مدح المعز ورفع مرتبته لدرجة الذات الإلهية ، قالوا في صورة ساخرة: (أول القصيدة كفر). وبذلك سار مثلاً نقوله عندما يبدأ شخص ما كلامه بشئ غير منطقي ، فيرد عليه الآخر معترضاً: أول القصيدة كُفر! وفي محاضرة عنوانها: (مقدمات عن الشعر العربي) يقول الأستاذ حامد الطاهر ما نصه بتصرف: (هناك علاقة وثيقة بين الشعر والفكر ، أو بالأحرى دور الفكر فى الارتقاء بمستوى الشعر . والواقع أن قصيدة خالية من الفكر ، أو حتى من لمسة بسيطة منه ، لن تكون أكثر من صرخة فرح ، أو نوبة بكاء ، أو انفجارة غضب ، أى مجرد انفعالات متناثرة يطلقها إنسان فى حالة غير طبيعية. أما الفكر فهو الذى يضبط عشوائيه الانفعالات ، ويجعلها تتماسك فى بناء فنى يجعل منه نمطاً إنسانياً يتشارك فيه مع الشاعر كل من يتلقى قصيدته ، ويكون قد مرّ بنفس التجربة التى مرّ بها. وقد قارن أحد النقاد بين شعراء اللفظ ، وشعراء الفكرة فقال ساخرًا: إن شعراء الألفاظ وحدها يغارون. تماماً كما تغار الزجاجات الفارغة من الزجاجات الممتلئة! وقال نيتشه: إن الشاعر يحمل منتصراً أفكاره فى عربة الإيقاع ، لأن هذه الأفكار في العادة لا تستطيع أن تمشي على قدميها. وقال بول فالبرى: إن الشاعر الحقيقى هو الذى تنبع أفكاره من خلال المعاناة المرتبطة بفنه الشعري. وأخيرًا يقول كومبرسون: إن أبيات القصيدة عبارة عن زنزانات فى سجن ، توجد الأفكار داخلها فى خزائن! ونسأل ونجيب: ما هو دور الشعر فى حياة الناس؟ من الممكن جدًا أن يعيش بعض الناس ، بل الكثير منهم بدون الشعر. فهو ليس خبزًا يومياً ، لكنه يمثل لطائفة من الأفراد ، فى كل العصور والمجتمعات – قدرًا من الإمتاع الذى يتمثل فى روح المشاركة. فأنت عندما تجلس فى رحلة قطار أو طائرة بجوار شخص ، من أى مكان فى العالم ، وتكون لديه بعض أفكارك وتصوراتك تحسُّ بقدر كبير من الراحة ، بل من السعادة. ونفس الأمر يحدث عندما تقرأ أو تستمع إلى قصيدة شاعر من بلدك ، أو حتى من أى مكان فى العالم ، ثم تجده قد صور فيها شعورًا مر بك ، أو إحساسًا عانيته يوما ، أو فكرة جميلة طافت برأسك ذات مرة – فإنك تنجذب إلى تلك القصيدة ، ويسعدك أن تكررها مرارًا! لكن كما يكون بعض الشعر رقيقًا وناعمًا ، تقرأه وأنت فى سريرك قبل النوم ، يمكنه أيضًا أن يكون وحشياً وثورياً (وهذا ما يخيف منه السلطات) وكم استمعنا وشاهدنا بعض الهتافات (الشعرية) التي كانت تتردد فى مختلف ميادين بقعةٍ ما ، وهى بإيقاع موزون ، وذات قافيه محكمة ، وكيف

كانت الملايين ، وليس الآلاف ، ترددها بحماس وإصرار حتى تحققت مطالبهم بإسقاط الواقع البئيس الصارم ، الذى استمر لمدة ثلاثين عاماً. وفي اعتقادى أن الذين صاغوا تلك الهتافات هم شعراء على مستوى عال من الشاعرية ، ومشكلة النقاد عندنا أنهم لا يلتفتون إليهم ، ويتركونهم يغيبون فى زحمة الأحداث دون أن يسجلوا أسماءهم وأعمالهم في صفحة ناصعة من التاريخ الأدبى للوطن).هـ. وأنا كمصري استهجنتُ ما قاله ابن هانيء في المعز الفاطمي العبيدي المُتشيع الخبيث ، غير أن استِهجاني أخذ عنوان: (أول القصيدة كفر) والذي استلهمتُه من قومي المصريين ، وصُغتُه شعراً يحمل مثلَ الكلمة التي قالوها يصفون بها نص ابن هانئ الأندلسي! وأعوذ بالله تعالى من ابن هانيء ومن أبياته الكفرية التي قالها ، وأصحح المفاهيم!)

مـــا شـــاء ربـــك ، لا مـــا شـــاء مَـــن خلقـــا! والحُكـــمُ حكـــمُ الـــذي عِبـــادَه رَزقـــا!

قـــولُ (ابـــنِ هـــانئَ) كُفـــرٌ لا اعتـــدادَ بـــه وفـــي ثنايـــاه إنْ حققـــت فيـــه شَـــقا

ولا يُـــرَدِّدُه فـــي النـــاس ذو رَشَـــدٍ إلا إذا بـــات بالإســـلام مرتزقـــا

أفتـــى خُزعبلـــة ، والشـــعبُ ضـــاقَ بهـــا ذرعـــاً وذاع علـــى المســـحور بعـــضَ رُقـــى

إذ لا يقـــولُ الـــذي يقـــول مُتـــزنٌ فـــي قلبـــه لمليـــك النـــاس أيُّ تقـــى

ولا يُقِـــرُّ بهـــذا الكفـــر ذو خلـــق إلا إذا وَدَّعَ الإيمـــانَ والخلقـــا

إن العقيـــدة تُعلـــي مَـــن يعـــيشُ لهـــا وينصـــرُ الحـــق مَـــن مِنهاجـــه اعتنقـــا

وصـــاحبُ الـــدين لا تلقـــاهُ مُنبطحـــاً بـــل فـــارسٌ ضـــربٌ يُصـــارعُ النزقـــا

مَـــن يَرْقـــعُ الـــدين بالـــدنيا أســـيرُ هـــوىً وكيـــف يُفلِـــحُ ذو عقـــل إذا فســـقا؟!

ولا يُفـــرِّط شَـــهمٌ فـــي شـــريعته لأنـــه لهـــدى تطبيقهـــا خلِقـــا

ولا تهـــونُ علـــى ذي الحـــق عِزتـــه وإن غـــدا جســـمه فـــي صَـــونها مِزقـــا

يَســـتعذبُ الحُـــرُّ مـــا يُؤذيـــه مـــن مِحَـــن ولا تـــراه إذا حَـــلَّ الـــبلا فرِقـــا

وذو المبـــادئ لا تُلـــوى عزيمتُـــه يبقـــى عزيـــزاً ، وإلا فالحِمـــامُ بَقـــا!

والشـــاعرُ الحـــقُّ مَـــن سَـــمَتْ مَناقِبُـــه ولا يعـــيشُ لجَمـــع المـــال مُســـتبِقا

فكـــم تحـــدَّى لكـــي ترقـــى قضـــيته! وكـــم لنصـــرتها حُســـامَه امتشـــقا!

وكـــم أبـــانَ مفاهيمـــاً ووضـــحها لأن فـــي عقلـــه لبســـطها أفقـــا!

وكـــم تعقـــبَ أخبـــاراً ، وحققهـــا! وعـــابَ ناشـــرَها ومـــن بهـــا وثقـــا!

وكـــم تكبَّـــدَ آلامـــاً ، وغـــصَّ بهـــا! وكـــافحَ الجهـــلَ والإعـــراضَ والخرقـــا!

وكـــم ترفـــعَ عـــن دنيـــا تُســـربله! وغيـــرُه فـــي دجـــى بحورهـــا غرقـــا!

وكـــم تحمَّـــلَ تهديـــداتِ ذي سَـــفهٍ وصَـــهدَ نـــار علـــى شـــفيرها احترقـــا!

وكـــم تلظـــى بتضـــييق الألـــى حكمـــوا! فهـــل زنـــى يـــا ولاة الأمـــر ، أو ســـرقا؟!

وحـــاكموه علـــى الأشـــعار أنشـــدَها تُحِـــق حقـــاً ، ونِعـــم الحـــقُ مُرتفقـــا!

ونـــاولوه مـــن الإقصـــاء حِصـــته فجابـــه النفـــيَ والتشـــهيرَ والمِشَـــقا

وأســـلموه إلـــى التهمـــيش كـــبشَ فِـــدا عمـــداً. ففاســـى الضـــنا والكبـــت والقلقـــا

والشـــاعرُ الســـاقط المـــرذولُ بُغيتُـــه مـــالٌ ، ليُكسِـــبَه قريضُـــه حـــذقا

لا يُنشـــد الشـــعرَ إلا أن ينـــال بـــه دراهمـــاً جعلـــتْ لســـانه لبقـــا

يُطـــوِّعُ الشـــعرَ للطـــاغوت مفتخـــراً ولـــيس يخجـــلُ لـــو حِـــذاءَه لعِقـــا

وقـــد يُؤلهـــه بـــلا مؤاخـــذةٍ وإنْ يُراجَـــعْ علـــى مَـــن راجـــعَ انحمقـــا

يقـــول: مـــا شـــئت لا مـــا شـــاء خالقنـــا والحكـــمُ حكمُـــك لا تســـتعتب الفرَقـــا!

والصـــحبُ صـــحبُك أتبـــاعٌ لقائـــدهم وبـــايعوك ، وصـــاروا بعـــدها حِلقـــا!

أنـــت النبـــيُّ ، وهـــم أنصـــارُ أســـوتهم وكـــل فـــردٍ علـــى تمكينـــك اتفقـــا

مثـــل (ابـــن هـــانئ) والتـــاريخ ســـجَّلها يَـــذرُّ فـــي نصـــها التغييـــرَ والحَنقـــا

وإن (أندلســـاً) تأســـى لكبوتـــه وســـاء شـــعراً غفـــا! وســـاء منطلقـــا!

ومنـــك (أنـــدلسُ) القصـــيد قـــد بَرئـــتْ تـــراك عبـــداً مـــن التوحيـــد قـــد مرقـــا!

وســـوف تلقـــى بمـــا نظمـــت خالقنـــا ولـــن يطيـــب بمـــا جازفـــت فيـــه لقـــا!

وســـوف تنـــدمُ أن ألهـــت مبتـــدعاً فـــؤادُه لـــم يكـــن يحظـــى بـــأي نقـــا!

يهـــوى التشـــيعَ مُعتـــزاً بباطلـــه وفـــي الضـــلال لـــه بـــين الـــورى رُفقـــا!

بأولادي ارتقيت!

(يقول هذا الرجل المكافح المحترم: لم أخبر أولادي قط عن ماهية وظيفتي ، وذلك لوضاعتها وإن كانت مباحة ، ويُبرر: لم أرد يومًا أن يشعروا بالخجل بسببي. فعندما كان يسألني ابني الصغير عن عملي ، كنت أخبره - بتردد - أني مُجرد عامل يدوي أعمل بنظام اليومية يا بني. وقبل أن أعود إلى منزلي يوميًا ، اعتدت الاستحمام في أحد الحمامات العامة ، حتى لا يعرفوا ماذا كنت أفعل! وأردتُ إرسال جميع أبنائي إلى المدرسة في الحي الذي أسكن فيه ، وأردت تعليمهم ، وأردتهم أن يقفوا أمام الناس بكل كرامةٍ واعتزاز. لم أُرد أن ينظر إليهم أحد باحتقار ، كما يفعل الناس معي ، لقد اعتادوا على إهانتي دومًا! وادخرت كل قرش ممكن من دخلي من أجل تعليم أبنائي. لم أشتر قميصًا جديدًا قط ، فبدلًا من ذلك كنت أشتري كتبهم الدراسية. "كنت أحاول المحافظة على الاحترام" ، وهذا ما تمنيت أن يكنّوه لي ، في الحقيقة ، وكوني عامل نظافة قد لا يجعلهم يفخرون بي ، فضلاً عن أن يحترموني! وفي اليوم السابق لموعد تقديم ابني الأول في الجامعة ، لم أتمكن من توفير رسوم القبول لها ، ولم أستطع العمل في ذلك اليوم. فجلست بجوار القمامة محاولًا أن أخفي دموعي. وكان زملائي ينظرون لي ، ولكن لم يقترب مني أحدٌ منهم أو حاول التحدث معي. لقد فشلت في تحقيق حلم ابني بدخول الجامعة ، وكنت أشعر بالحزن وانكسار القلب. ولا أعلم كيف سأواجه ابني اليوم ، وكيف سأجيبه عندما يسألني عن تلك النقود بمجرد دخولي المنزل! لقد ولدتُ فقيرًا ، وكنت مؤمناً أنه لا يمكن أن يحدث شيء جيد لشخص فقير ، وخاصة لشخص مثلي. وبعد العمل ، تقدم نحوى جميع زُملائي وقبل أن يتحدثوا بشيء ، جلسوا إلى جواري على الأرض وسألوني عن سلوكي الغريب ، فأخبرتهم بالحقيقة! فأسفوا لذلك ، وسألوني: هل تعتبرنا إخوة لك؟ وقبل أن أجيب ، وجدتهم يمدون إليّ أجر عملهم في ذلك اليوم. وعندما رفضت ، واجهوني قائلين: سنجوع اليوم إذا تطلب الأمر ، لكن لا بد أن يذهب ابننا إلى الجامعة ، فانهمرت عيناي بالدموع ، وخنقني البكاء ولم أستطع الرفض! وفي ذلك اليوم ، لم أذهب للاستحمام - كعادتي - قبل العودة إلى المنزل. فقد رجعت كعامل النظافة المُتسخ الذي كُنت عليه دومًا ، فلقد دخلتُ البيت في عُجالة من أمري! وعرف أبنائي الحقيقة حقيقة أبيهم! ومرتِ الأيام والسنون! والآن ، ها هو ابني على وشك الانتهاء من دراسته الجامعية. ثلاثة منهم لم يسمحوا لي بالذهاب للعمل مرة أخرى. فابني لديه الآن عمل بدوام جزئي بجانب الجامعة والثلاثة الآخرون لديهم منح جامعية مجانية! وأحيانًا ، يأخذني ابني لمكان عملي القديم ، من أجل تقديم الطعام لكافة زملائي القدامى. وأحدهم وجد الأمر مُضحكًا وسأل ابني: لماذا تُقدم لنا كُل هذا الطعام يا بُني؟! فأخبرهم ابني قائلاً بكل فخر: إن جميعكم تضورتم جوعًا يومًا حتى أستطيع أن أصير ما أنا عليه الآن ، فأدعو الله أن أتمكن من إطعامكم جميعًا كُل يوم! فسررت بمقالة ابني التي جاءت ارتجالية صادقة دون إعداد أو تحضير أو توقع! فكيف أكون فقيراً وأنا أمتلك أبناء كهؤلاء؟! إنني فخور كل الفخر بهم! لقد ارتقيتُ مرتقىً صعب المال بأولادي واجتهاداتهم وإنجازاتهم الرائعة المبهرة! فبارك الله تعالى فيهم ولهم وعليهم!)

إن مشـــــــوار حيـــــــاتي مُوبِـــــــقُ وبـــــــه الآلامُ ليســـــــتْ تُشـــــــفِقُ

والمحطـــــــاتُ علـــــــى الـــــــدرب شـــــــقا وابـــــــتلاءاتٌ وفقـــــــرٌ مُطبِـــــــق!

وعـــــــذاباتٌ تســـــــامى وصـــــــفها ... وانكســـــــارٌ بإبـــــــائي مُحـــــــدق!

عامـــــــلٌ تُعطـــــــى لـــــــه (يَوميـــــــة)! ... والتكـــــــاليفُ مَـــــــداها يَصـــــــعَق

تســـــــحقُ العيشـــــــة هـــــــذي هـــــــامتي! ... والمطاليـــــــبُ اعتـــــــزازي تســـــــحق

لســـــــتُ ألقـــــــى المـــــــالَ يكفـــــــي عَيشـــــــهم ... أشـــــــتهي مـــــــالاً علـــــــيهم يُنْفِـــــــق!

كـــــــم أضـــــــحِّي كـــــــي أراهـــــــم ســـــــادة ... ولـــــــذا أعطـــــــي لهـــــــم مـــــــا أرزق!

تلـــــــك مســـــــؤوليتي لا ترعـــــــوي ... لضـــــــحايا فـــــــي لظـــــــى العـــــــيش شَـــــــقوا

كـــــــم سَـــــــهرتُ الليـــــــلَ أشـــــــكو باكيـــــــاً ... لمليـــــــك النـــــــاس حـــــــالاً يُوبـــــــق!

كـــــــم لكســـــــب القـــــــوت نيلـــــــتْ عِزتـــــــي ... ربمـــــــا لـــــــم يلـــــــق ذا مَـــــــن يســـــــرق!

كـــــــم ســـــــمعتُ مـــــــن كـــــــلام ســـــــاقطٍ ... لـــــــيس عـــــــن أفحـــــــش قـــــــول يَفـــــــرق!

كـــــــم خزايـــــــا فـــــــيَّ بـــــــاعوا واشـــــــتروا ... بـــــــافتراءٍ جُلـــــــه لا يَصـــــــدُق!

كـــــــم تحملـــــــتُ البـــــــذاءاتِ اعتـــــــدتْ ... دون حـــــــق ، والتجنـــــــي مَزلـــــــق!

وأنـــــــا جنبـــــــتُ أولادي الأذى ... كـــــــم بهـــــــم رغـــــــم ابتئاســـــــي أرفـــــــق!

لـــــــم أكـــــــن أرجـــــــو لهـــــــم أن يُكسَـــــــروا ... إن قلبـــــــي بالســـــــجايا يَخفـــــــق

لـــــــم أشـــــــأ يومـــــــاً لهـــــــم أن يُجرَحـــــــوا ... قـــــــد كفـــــــى حـــــــالٌ ضـــــــنيكٌ ضـــــــيق

وإذا تعـــــــويضُ ربـــــــي راقنـــــــي ... وعطـــــــاءُ الله غيـــــــثٌ مُغـــــــدق

وفـــــــقَ المـــــــولى عِيـــــــالاً أخلصـــــــوا ... فـــــــي ذرى العليـــــــاء هـــــــا هـــــــم حلقـــــــوا

فعلـــــــى التوحيـــــــد شـــــــقوا دربهـــــــم ... لسِـــــــوى التوحيـــــــد هـــــــم لـــــــم يُخلقـــــــوا

خمسَـــــــهم صـــــــلوا علـــــــى أوقاتهـــــــا ... ولهـــــــم سَـــــــمتٌ جميـــــــلٌ شـــــــيق

واســـــــتقاموا دون إخـــــــلال بمـــــــا ... شـــــــرع الـــــــرحمن حتـــــــى يســـــــبقوا

شـــــــرفوني باجتهـــــــادٍ واضـــــــح ... إنهـــــــم شـــــــمسٌ علينـــــــا تُشـــــــرق!

وبـــــــأولادي ارتقيـــــــتُ للعُـــــــلا ... فـــــــي يـــــــدٍ مَجـــــــدٌ ، وأخـــــــرى بَيـــــــرق

أي فخـــــــر بعـــــــد هـــــــذا يـــــــا تُـــــــرى؟! ... وعلـــــــىَّ اليـــــــومَ كـــــــلٌ يُنفـــــــق!

بـــــارك الـــــديانُ فـــــي الســـــعي اســـــتمى ... إن بـــــذلَ المَـــــرء نِعـــــمَ المنطـــــق!

آيـــــــة هـــــــذي بَـــــــدَتْ أنوارُهـــــــا ... كـــــم أنـــــا فـــــي عُمقهـــــا أســـــتغرق!

أذكـــــــرُ التـــــــاريخ أيـــــــامَ الضـــــــنا ... وأنـــــا فـــــي قيـــــد فقـــــري مُوثـــــق!

أنســـــــجُ الآمـــــــالَ ، أســـــــتغني بهـــــــا ... عـــــن حضـــــيض فيـــــه نفســـــي تعـــــرق

لســـــــتُ أنســـــــى مِحنـــــــة عايشْـــــــتُها ... كـــــــل خيـــــــر أجتنيـــــــه تمحَـــــــق

وأنـــــــا آتـــــــي لبيتـــــــي مُوجَعـــــــاَ ... ومـــــــن الآلام تُـــــــدْمي مُرهَـــــــق

وأنـــــا أســـــألُ عـــــن شُـــــغلي ، فمـــــا ... ألتقـــــي لفظـــــاً لســـــاني ينطـــــق!

أحمَـــــدُ المَـــــولى ، وأطـــــري جُـــــودَه ... جَـــــلَّ شـــــأنُ الله رَبـــــاً يَـــــرزق

بائعة الخبز التونسية!

(ألا إن قصة هذه القصيدة لقصة عجيبة حقاً! أما زمانها فيعود لأربعة عقودٍ مضت! وأما مسرح حدوثها فمدنٌ ثلاثة في تونس الخضراء: (تونس العاصمة – باجة – سوسة)! وأما عن الشخصيات فمعلم وتلميذته! يقول واحدٌ من المدرسين: كنت أدرِّس في مدرسةٍ ريفيةٍ في منطقةٍ نفزة ولاية باجة في تونس. وكل يوم كنت أشوف خارج الفصل الدراسي ، وتحديداً جنب الشباك بنتاً مسكينة وجميلة تغمرها براءة ، وراحت تبيع العيش (الخبز) لأمها كل صباح. حيث تخبزه الأم في دارها ، ثم تحمله البنت لتبيعه! وهذي البنت كانت قد تركت المدرسة هذه السنة بسبب الظروف المادية لعائلتها ، حيث عندها أربع أخوات صغيرات ، وأبوها توفي مخلفاً هذه اليتيمات وأمهن التي تأيمت على أطفالها ، وعلى هذا فالبنت تساعد أمها في مصاريف المعيشة وذلك ببيع العيش (الخبز) عند المدرسة. وفي يوم من الأيام ، كنت أشرح درساً في الحساب ، وبائعة العيش تتابعني من شباك الفصل وهي خارجه. سألتُ سؤالاً صعباً ، وخصصت له جائزة. وللأسف لا أحد من الطلبة ولا الطالبات عرف الجواب عليه. وفجأة نظرت خارج الصف من الشباك ، فوجدتُ بائعة العيش تؤشر بإصبعها من خارج الشباك وتصرخ: "أستاذ أستاذ" تسمح لي أن أجاوب على السؤال. فأذنتُ لها بالإجابة. فأجابت وكانت إجابتها صحيحة! ومن هذا اليوم راهنتُ عليها ، وتكفلتُ برعايتها وكل مصاريفها من مرتبي ، وعلى قدر ما أستطيع من حاجاتٍ بسيطةٍ تساعدها على التعليم. واتفقت مع مدير المدرسة على أن يسجلها ثانية ويعيد لها قيدها في سجلات المدرسة. وعندما خرجت نتائج الامتحانات كانت هي الأولى على المدرسة! وكمَّلت في نفس النهج بإشرافي اليومي ، إلى أن وصلتها بفضل الله للمرحلة الثانوية. وبعدها انتقلتُ لمسقط رأسي في مدينة سوسة. وانقطعتْ صلتي بيها لمدة 20 سنة. وبعد هذه الفترة الطويلة ، حدث أنني ذهبت مع صديق لي للعاصمة التونسية ، وكان عنده ابن يدرس في كلية الطب بتونس مع ابني ، فطلب مني أذهب وولدي معه إلى الجامعة. وبينما أنا في الكافتيريا ، وجدت امرأة شابة جميلة تحدق فيَّ بشوق واستغراب وحنين ، وملامح وجهها كانت قد تغيرت لما شافتني ، وأنا لا أدري لماذا تُحملق هذه المرأة فيَّ هكذا! سألت ابن صديقي إذا كان يعرفها ، وأشرت إليها خفية ، فقال لي: "أعرفها طبعاً ، هذي البروفيسورة التي تدرس طلبة كلية الطب." سألني: "أتعرفها يا عمي؟ " قلت: "لا والله يا بُني ، لكن نظراتها لي غريبة جداً! "وفجأة جرت المرأة نحوي ، وأقبلت عليَّ في سرعة مذهلة وهي تبكي بحُرقة ، وبصوتٍ لفت نظر كل اللذين في الكافتيريا! وظن الجميع أني والدها! وهي تبكي وتقول لي: "ألا تذكرني يا أستاذي؟ أنا البنت التي كانت حطام إنسانة ، وأنت صنعت منها إنسانة ناجحة! أنا البنت التي كنت أنت السبب في رجوعها للمدرسة ، وصرفت عليها من حُر مالك لحد ما وصلت للذي هي فيه الآن! وهذا بفضل الله تعالى أولاً وآخراً ، ثم بفضل رعايتك واهتمامك وموقفك الإنساني الفريد. أنا بنتك لمياء (بائعة العيش)! "وهنا كدت أقع على الأرض مغمىً عليَّ من دهشتي وشدة تأثري من جانب ، وفرحي بها من جانب آخر! والله ، بكيت كثيراً لما افتكرت ماذا كانت بالأمس وماذا أصبحت اليوم؟ وبعد ذلك رحبتُ بها ، وجلست معنا في الكافتيريا تشرب الشاي بالنعناع ، وتحكي لي عن مشوارها الطويل من لحظة ما تركتها وقريتها في الثانوية العامة إلى اليوم! ودعتني أنا واللذين معي ومجموعة من الزملاء لبيتها ، وأخبرت أمها وأخواتها وكل الموجودين عني ، وهي تتكلم عن المعلم الإنسان اللذي ساندهم وكان سبباً في تغيير مجرى حياتهم. وألقيت كلمة قلت فيها جملة واحدة وأنا أبكي: "لأول مرة في حياتي أشعر أني معلم وإنسان!" ومن هنا كتبتُ قصيدتي هذي وأعطيتُها عنوان: (بائعة الخبز التونسية) تلك التي كانت مثالاً في الاجتهاد والطموح والتصميم ، حتى بلغت مبلغاً عظيماً! فاستحقتْ بذلك قصيدة حلوة ، تحث على الطموح ، وترسم الطريق للمجتهديـــن!)

(لميـــــاءُ) أقصوصـــــة تســـــتلفتُ القـــــاري! وتســـــتحِقُ – وربـــــي – مَـــــنحَ (أوســـــكارِ)!

يـــا قِصـــة ثبتـــتْ فـــي كـــل مُصـــطدم ... وأثبتـــتْ أنهـــا تُـــزري بأوعـــار!

يـــا قِصـــة ذكَّـــرتْ قومـــاً لينتبهـــوا ... وأصـــبحتْ فـــي المعـــالي خيـــرَ تِـــذكار

يـــا قِصـــة (تـــونسُ الخضـــراءُ) تغبطهـــا ... علـــى الشـــجاعة لـــم تعبـــأ بأخطـــار

يـــا قِصـــة كُتِبـــتْ بـــالفخر أســـطرُها ... فاســـتأثرتْ فـــي الـــدنا بكـــل إكبـــار

يـــا غـــادة لـــم تُعَرقلهـــا أنوثتُهـــا ... بـــرغم مـــا لقِيـــتْ مـــن شـــر إحصـــار

ومـــا اســـتكانتْ لِمَـــا فـــي الـــدار مـــن إحَـــن ... فلـــم يكـــنْ همُّهـــا عِبئـــاً علـــى الـــدار

فـــي (باجـــةٍ) الحُســـن لـــمْ يَـــزغ لهـــا بصـــرٌ ... وإنْ يَـــزغ حولهـــا كثيـــرُ أبصـــار

هـــذي اليتيمـــة قـــضَّ اليُـــتمُ مَضـــجعَها ... ولـــم يُصِـــبْ عزمَهـــا بـــأي إضـــرار

والخـــالُ والعـــمُّ لا حِـــسٌ ولا خبـــرٌ ... ولا قلـــوبٌ لهـــم ، بـــل صُـــمُّ أحجـــار

لـــم يَكفلـــوا أســـرة (لميـــاءُ) عائلهـــا ... ومـــا لهـــا مَـــددٌ مـــن أي أجـــوار

هـــذي العِصـــامية المَضـــاءُ طابَعُهـــا ... وفـــي مَســـيرتها وَفيـــرُ آثـــار

لهـــا شـــقيقاتٌ الحيـــاةُ مـــا رحمَـــتْ ... لهـــن يُتمـــاً ، وتبقـــى رحمـــة البـــاري

يَصـــغرْنها أربـــعٌ ، والأم بائســـة ... يَحْيـــين فـــي كُـــرَب تكـــوي وأكـــدار

مـــاذا عليهـــا ، وقـــد طمَّـــتْ بليتُهـــا؟! ... وكـــم يلـــوكُ اليتـــامي ذلَّ أمـــرار!

خَلـــتْ دِراســـتَها فـــي بـــاح مدرســـةٍ ... وآثـــرتْ ســـعيَها بكـــل إصـــرار

تبيـــعُ خبـــزاً ، ولا تحيـــا تمُـــدُّ يـــداً ... مَـــدُّ الأيـــادي يُصِـــيبُ الـــنفسَ بالعـــار

وعينُهـــا ترقـــبُ الـــدروسَ عـــن كثـــب ... والأذنُ تُنصِـــتُ للمقـــروء والقـــاري

نوافـــذ الصـــف لـــم تغلـــقْ لتمنعَهـــا ... مِـــن التصـــنت بـــين الجـــار والجـــار

وكـــان درس حســـاب تســـتلذ بـــه ... وللمعلـــم شـــرحٌ يبلـــغ الســـاري

وراحَ يســـألُ طلابـــاً لـــه حضـــروا ... فلـــم يُجيبـــوا ، فنـــادى: أيـــن حُضـــاري؟!

فـــزاد: عنـــدي لمـــن يُجيـــبُ جـــائزة ... فحـــاوِلوا ، وأنـــا أدلـــي بأفكـــاري!

واســـتأذنتْ خـــارج الشـــباك طالبـــة ... لمَّـــا تعُـــدْ بيـــنهم لـــبعض إعســـار!

فصـــاح: قـــولي وهـــذي بعـــدُ جـــائزتي ... هـــذي الخيـــارات يـــا (لميـــاءُ) فاختـــاري

حتـــى أجابـــتْ فنالـــتْ خيـــرَ جـــائزةٍ ... ورُحـــتُ أســـألُ فـــي شـــوق وإنكـــار

مـــا سِـــر هـــذي أجيبـــوني بـــلا كـــذب؟! ... يُـــزري بعالمنـــا غمـــوضُ أســـرار!

قـــالوا: المصـــاريفُ غـــولٌ لـــيس يَصـــرَعُه ... إلا الـــــذي مالـــــه دُرٌ بقِنطـــــار!

قـــال: النقـــودُ أنـــا لكـــم ســـأدفعُها ... خَصَصـــتُ (لميـــاءَ) يـــا قـــومي بإيثـــاري

وعـــادتِ الغـــادة العصـــماءُ يَســـبقها ... حَنـــينُ عـــزم لـــه شـــديدُ إقـــرار

أن تبـــذل الجهـــدَ فـــي سِـــر وفـــي عَلَـــن ... وأنْ تُفاجئنـــــا بخيـــــر أخبـــــار!

حتـــى إذا انتظمَـــتْ فـــي الـــدرس وانطلقـــتْ ... وأخلصَـــتْ دِينهـــا وقـــولَ أذكـــار

كانـــت نتيجتُهـــا الأولـــى بـــلا حســـدٍ ... فـــي مركـــز أول فـــي عامهـــا الحـــالي

حتـــــى إذا وصـــــلتْ لثانويتهـــــا ... غـــادرتُ قريتهـــا ، أنهيـــتُ مشـــواري!

وجئـــتُ (سُوسَـــة) يَحـــدُوني الحنـــينُ لهـــا ... تضـــمُّ أهلـــي وخِلانـــي وأصـــهاري!

مكثـــتُ عشـــرين عامـــاً لا أتابعُهـــا ... وعـــاقني بُعـــدُ بُلـــدان وأمصـــار

مـــا بـــين (سُوسَـــتنا) و(باجـــةٍ) أمَـــدٌ! ... ولـــم يكـــنْ لـــي إليهـــا أي أســـفار

أخبـــارُ (لميـــاء) عنـــي هكـــذا انقطعـــتْ ... لـــو بـــاعَ أخبارَهـــا فـــردٌ أنـــا الشـــاري!

وجـــاءني ابنـــي ، وأغرانـــي بمُقتـــرح ... فقـــال: تصـــحَبني بـــدون أعـــذار!

(كُليَّـــة الطـــب) تأتيهـــا تُنوِّرُهـــا ... حتـــى أفـــاجئهم بســـر أنـــواري!

فقلـــتُ: أذهـــبُ هـــذي (تـــونسٌ) ، وكفـــى ... عَلّـــي ألاقـــي بهـــا عَتيـــقَ سُـــمَّاري!

جلســـتُ فـــي (الكافتريـــا) أســـتعيدُ صَـــدَىً ... لخيـــر طـــور مضـــى مِـــن جُـــل أطـــواري

وحَملقـــتْ فـــيَّ – يـــا للخجلـــة - امـــرأة ... إلـــيَّ قـــد لفتـــتْ عجيـــبَ إنظـــار

وقـــد عجبـــتُ لهـــا تُطِيـــلُ نظرتهـــا ... هـــل أخطـــأتْ نظـــراً؟ أم سُـــوءُ إضـــمار؟!

هنـــا تســـاءلتُ: مَـــن هـــذي؟ أنـــا حَـــذِرٌ ... فهـــل تُفيـــدُ فـــؤاي بعـــضُ أحـــذاري؟!

فقِيـــل: هـــذي؟ أجَـــلْ ، إنـــا لنعرفهـــا ... مشـــهورة شُـــهرة زيـــدتْ بإشـــهار!

(بروفيســـورثُنا) نـــارٌ علـــى علـــم ... كمـــا يقولـــون! هـــل علمـــت بالنـــار؟

فـــي الطـــب عالمـــة لا يُســـتهانُ بهـــا ... والطـــبُّ (كـــارٌ) ، وذي مليكـــة (الكـــار)!

وأقبلـــتْ تحمِـــلُ البُشـــرى ، وتســـألني ... ألســـت تـــذكرُني يـــا خيـــرَ أقمـــاري؟!

فقلـــتُ: لا ، وأنـــا فـــي الـــرُّزء مُنجـــدلٌ ... وفـــوق رأســـي رســـا ثقيـــلُ أوقـــار

مَـــن أنـــت؟ قالـــت: أنـــا حُطـــامُ ضـــائعةٍ ... وأنـــتَ أنقـــذتها مِـــن شـــر أوضـــار!

والـــدمعُ يغمـــرُ عينيهـــا وراحتهـــا ... يَســـيلُ منحـــدراً يُـــزري بأنهـــار

وأكملـــتْ زبـــدة التعريـــف قائلـــة: ... أنـــا التـــي عُلتُهـــا فـــي عمـــر أزهـــار

أنـــا التـــي بعـــتُ خبـــزي أســـتعينُ بـــه ... علـــى بـــلاءٍ غـــزا فـــي محنـــةٍ داري

ســـخرت مالـــك طوعـــاً كـــي تُعلمنـــي ... أنـــا المَدينـــة مـــن رأســـي لأظفـــاري!

واليـــوم فـــي الطـــب لـــي مكانـــة عظمـــتْ ... والســـعي ســـعيٌ عظـــيمٌ مُجهـــدٌ ضـــاري

(لميـــاءُ) مـــا نسِـــيَتْ بـــانيْ شـــرافتها ... وللتصـــدُّق أجـــرٌ ثابـــت جـــاري

لـــو كنـــتُ شـــاعرة نظمـــتُ ماضـــيَنا ... قصـــيدة نظمُهـــا مِـــن خيـــر أشـــعار

أو كنـــتُ كاتبـــة كتبـــتُ قِصـــتنا ... نثـــراً يفـــوقُ بهـــا جميـــع أنثـــار

حتـــى إذا فرغـــتْ مِـــن حُـــرِّ خطبتهـــا ... بكيـــتُ مُســـترجعاً لطيـــفَ أقـــداري

وجهـــزتْ دعـــوة طابـــتْ وليمتهـــا ... بـــدون ســـابق إعـــلام وإنـــذار!

دعـــتْ إليهـــا لفيفـــاً عَـــز مَعشـــرُهم ... وأعلمَـــتْ قومَهـــا بكـــل إكبـــار

ونـــاولتْني مِـــن التقـــدير أشـــرفه ... ومِـــن تحايـــا لأهلـــي نصـــفَ قِنطـــار!

وقلـــتُ ســـاعتها قـــولاً أتِيـــهُ بـــه ... وســـوف يُـــذكرُ بعـــدي بضـــعَ أدهـــار

أنـــا المعلـــمُ ، والتعلـــيمُ يشـــهدُ لـــي! ... أقـــول ذلـــك عـــن وعـــي وإقـــدار!

رَعـــاكِ ربُّـــك يـــا (لميـــاءُ) مـــا ســـطعتْ ... شـــمسٌ بضـــوءٍ ، وعمَّتْنـــا بـــأنوار!

بطرس البستاني أبو القواميس المعاصرة!

(برز هذا العبقري الجهبذ اللغوي الفذ أبو القواميس المعاصرة والمعاجم الحديثة في القرن التاسع عشر! فمهَّد السبيلَ لمن أتى بعده من اللغوين وأهل المراجع والمعاجم! وتخيلتُ اللغة العربية تبكيه يوم وفاته بحُرقة ولوعة! فكانت ترجمة بكائها قصيدتي هذي! وبقطع النظر عن معتقد الرجل ، أنا أشيد بعلمه في اللغة العربية وبإسهاماته في النهوض بها! وإن كان للبعض مؤاخذات على تراثه اللغوي والشعري! الرجل كاتب وشاعر ومؤرخ ومعجمي وصاحب موروثٍ ثقافي ولغوي بحت! (بطرس البستاني ١٨١٩–١٨٨٣م ، بطرس البستاني أبو القواميس المعاصرة! إنه في مثل هذا اليوم الأول من مايو ، ولد وتوفي بطرس البستاني؟! فمن هو هذا الرجل ، وماذا أضاف القواميس العربية؟ لقد ولد بطرس البستاني في قرية الدِّبِّيَّة أو الدِّبَية من مناطق الشوف في جبل لبنان في 1 مايو عام 1819م ، وكُنيته «البستاني» هي لقب لأسرةٍ مارونيةٍ مشهورةٍ يعود أصلها لمدينة جبلة ، هذا ، وأنجبت العائلة رجالاً عدة يجيدون اللغة العربية ، وقدموا للأدب خدمات جليلة. تلقى بطرس علومه بانتظام ، ودرس الإنكليزية بنفسه ، على طريقة التعليم الذاتي. وفي عام 1840م ذهب إلى بيروت واتصل ببعض المبعوثين الأمريكيين يعلمهم العربية ويُعَرِّب لهم الكتب ، فاستعانوا به على إدارة الأعمال في مطبعتهم. وعُين أستاذ في «مدرسة عبية» عام 1860م ، فمكث فيها سنتين ، ثم عين ترجماناً للقنصلية الأمريكية في بيروت. وبعد عام 1860م وجه عناية فائقة بالغة إلى توعية الشعب في بلاده ، فأنشأ جريدة «نفير سورية» ، وهي أول جريدة وطنية راقية ، دعا فيها إلى الألفة ونبذ الأحقاد ورأى أن القلوب لا تتفق إلا إذا اعتادت الاتحاد والوئام. فأسس سنة 1863م «المدرسة الوطنية» الشهيرة ، وكانت أول مدرسة وطنية عالية ، فأمها الطلاب من مختلف الطرائف ومختلف المناطق ومن البلدان المجاورة ليتعلموا فيها ، وفي جملة ما يتعلمونه العربية والإنكليزية والفرنسية ومحبة الإنسان والتعلق بالأوطان. وأكثر ما عرف به البستاني هو اللغة والتأليف ، فقد اشتغل بالتأليف ، فصنف كتباً متعددة في الحساب والنحو والصرف واللغة والأدب ، كما ترك أثاراً مثل الخطب والمحاضرات والمقالات التي كان يلقيها في المنتديات والجمعيات ويدبجها في الجرائد والمجلات ، وكان لها أبلغ الأثر في ثقافة عصره. وأنشأ ـ مستعيناً بابنه الأكبر سليم ـ أربع صحفٍ بالإضافة إلى (نفير سورية) وهي: الجنان والجنة والجنينة ، وكانت جميعها صحفاً سياسية وتجارية وأدبية أسبوعية أو يومية! وأما أعظم أثاره على الإطلاق ، فهي دائرة المعارف التي عرفها بقوله «إنها قاموس عام لكل فن ومطلب». وقد صدر منها في حياته ستة أجزاء ، وصدر منها بعد وفاته خمسة ، واشتغل فيها أبناؤه وبخاصة سليم ونسيبه سليمان خطار البستاني ، وتوقف العمل قبل أن يكمل المشروع ، وتعد هذه الموسوعة فعلاً أول موسوعة وطنية قائمة على المنهج الحديث في التأليف. أما الأثر الثاني له والباقي أيضًا ، فهو معجم محيط المحيط وهو أول قاموس عصري في اللغة العربية ، طبعه في مجلدين كبيرين في بيروت ، صدر الأول سنة 1867م ، والثاني سنة 1870م. ورفعه إلى السلطان العثماني ، فنال عليه الوسام المجيدي الثالث ، ولا يزال هذا المعجم أحد أهم المعاجم العربية الحديثة يحتاج إليه كل عالم لغة وطالب بحث ، وشاعر وكاتب ، رغم مرور أكثر من مئة عام على تأليفه ، ذلك لأنه رتبه على حروف المعجم باعتبار الحرف الأول من الثلاثي المجرد ، وجمع فيه كثيراً من مصطلحات العلوم والفنون سواءً منها القاموسية أم المعّربة ، وشرح أصول بعض الألفاظ الأجنبية وجمع كثيراً من الألفاظ العامية الحية وفسرها ، واعتمد

المعاجم القديمة الموثوقة ، واستخدم العبارة السهلة البسيطة. وقد أعادت «مكتبة لبنان» طباعة المعجم بمجلديه ثم جددت طبعة سنة 1977م في مجلد واحد ، وصححت الأخطاء الطباعية ، وميزت المداخل الجذرية والرئيسية بلون مختلف ، مما يساعد على سهولة استعمال المعجم! ونقلاً عن (تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) مؤسسة هنداوي: (إنه في إقليم الخروب ، من قضاء الشوف في جبل لبنان ، قرية صغيرة على مسافة ثلاث ساعات من دير القمر ، وثلاث ساعات ونصف من صيدا ، وسبع ساعات من بيروت ، يُقال لها الدِّبَية ، عدد سكانها خمسمائة نفس من طائفة الموارنة ، وقليل من البروستانت ، نشأ فيها غير واحد من مشاهير اللبنانيين ، جميعهم من آل البستاني ؛ أشهرُهُم عبد الله البستاني ، وبطرس البستاني ، والمعلم بطرس البستاني ، صاحب الترجمة ، وقد اقتطفنا ترجمة حياته مما كتبتْه جرائدُ الشام على إثر وفاته ، وأثبتته دائرةُ المعارف في جزئها السابع ، ومما عرفناه بنفسنا من آثار اجتهاده وفضله. إنه بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن أبي شديد بن محفوظ بن أبي محفوظ البستاني ، من أعيان الطائفة المارونية ، وُلد في الدبية عام ١٨١٩م في عهد إمارة الأمير بشير الشهابي الكبير في جبل لبنان ، وظهرتْ عليه مخائل النجابة والذكاء منذ نُعُومة أظفاره ، فأخذ في تَلَقِّي مبادئ العربية والسريانية على المرحوم الخوري مخائيل البستاني ، وكان المطران عبد الله البستاني إذ ذاك مطرانًا على صور وصيدا ، وكان يُقيم هناك ، فنمى إليه أن هذا الغلام وغلامًا آخر يدعى شبلي ابن الخوري يوسف البستاني (بطرس البستاني بعدئذٍ) قد تفرَّدا بالذكاء والفطنة والاجتهاد بين أقرانهما ، فاستقدمهما إليه ، ثم بعث بهما إلى مدرسة عين ورقة بلبنان ، فقضيا فيها عشر سنوات حتى أتقنا آدابَ اللغة العربية مما تيسر الحصولُ عليه إذ ذاك ؛ كقواعد اللغة والنحو والصرف والمنطق والتاريخ والحساب والجغرافيا ، وتناولا اللغات السريانية واللاتينية والإيطالية ، وتلقيا الفلسفة ومبادئ الحق القانوني. وكان صاحب الترجمة قد بلغ العشرين سنِّه ، فأرسل مع رفيقه إلى رومية للتبحُّر في العُلُوم ، وكان والدُهُ قد توفي فعارضت والدتُهُ في إبعاده ، فتعيَّن مدرسًا في مدرسة عين ورقة ، وكان يُعهَد إليه قضاء بعض المصالح إلى سنة ١٨٤٠م ، وكانت حال الجبل في اضطراب لِمَا كان في نفس الدولة العليَّة على الأمير بشير وإبراهيم باشا ، وكانت الدول الإفرنجية قد بعثت مراكبها إلى سواحل سورية تعِين الباب العالي العثماني على إخراج إبراهيم باشا منها ، وكان صاحب الترجمة قد درس اللغة الإنكليزية في بيروت أثناء إقامته بمدرسة عين ورقة وبعدها ، فاستخدمه الإنكليز للترجمة ، وكان يعلم الأمريكان اللغة العربية ، ويعرِّب لهم بعض الكتب ، حتى تمكَّنت علائقُ المودة بينه وبينهم ، وفي سنة ١٨٤٦م عزم أُستاذنا الخطير المرحوم الدكتور فانديك على إنشاء مدرسة عبية ، فاستعان بصاحب الترجمة في إنشائها ، فتولى التعليم فيها عامين ، وكان قد ألَّف في أثنائهما كتابًا مطولًا في علم الحساب ، سمَّاه كشف الحجاب في علم الحساب ، طُبع مرارًا عديدة ، وذاع استعماله في سائر مدارس سورية! ثم قَدِم بيروت وتولى منصب الترجمة في قنصلية أميركا مع مباشرة التأليف والترجمة والوعظ والخطابة ، ودرس — في أثناء ذلك أو قُبيله — اللغتين العبرانية واليونانية ، وكان قد شرع في تأليف قاموسه محيط المحيط. وفي سنة ١٨٦٠م نشر نشرةً سماها نفير سورية ، وهي أول نشرة عربية ظهرت في سورية ، وإذا جاز لنا أن نسميها جريدة ؛ فالبستاني أول من أنشأ جريدة عربية غير رسمية بين قُرَّاء اللغة العربية. وفي عام ١٨٦٣م أنشأ في بيروت مدرسةً عاليةً سمَّاها «المدرسة الوطنية» ، أسسها على الحرية ومبدأ الجامعة الوطنية

العثمانية ، فتقاطر إليها الطلبةُ من سائر أنحاء الشام ومصر والآستانة وبلاد اليونان والعراق وغيرها ، فذاع صيتُها في الآفاق ، وظهر فضلها على رؤوس الأشهاد ، فأنعمت عليه الحضرةُ السلطانية بنيشان عالٍ ؛ تنشيطًا له ومكافأة لخدمته ، وقد تولى ولده سليم البستاني نيابة رئاسة المدرسة ، وكان متضلعًا في العلوم الحديثة ، فكان يدرس التاريخ والطبيعيات والصف الأول في اللغة الإنكليزية ، وكان والدُهُ يلقي على التلامذة الخطب والمواعظ مرتين في الأُسبوع. وفي سنة ١٨٦٩م فرغ من تأليف قاموسه محيط المحيط ، وقد أخذه عن أشهَر متون اللغة ؛ ولا سيما الفيروزآبادي وصحاح الجوهري ، ولكنه يمتاز عنها كلها بما يأتي:- أولاً:- أنه رَتَّبَه على حُرُوف المعجَم باعتبار الحرف الأول من الثلاثي المجرد. ثانياً:- أنه جمع فيه كثيرًا من الألفاظ العامية وفَسَّرَها بالألفاظ الفصحى! ثالثاً:- أوضح كثيرًا من أُصُول الألفاظ الأعجمية كان أصلها مجهولًا أو مهملًا. رابعاً:- أنه أدخل فيه كثيرًا من المصطلَحات التي حدثتْ في اللغة بحُدُوث العلوم الحديثة المنقولة عن اللغات الأعجمية ، فضلًا عن بسط عبارته وسهولتها. فجاء كتابًا وافيًا بغرض طلاب اللغة العربية ، تفهمه العامة وترضى به الخاصة ، طبعه في مجلدَين كبيرَين ، واستخرج منه مختصرًا سمَّاه قطر المحيط ، أصغر منه حجمًا ، خصَّصه لتلامذة المدارس ، فشاع استعمالُ الكتابين في سائر أنحاء سورية وغيرهما ، فلما تم طبعُهُما رفع نسخةً من محيط المحيط إلى حضرة الشاهانية ، ونسخةً إلى الصدارة العُظمى ، وأُخرى إلى نظارة المعارف بالآستانة ، فوقع عملُهُ هذا موقع الاستحسان ، فأجازتْه الحضرة السلطانية بالجائزة الأولى التي ينالها المؤلفون ، وهي مائتان وخمسون ليرة عثمانية ، وأنعمت عليه بالنيشان المجيدي من الدرجة الثالثة! ولكنه رأى — بعدئذٍ — أن يتوسَّع في مشروعه هذا ، فعوَّل على تأليف قاموسٍ شاملٍ كامل لسائر العلوم على اختلاف مواضيعها وأزمانها ، فشرع فيه عام ١٨٧٥م يعاونه به ولده سليم وبعض الكتاب، وسماه «دائرة المعارف» ، وهو كتابٌ فريدٌ لم ينسج على منواله في اللغة العربية ، فأصدر منه ستة مجلدات ، وتُوُفي وهو في بدء السابع ، فأتم السابع والثامن ابنه سليم ، ولكنه تُوُفي قبل الشروع في التاسع ، فأصدر أبناؤُهُ الباقون الجُزء التاسع بمعاضدة ابن عمهم سليمان أفندي البستاني ، ثم حالت موانعُ أدت إلى إيقاف العمل في بيروت ، ومضت على ذلك بضع سنوات إلى أن قَدِم القاهرة سليمان أفندي — المشار إليه — ، وأخذ في إتمام الدائرة مع ابنَي عمه نجيب أفندي ونسيب أفندي البستاني ، فصدر الجزء العاشر ثم الحادي عشر. وكانت وفاته في أول أيار (مايو) سنة ١٨٨٣م فجأة بِعِلَّة في القلب ، فطار خبر مَنعاه في البلاد ، فاهتزت له أنحاء سورية ؛ لأن بفقده فقد الوطن السوري ركنًا من أقوى أركانه في نهضته الأخيرة ، فبكاه الأهل والأصدقاء ، وأبَّنه الخطباء والعلماء ، ورثاه الكتَّاب والشعراء! وأشهر مؤلفاته: دائرة المعارف ، ومحيط المحيط ، وقطر المحيط ، وكشف الحجاب ، ومسك الدفاتر ، ومفتاح المصباح في الصرف والنحو ، وكتب أُخرى ورسائل عديدة للتثقيف والتهذيب ، فضلًا عن ترجمة الكتب الأدبية الأخرى ، وأنشأ ثلاث جرائد: الجنان ، والجنة ، والجنينة. ومن مشروعاته: المدرسة الوطنية ، وقد رأس مدرسة الأحد في بيروت خمس عشر سنة ، وترجم لها عدةَ رسائل دينية ، دعا فيها إلى تربية الأولاد والإمساك عن المسكرات ، وسنَّ قانونًا للمدرسة الداوودية التي أنشأها المرحوم داود باشا ، وكان كثير الحَثِّ على تعليم النساء ، وهو أولُ من خطب في هذا الموضوع بالشرق ، وله خطبٌ كثيرةٌ تلاها على منابر بيروت وفي جمعياتها ، ومقالات جمة نشرها في جرائده ، كلها فوائدُ ، وقد وصفنا كتبه في أثناء ترجمة حياته. وكان رَبعة ، ممتلئ الجسم سمينًا ، قوي البنية ، ولولا ذلك ما استطاع القيام بما عني به من المشروعات العقلية والإدارية ، وكان حازمًا نشيطًا ، لا يفتر عن التفكر في مشروع يشرع فيه أو عمل يعملُهُ لخدمة وطنه ، فإذا بدأ بعمل أَكَبَّ عليه بكلِّيته مواصلًا العمل للقيام به ، وكانوا إذا افتقدوه ليلًا أو نهارًا عثروا عليه في مكتبه بين كُتُبه وأوراقه. وكان

ثابتَ الجنان ، قادرًا على الأعمال ، لا يأخذُهُ مللٌ ولا ضجرٌ مع ما يعترض المشروعات العلمية والأدبية في بلادنا من العقبات مما يثبِّط العزيمةَ ويُضعف العزم ؛ وخصوصًا في أيامه ؛ فقد نبغ في عصرٍ لم تتوافر فيه معدات الطبع والنشر ، ولا اعتاد فيه الناس مطالعةَ الجرائد والإقبال على المؤلَّفات ، ومع ذلك فإنه عمل أعمالًا يقصر عن القيام بها عدةٌ من الرجال الأقوياء ؛ فكان يؤلِّف ويعلِّم ويترجم ، ويُدير أعماله ويُكاتب عمَّاله وأصدقاءه ، ويضبط حساباته ويدير مدرسته علمًا وعملًا ، ناهيك بما كان يقومُ به من المساعدات الأدبية لمن يَقصده من المستشيرين والمستعينين ، فيقضي حاجاتهم ، ويحضر اجتماعات الجمعيات ، ويقدِّم الخُطب والمواعظ ، وهو مع ذلك يستقبل الزائرين بوجهٍ باشٍّ، فلا يرجع أحدهم من بين يديه إلا شاكرًا حامدًا معجبًا بلطفه وغيرته. وكان مخلصَ الطوية ، دمث الأخلاق ، لين العريكة ، صادق النية ، محبًّا لوطنه ودولته ، كريم الخلق ، بعيدًا عن التعصب ، كارهًا للتملُّق والرياء ، وكان سخيًّا على المشروعات الأدبية ، بسيطَ المعشر ، حسن المحاضرة ، يسترضي جليسه شابًّا كان أو شيخًا ، ويخاطب كُلًّا بما يناسب ذوقه وأخلاقه ، وكان يَعتقد أن المصالح العامة أساسُ كل تقدم ، فيبذل جهده في تأييدها متخذًا الصدق شعارًا والنشاط عمادًا. وكان مع ذلك رفيعَ الجناب ، وقورًا محترمًا ، لم يجالسْه أحدٌ إلا خرج وفي نفسه انعطافٌ إليه ، وفي قلبه احترام له ، فكان حيثما ذكر اسمه قُرِن بالمدح والثناء والتجلَّة والوقار ، فنال مقامًا رفيعًا في نفوس ذوي الوجاهة والمقامات الرفيعة وأهل الفضل على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم ، وكان من أشدهم صداقة له الدكتور كرنيليوس فانديك ؛ فقد ساكنه وآكله وشاربه زمنًا طويلًا كانا معًا أخوين متصافيين ، فلما تُوُفي صاحب الترجمة رثاه الأستاذ بلسان الصديق ، وبكاه بدموع الأخ الشقيق).هـ. والآن لنطالع قصيدتنا في بكاء الضاد على رحيل بطرس البستاني!)

تبكيك ضادُ العُرْب يا (بُستاني)! ... والدمعُ هَيَّجَ سادنَ الأشجانِ

والوَجدُ آلمها ، وشط بها النوى ... وتؤزها عينانِ ذابلتان

تبكيك أستاذاً لرفعتها انبرى ... ليَصُدَّ عنها هجمة الذؤبان!

ليذُك تغريباً يشينُ جمالها ... ويمُجُ الاستشراقَ باستهجان

ليقول للحُسَّاد كُفوا غيظكم! ... وحدي سأخمدُ ساعرَ الشنآن!

وحدي سأصْلِيكم بخير أدلتي ... وأسوقُ في ساح الوغى برهاني

الضادُ أشرفُ مِن تجني مُبطِل ... في مَعرض التنظير سوف يراني

يا مغرضون سَبرتُ فحوى كيدِكم ... ما كان في سر وفي إعلان!

ولكُم كتبتُ معارفاً حبَّرتُها ... دُرراً يُغلفها عطيرُ بياني

أكرمْ بـ (دائرة المعارف) مَرجعاً! ... سلوى المحب وموئلُ الحيران!

موسوعة وطنية قومية ... لغوية مَوضُونة التبيان!

تسَـــعُ اصـــطلاحاتٍ زكـــتْ أوصـــافها ... مثـــلُ البـــواخر أرســـيتْ بمـــواني

شـــملتْ حضـــارتكم ، ولـــم تعبـــأ بهـــا ... واســـتوعبتْ مـــا جـــال فـــي الأذهـــان!

وسَـــلوا التـــراجمَ أشـــرقتْ أنوارُهـــا ... وأتـــتْ لنـــا مـــا لـــيس فـــي الحُســـبان

نقلـــتْ ثقافـــاتٍ ، وجَلّـــتْ عالَمـــاً ... هـــو والخفـــاءُ – حقيقـــة سِـــيَّان

ونقشـــتُ (قاموســـي المحـــيط) منقحـــاً ... ووضـــعتُ أحرفـــه علـــى الميـــزان

وعلـــى حـــروف المُعجـــم ازدادَتْ حَـــلا ... لتُفِيـــدَ مَـــن يـــأوي إلـــى اســـتبيان

وســـطرتُ تعريبـــاً لألفـــاظٍ جـــرتْ ... عامِّيـــة نطقـــتْ بكـــل لِســـان

وأضـــفتُ مـــن بعـــض الـــدخيل معانيـــاً ... لتكـــون مثـــل الـــورد فـــي البســـتان

وكتبـــتُ قاموســـاً لأعـــلام الـــدنا ... ممـــن تميـــز فـــي بنـــي الإنســـان

اليـــومَ تبكيـــك المـــدائنُ والقـــرى ... يـــا بالغـــاً بالضـــاد أعظـــمَ شـــان

إنـــا افتقـــدنا فيـــك نِحريـــراً حبـــا ... ضـــادَ العُروبـــة أعظـــمَ التيجـــان

فتراثـــك اللغـــوي زادٌ طيِّـــبٌ ... ألفاظـــه فاقـــت نفـــيسَ جُمـــان!

مَهَّـــدْت بالتـــأليف دربـــاً مُوحِشـــاً ... واللاحقـــون عَلـــوْك بالشـــكران

أهـــديتهم نـــوراً يُضِـــيئ ســـبيلهم ... فاستبصـــروا بالرُّشـــدِ والرُّجحـــان

والضـــادُ أهـــدتْك المـــدائحَ جَمَّـــة ... تســـمو بصِـــيتك فـــي جِـــوا البُلـــدان

ولـــئنْ تعقبَهـــا التوَجُّـــدُ والأســـى ... غـــدَتِ المراجـــعُ أعـــذبَ الســـلوان

نعـــمَ القـــواميسُ احتفـــتْ بمُريـــدِها ... إذ ألفـــتْ بمهـــارةٍ وتفـــان

تفنـــى (الدِّبَيَّـــة) ، ثـــم يبقـــى (بُطـــرسٌ) ... علمـــاً ســـما فـــي الضـــاد والعُربـــان

وعلـــى رُبـــا (بيـــروتَ) يَحتفـــلُ المـــدى ... بـــك يـــا (مُعلـــمُ) ســـائرَ الأزمـــان!

بقدر احترامي كان احتقاري!

(إنه رجلٌ أخذتْه الغيرة على الأعراض الرخيصة التي تصعدُ إلى الطائرة بالعباءات السوداء السابغة الفضفاضة ، وعند النزول من الطائرة تُتركُ هذه العباءات على الكراسي! فأمسك بعباءتين منها ، وأنشأ يقول: إنه بقدر احترامي لصويحبات هذه العباءات – بقدر احتقاري لهن! عجبتُ لمن يُلقين بمبادئهن وأخلاقهن وقيمهن على الأرض ، غير عابئاتٍ بإهانة البلاد ، ولا بغضب ربِّ العباد! لقد كتب على حسابه تحت عنوان: (العباءات البريئة) في (تويتر) وفي (الفيس بك) هذا الطيار الأمريكي (جي إف كي) يقول بالنص:- تفاجأتُ عندما صعدتِ الطائرة نساءٌ من بلادهن العربية المسلمة بالعباءات محتشمات ، فغضضتُ بصري احتراماً وحياءً لحِشمتهن ووقارهن! وعندما هبطت الطائرة ونزل ركابها ، وجدتُ العباءات خلف الكراسي قبل نزولهن مطار كذا الدولي! قال ذلك وهو يضحكُ على تلك العقول الخاوية التي رَمتْ مبادئها بمجرد خروجها من بلادها ، هذا هو حال بعض نسائنا للأسف! وسُئِل ابن باز رحمه الله تعالى:- ما حكم لبس الحجاب في الخارج بحيث يكون اللبس محتشمًا ، والوجه خالٍ من الزينة ؛ لأن تغطية الوجه بالكامل يجعل الآخرين ينظرون إلى المتغطية بشكٍ وريبة ، وربما يتبعونها بشكل مجموعات ، نرجو التوضيح في هذه المسألة ، جزاكم الله خيرًا ، وهل يجوز وضع النقاب – اللثمة ـ بحيث تظهر العينان فقط؟ فأجاب الشيخ بقوله: إن الحجاب واجب في السفر والحضر ، وعند الأجانب وغير الأجانب ، من الكفرة وغيرهم ، ليس للمرأة أن تكشف الحجاب عند الكفرة في بلاد الكفار ، بل عليها أن تستر بدنها ووجهها كما تستره عند المسلمين ، وليس لها أن تحتج باستنكارهم لذلك ، فهؤلاء المشركون وهؤلاء الكافرات إذا جاؤوا إلى بلاد المسلمين يبقون على حالهم وعلى زيهم وهم كفار ، فالمرأة المؤمنة أولى وأولى بأن تلزم زيها الإسلامي ، ولو سخر منها من سخر ، ولو استنكره من استنكره من الكفرة. ولا مانع من لبس البرقع لإظهار عين أو عينين فقط ، مع ستر جميع الوجه كما تقدم ، ولكن الحجاب الكامل هو أفضل منه ؛ لأن بعض الناس قد يفتن بالعين ، فإذا سترت وجهها بالخمار ؛ كان أكمل ، وإذا أبدت العين أو العينين فلا حرج في ذلك ، وإن جعلت فوق ذلك خمارًا أو غيره لا يمنع الرؤية ؛ فلا بأس فهو أكمل).هـ. وجاء في (إسلام ويب) سؤال وجواب:- السؤال هو: (أنا وزوجتي ملتزمان دينياً ـ والحمد لله ـ وزوجتي محافظة على لبس العباءة والحجاب ، وقد قمنا بالتخطيط للذهاب إلى أحد المنتجعات في إحدى الدول الأجنبية لقضاء الإجازة ، وبعد أن قمنا بعمل جميع الحجوزات ، وقبل السفر بعدة أيام اكتشفتُ أن هذا المنتجع لا يسمح للمحجبات بدخول المنتجع وقد حاولت إلغاء الحجز بشتى الوسائل دون جدوى ، وقد سولت لنا أنفسنا أن نذهب إلى المنتجع ، ونقضي إجازتنا دون أن تلتزم زوجتي بالحجاب في تلك الأيام ، وبعد عودتنا من الإجازة شعرنا بهذا الذنب العظيم الذي ارتكبناه واحترنا في أمرنا ، حتى شعرت أن سخط الله قد ينزل علينا في أية لحظة ، ونحن لا نقصد أن تخلع زوجتي حجابها أبداً ، فهل هذا الذنب يوجب سخط الله علينا؟ وهل لهذا الذنب كفارة؟ وما هي نصيحتكم لنا حتى نزيل الهم والقلق الذي نزل بنا من هذا الذنب؟!) ، فكانت الإجابــة: (إن الحجاب قد فرضه الله تعالى على المرأة المسلمة ، فلا يجوز التفريط فيه لأدنى سبب ، ولا سيما إن كان ذلك لمثل هذا الغرض الدنيوي ، فالمؤمن يتنازل عن دنياه لأجل دينه ورضا ربه لا العكس ، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ). فما أقدمتما عليه لا ريب في أنه إثمٌ عظيم ، قد يستوجب سخط الله تعالى ، وما ضرك لو أنك تركت مثل هذا المال ابتغاء مرضات الله ، وهو

مما يوشك رب العزة والجلال أن يعوضك خيراً منه ، ففي مسند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنك لن تدع شيئا اتقاء الله تبارك وتعالى إلا آتاك الله خيرا منه. ثم كيف أمنتما أن يُدرككما الموت وأنتما على ذلك الحال ، وفي ذلك المكان ، ولكن مهما عظم الذنب فمغفرة الله أوسع وفضله أكبر ، فهو سبحانه قد دعا المسرفين على أنفسهم إلى التوبة ، فالواجب عليكما التوبة إلى الله سبحانه ، ولا كفارة لهذا الذنب إلا التوبة ، وينبغي أن تحسنا الظن بربكما ، وأن تُقبلا على طاعته ، ولا تيأسا من رحمته).هـ. فتخيلتُ الطيار الأمريكي يستهجن السلوك محترمات ، وهبطن المزدوج الشاذ من المنهزمات السواقط اللائي صعدن الطائرة حشيمات منها متبرجاتٍ سافراتٍ مائلات مميلات! وأنشدتُ قصيدتي المسكينة المتواضعة على لسانه!)

خَلعـــــن المبـــــادئَ يـــــا للأســـــى ... فبـــتْن بمـــا جـــئْن أشـــقى النســـا

وكنـــــتُ أوَقـــــرُ سَـــــمت الحيـــــا ... وسِـــــتراً علـــــى مَـــــنهج أسِّســـــا

فأغمضـــــــتُ عَينَـــــيَّ مســـــتعظماً ... جمـــــالاً بـــــداجي الســـــواد اكتســـــى

حَبتْـــــــه العبـــــاءاتُ أســـــتارَها ... فبـــــات بإســـــدالها أنفســـــا

فـــــأكْبرتُهن ، وقلبـــــي بكـــــى ... وفـــــي الطهـــــر عقلـــــي رســـــا

وقلـــــتُ: العقائـــــلُ أحرَجْننـــــي ... وأذهـــبْن مـــا هـــالني مـــن أســـى

أطلـــــن الجلابيـــــبَ ، أرســـــلنها ... وغطـــــين بـــــالأثوُب الأروسـا

وأدنـــــين منهـــــا ، فحَـــــلَّ الخفـــــا ... وعُمِّـــــيَ حُســـــنٌ بمـــــا ألبســـــا

فمـــــا عُرفـــــتْ (هنـــــدُ) مـــــن (عَـــــزةٍ)! ... ولـــــم تُبصـــــرَنْ أعـــــيُنٌ (سُندســـــا)

وكـــــان لهـــــن ســـــنا مِشـــــيةٍ ... تُخـــــامرُ لـــــيلاً إذا عسعســـــا

فحـــــولن نـــــص الكتـــــاب إلـــــى ... حقـــــائقَ تســـــتنطقُ الفهرســـــا

جَلائـــــلَ يمشـــــين فـــــي عـــــالم ... غـــــدا بالخنـــــا والزنـــــا أتعســـــا

كَوامـــــلَ يحيـــــين وفـــــق الهُـــــدى ... وطِـــــبْن بتطبيقـــــه أنفســـــا

فلمـــــا انقضـــــتْ رحلـــــة ، وانتهـــــى ... رحيـــــلٌ بصـــــبح غـــــدا مُشمِســـــا

رأيـــــتُ العبـــــاءاتِ تشـــــكو الجفـــــا ... وكـــــادتْ مـــــن الوصـــــل أن تيأســـــا

تقـــــول: رُمِيـــــتُ علـــــى مقعـــــدٍ ... كتُـــــرب جـــــدير بـــــأن يُكنســـــا!

فأمســـــكتُها مشـــــفقاً عاتبـــــاً ... فمـــــا كـــــان لـــــي قـــــط أن ألمســـــا!

صـــــــواحبُهن قلـــــــين الهُـــــــدى وقلبـــــــي علـــــــيهن فـــــــوراً قســـــــا

وضـــــــجَّ احترامـــــــي الـــــــذي كِلتُـــــــه فـــــــأحرى بـــــــه الآن أن يُحبســـــــا

وفـــــــاض احتقـــــــاري الـــــــذي ذِعتُـــــــه وحُـــــــق لـــــــوجهيَ أن يعبســـــــا

وعِبـــــــتُ التصـــــــرفَ مُســـــــتهجناً ونهجـــــــاً أردتُ بـــــــأن يُغرســـــــا

عســـــــايَ أزيـــــــلُ أســـــــى طـــــــاقمي لقـــــــد ينفـــــــعُ اليـــــــومَ لفـــــــظ عســـــــى

فهـــــــذي النســـــــاوينُ مـــــــن (يثـــــــربٍ) ولســـــــتُ أراهـــــــن مِـــــــن (رُودِســـــــا)!

بُنيـــــــاتُ (يَعـــــــرُبَ) يـــــــا ســـــــائلي فهـــــــل (يَعـــــــربٌ) قـــــــد غـــــــدا (ماركســـــــا)؟!

حشـــــــيماتُ دار يعشْـــــــن بهـــــــا فإمـــــــا رحلـــــــن خلعـــــــن الكِســـــــا

لـــــــزمن الســـــــفورَ وهتـــــــك الحيـــــــا تـــــــبعن بمـــــــا جئنـــــــه (أحمُســـــــا)

وهـــــــذي بضـــــــاعتُنا أرجعـــــــتْ إلينـــــــا ، وجيلـــــــي بهـــــــا أركِســـــــا!

فشـــــــتان بـــــــين الحجـــــــاب أتـــــــى بعِلـــــــم حـــــــري بـــــــأن يُدرســـــــا

وتوحيـــــــد رب لـــــــه أعبـــــــدٌ وزوجـــــــاتهم مـــــــن كِـــــــرام النســـــــا

وبـــــــين الحجـــــــاب أتـــــــى عـــــــادة وعُرفـــــــاً ترســـــــخ واستُؤنســـــــا!

بنت الصعيد منى بكر!

(الدكتورة الصعيدية منى بكر محمد ، ولدت في عام 1971 م بمدينة أسيوط ، وحصلت علي الثانوية العامة سنة 1987م ، وعلى بكالوريوس علوم كيمياء من جامعة أسيوط عام 1991م ، وكانت الأولى على دفعتها ، كما حصلت ماجستير في الكيمياء الفزيائية من جامعة أسيوط عام 1994م ، وعلى دكتوراة في الكيمياء الفيزيائية من معهد جورجيا للتكنولوجيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، تحت إشراف الدكتور مصطفى السيد ، والذي أرسلها إلى أمريكا في بعثةٍ من جامعة أسيوط لمدة أربع سنوات ونصف ، وذلك حينما كان أستاذاً بمعهد علوم الليزر بجامعة أسيوط ، ثم ذهبت بعدها إلى (سويسرا) ليُشرف على أبحاثها الدكتور ماجد شرقية ، عالم النانوتكنولوجى ، لمدة خمس سنوات ، وعادت بعدها إلى جامعة أسيوط ، ثم انتقلت إلى جامعة القاهرة لتلتحق بمركز الليزر ، الذي أسهمت من خلال خبراتها في تأسيس مدرسة علمية هي الأولى ، التي تُسهم فيها عالمة مصرية تختص بعلم النانوتكنولوجى في مصر. وحصلت على درجة الماجستير في الكيمياء الفيزيائية وبكالوريوس في الكيمياء من جامعة أسيوط. وحصلت على درجة الدكتوراه في الكيمياء الفيزيائية من معهد جورجيا للتكنولوجيا ، بولاية أتلانتا الأمريكية عام 2002 م ، تحت إشراف العالم الكبير الدكتور مصطفي السيد. وعملت معيدة بقسم الكيمياء في كلية العلوم جامعة القاهرة ، ثم مدرساً مساعداً بنفس القسم ، ثم باحثة ما بعد الدكتوارة في معهد الفيزياء بجامعة لوزان بسويسرا. وأما عن إنجازتها في مجال النانو تكنولوجي ، فكانت مديرة مركز النانو تكنولوجي ، وعضواً بأكاديمية البحث العلمي منذ العام 2009م ، كما أن لها 4 براءات اختراع دولية مسجلة باسمها ، منها استحداث عقار يعمل علي زيادة نسبة الهيموجلبين في الدم. وأسست أول شركة في مصر والعالم العربي في مجال النانو تكنولوجي. وأسست الدكتورة والعالمة منى بكر مدرسة مكونة من 43 طالباً في الدراسات العليا ، والذين عملوا علي تصنيع المواد النانوية وتطبيقاتها في الخلايا الشمسية ، وتنقية المياه وتحلية المياه والتطبيقات الطبية الحيوية. ولها أكتر من 56 مقال دولي و100 رسالة ماجستير ودكتوراه مشرفة عليهم ، وتم الاستعانة بها كمرجعية دولية في الأبحاث العلمية ، وجاءت في التصنيف الدولي رقم 20 في مجال النانو تكنولوجي ، وتم الاستشهاد بأبحاثها أكتر من 1800 مرة. وعملت كباحث رئيسي استخدام جسيمات النانو فضه في الصناعة لتعقيم المنتجات من الفيروسات والبكتيريا. هذا ولقد عملت الدكتورة منى ، بالتعاون مع عدد كبير من العلماء ، على استحداث عقار جديد يساعد علي زيادة نسبة الهيموجلوبين في الدم من7 إلى 16 أملاً في علاج أكثر من70% من سكان مصر المصابين بالأنيميا وخاصة الأطفال والسيدات. وهو مسجل كبراءة اختراع دولية عن طريق المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية! كما عملت كأستاذٍ مساعدٍ بالمعهد القومي لعلوم الليزر بجامعة القاهرة. وحصلت على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم التكنولوجية المتقدمة عام 2009م. كرمتها مؤسسة مصر الخير لكونها واحدة من أهم 5 علماء مصريين والمرأة الوحيدة من بين المكرمين الذين تم الاستعانة بدراستهم كمرجعية دولية والاستشهاد بها في الأوراق البحثية. وأما عن وفاتها ، فتوفيت على إثر الإصابة بمرض نادر عن طريق مهاجمة أجسام مضادة لكرات الدم الحمراء في الأوعية الدموية المغذية للأطراف ، وتنشط في البرودة الشديدة ، مما يسبب «غرغرينا» في الأطراف. كما شخص الدكتور «محمد علي الداروتي» ، استشاري الأمراض الجلدية ، المشرف على حالة الدكتورة منى بكر حالتها المرضية ، وأرجع سبب

الوفاة لإصابتها بصدمةٍ صديديةٍ نتيجة الجلوس بالمستشفى فترة طويلة وعدم الحركة ، وإصابتها بعدوى بكتيرية من الجو ، ويؤكد أستاذ الجلدية على أن حالة الدكتورة منى كانت بدأت في التماثل للشفاء ، لكن حالتها تدهورت فجأة بسبب مضاعفات العدوى البكتيرية. ومازال الغموض يسيطر على وفاة الدكتورة (منى بكر محمد) العالمة المصرية مديرة مركز النانو تكنولوجي والأستاذ المساعد بالمعهد القومى لعلوم الليزر بجامعة القاهرة وعضو أكاديمية البحث العلمي صاحبة الأربع براءات إختراع دولية مسجلة بإسمها منها استحداث عقار لزيادة نسبة الهيموجلوبين في الدم في ظل تجاهل تام من الإعلام العربي والمصري والعالمي! ماتت الدكتورة (منى بكر) مديرة مركز النانو تكنولوجي ، ولم تحصل على جواز سفر دبلوماسي ، ولم تدخل أو تخرج من صالة كبار الزوار ، ولم تحجز على مقاعد الدرجة الأولى مثل أقل فنانة. كما لم تسافر للعلاج علي نفقة الدولة مثلها مثل كبار رجال الأعمال ، بل عاشت وماتت في صمت ، بدون أن تتحدث عنها قناة فضائية واحدة أو وضع شريطة سوداء ولا حفل تأبين! وبالتأكيد لم يسمع ملايين العرب عن اسم الدكتورة منى بكر ، لأنها لا تعمل في الغناء ، ولم تمارس التمثيل بينما إسمها رغم سنها الصغيرة معروف ومتداول عالمياً فى مجال أبحاث الليزر والنانو تكنولوچي ، ورفضت الدكتورة (منى بكر) عروضاً أوروبية ، لاستكمال أبحاثها عن النانوتكنولوجى بعيداً عن مصر ، وآثرت استمرار أبحاثها في بلدها وإفادة المجتمع ، فهل كان عقابها هو الموت! الفقيدة كما أسلفنا أسست أول شركة في مصر والعالم العربي في مجال النانو تكنولوچي ، وكان تخصص الدكتوراه الخاصة بها في مجال الكيمياء الفيزيائية تحت إشراف العالم الدكتور (مصطفى السيد) في الولايات المتحدة الأمريكية ، والذي وصفها بأنها ملكة النانو تكنولوچي في الشرق الأوسط كله! هذا كان جزءاً من حياة بنت من بنات صعيد مصر ، ولدتْ وعاشت بأقل الإمكانات المتاحة ، حتى أصبحت عالمة في نظر العالم كله إلا في بلدها! توفيت الدكتورة (منى بكر) بعد تدهور حالتها الصحية فجأة ، عقب عودتها من مؤتمر علمي بالصين ، وألم في ساقيها تطور إلى تورم باللون الأزرق تم تشخيصه بأنه مرض نادر أصاب المناعة عن طريق مهاجمة أجسام مضادة لكرات الدم الحمراء ، واستدعى علاجها بجرعات الكورتيزون ، والتي أثرت على صحتها ، وتوقفت مسيرة عالمة شابة كنا ننتظر منها اختراعات جديدة في علمها ، بل كانت مشروع نوبل جديد لمصر والعالم! وأنا كشاعر صعيدي يُشرفني أن أكتب عن الدكتورة (منى بكر محمد) بوصفها دكتورة فذة مصرية متفوقة صعيدية!)

(بنــــتَ الصـــــعيد) رأيـــــتُ طيفـــك يَعتِـــبُ ... وعـــن الأســـى يكـــوي المشـــاعر يُعْـــربُ

ويَســـــوقُ مِـــــن زُبَـــد البيـــــان مَقاطعـــــاً ... عَصـــــفتْ بنـــــا ، والـــــذكرياتِ تُؤلـــــب!

ويَلومُنـــــــا أنْ لـــــــم نُـــــــؤبنْ فـــــــذة ... كَـــــفٌ العلـــــوم ببحثهـــــا تتخضـــــب!

قـــــــدَّمتِ خيـــــــرَكِ للأنـــــــام رَضِـــــــية ... دومـــــــاً ، ونفسُـــــكِ بالعطـــــاء تُرحـــــب

آثـــــــرتِ دارَكِ بـــــــالخيور عظيمـــــــة! ... بَـــــذلٌ جميـــــعُ النـــــاس منـــــه تعجبـــــوا

ورضِـــــيتِ بـــــالأجر القليـــــل تكلفـــــاً ... لمَّـــــا يَكـــــنْ لـــــكِ فـــــي المطـــــامع مَـــــأرب

وجعلـــتِ عِلمَـــكِ للمنـــافع مَـــوئلاً ... لمَّـــا تشـــدَّكِ رفعـــة أو مَنصـــب

وظهـــرتِ للـــدنيا مَـــلاكَ حضـــارةٍ ... وســـعى إليـــكِ عـــن الـــديار تغـــرُّب

فقبلـــتِ أعوامـــاً ، وعُـــدتِ عليمـــة ... بتخصـــص منـــه الأبـــاة تهيبـــوا

وامتـــدَّ نحـــوكِ كـــل عَـــرض يشـــتهي ... بعـــضُ الهُـــواة ظلالـــه إنْ طولبـــوا!

والقـــومُ أذهلهـــم نشـــاط خبيـــرةٍ ... فـــي كـــل ســـهم فـــي التخصـــص تضـــرب

وأتتْـــكِ بالإلحـــاح إغـــراءاتُهم ... وكأنهـــا غيـــثٌ غزيـــرٌ صَـــيِّب

وأتتـــكِ تســـهيلاتُهم تســـبي النهـــى ... وكأنهـــا بَـــرقٌ فظيـــعٌ خلـــب

فـــاخترتِ مُكثـــكِ فـــي الـــديار عزيـــزة ... مهمـــا طغـــى مـــالٌ ، وراجَ المكســـب!

والتوصـــياتُ أتتْـــكِ تســـتبقُ الخطـــا ... هُوجـــاً ، وضـــمَّ ذوي القـــرار المَوكـــب!

فـــرَجَعتِهم يتجرعـــون عَـــذابَهم ... وبـــردِّكِ القطعـــي هـــا هـــم خيِّبـــوا

ومســـاوماتُ القـــوم تُنبـــيءُ أنهـــم ... بـــ (ـمُنى) وهمتهـــا العليَّـــة أعجبـــوا!

وعظـــيمُ إنجازاتـــكِ اجتـــازتْ مَـــدىً ... عضـــلتْ بهـــم خطواتُـــه ، إذ يَصـــعُب!

(النـــانوتكنولوجي) يَشِـــيدُ بفـــذةٍ ... بمـــدائح تُتلـــى ، وأخـــرى تُكتـــب

و(المعهـــدُ العلمـــيُّ) يَنعـــى مَـــن قضـــتْ ... بـــدموع عـــين بالأســـى تتصـــبب

وكـــذا (علـــومُ الليـــزر) انفجـــرتْ بُكـــا! ... والحـــزنُ خـــيَّمَ ، ثـــم ســـاد الغيهـــب!

تبكـــي (بـــراءاتِ اختـــراع) أربعـــاً ... ورثاؤهـــا فـــي حســـرةٍ يتوجـــب

ســـتين بحثـــاً قـــد كتبـــتِ قلائـــداً ... هـــي فـــي مجـــلات (الأباعـــد) تُرغـــب!

ترتيبُـــكِ العشـــرون فـــي (النـــانو) زهـــا ... متبختِـــراً بـــين الجـــوائز يَطـــرب!

ورســـائلاً مائـــة أجـــزتِ صِـــحابَها ... المَشـــرق اســـتهدى ، وأطـــرى المَغـــرب!

وبرعـــتِ فـــي (كيميـــاءَ فيزيائيـــةٍ) ... والنـــاسُ جـــاؤوا اليـــومَ كـــي يتـــدربوا!

و(مُنـــى) تُـــوجههم بزاخـــر عِلمهـــا ... والكـــل هشـــوا فـــي اللقـــاء ، ورحَّبـــوا!

والغـــربُ أكبرَهـــا ، وأطـــرى ســـعيَها ... ومضـــى لأبحـــاثٍ لهـــا يترقـــب

وهنـــاك فـــي (الصـــين) العلـــوم تلاقحـــتْ ... واســـــتقبلَ الحَمَـــــلَ الوديـــــعَ الأذؤب!

واللهُ أعلـــــمُ بالـــــذي كـــــادوا لهـــــا ... مِـــن بعـــد مـــؤتمر يُخِيـــفُ ويُرعِـــب!

عـــادتْ لنـــا (بنـــتُ الصـــعيد) مريضـــة ... مرضـــاً بصـــحتها العفيـــة يـــذهب

شـــييءٌ أصـــاب مناعـــة فـــي جســـمها ... و(الكـــورتيزونُ) هـــو العقـــارُ المُعطِـــب

أفنـــى قواهـــا ، واســـتباحَ صـــمودَها ... وعليـــه مَـــن - إمَّـــا بغـــى – يَتغلـــب؟!

ذهبـــتْ ضـــحية كيـــد غـــرب مُعتـــدٍ ... لكـــنْ وأنـــى يُســـتبانُ المُـــذنب؟!

ماتـــتْ ضـــحية مهملـــين تعـــالموا ... فهُـــمُ عـــن التشـــخيص حقـــاً غيَّـــب!

لـــم يُـــدركوا مـــا عنـــدها مِـــن عِلـــةٍ ... كـــي يُـــدركوا بـــالطبع كيـــف تُطبَّـــب!

(بنـــت الصـــعيد) عليـــكِ رحمـــة ربنـــا ... مـــا أشـــرقت شـــمسٌ وزيَّـــن كوكـــب!

(أســـيوط) لـــن تنســـى مســـيرة بنتهـــا ... ســـتُذيعُ ســـيرتها ، وبعـــدُ تُطيـــب

يـــا (بنـــت بكـــر) حُـــزتِ أشـــرفَ رُتبـــةٍ ... فـــالعِلمُ أعظـــمُ مـــا يُنـــالُ ويُوهـــب

وحُبيـــتِ مِـــن بـــين النســـا وطنيـــة ... كـــل الألـــى خبَـــروا مَـــداها اســـتغربوا

يـــا ربنـــا فـــارحمْ (مُنـــى) ، واغفـــرْ لهـــا ... هـــذا الـــدعاءُ ، ولســـتُ بعـــدُ أعقـــب!

تأبين سعيد عبد العظيم!

(لقد كان للشيخ العلامة سعيد عبد العظيم - إمام الدعوة السلفية المحترم - مكانة كبيرة في نفوس طلبة العلم الذين يُعظمون شأنَ العلم والعلماء! وطبيعي أن لا يكون له أدنى مكانة في نفوس المبتدعة ، ولا الروافض ، ولا المرتزقة ، ولا العلمانيين ، ولا الإباحيين ، ولا الملاحدة ، ولا طلاب العلم الصفر البلهاء السفهاء الحمقى أتباع كل ناعق الذين لا يعرفون كوعاً من بوع في دين السلف الكرام! ولمَّا توفاه الله - تعالى - في ليلة الاثنين السادس والعشرين من ذي القعدة عام 1445هـ ، الموافق الثالث من يونيو 2024م ، وعود على بدء! فمن سعيد عبد العظيم؟ وما حقيقة دعوته؟ وماذا عن مسيرته العلمية والدعوية؟ إنه سعيد عبد العظيم علي محمد (10 نوفمبر 1952 م - 3 يونيو 2024م) ، من مشايخ الدعوة السلفية بمصر ، ومن مؤسسيها في السبعينات من القرن العشرين ، ولد في الإسكندرية في 10 نوفمبر 1952م! حصل سعيد عبد العظيم على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة الإسكندرية عام 1978م ، وهو خطيب مسجد الفتح بمصطفى كامل بالإسكندرية ، كما قام بعمل رحلات دعوية إلى قطر وفرنسا وإيطاليا واليونان! بدأ طلب العلم في مرحلة مبكرة حيث كان لجده (الذي كان شيخا بالجامع الأزهر) مكتبة ضخمة أثارت شغفه للبحث والاطلاع وطلب العلم في صغره ، وقد ورث الكثير من كتبها ، فأصبحت نواة لمكتبته الشخصية فيما بعد. بدأت رحلته مع الدعوة في المرحلة الثانوية ، حيث كان يخطب الجمعة في عدة مساجد بالإسكندرية كالجمعية الشرعية وأنصار السنة وغيرهما! والشيخ هو أحد المؤسسين الأوائل للعمل الدعوي في الجماعة الإسلامية المعتدلة في الجامعة ، ثم المدرسة السلفية بالإسكندرية في سبعينيات القرن الماضي ومن بعدها الدعوة السلفية وأشرف على العديد من أنشطتها الدعوية والاجتماعية ، وذلك عبر مراحل مختلفة وحتى الآن. وله العديد من المؤلفات ، تُرجِم بعضها إلى عدة لغاتٍ مثل الإنجليزية والتركية والإندونيسية ، وتطبع وتوزع في عدة دول ، وأيضاً للشيخ مقالاتٌ كثيرة نشرت في عدة صحف ومجلات عربية ، كما ساهم في الإشراف العلمي في فترة سابقة على مجلة (الحكمة) ، وهي مجلة علمية إسلامية تصدر في لندن ، وتوزع في العديد من الدول! وإضافة إلى الطب ، فقد حصل الشيخ أسامة عبد العظيم على إجازاتٍ متعددةٍ في رواية الحديث والعديد من أمهات الكتب مثل الكتب العشرة وكتب الشروح والتفاسير المعتمدة ، وهو عضو رابطة علماء المسلمين ومجلس أمناء الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح ومجلس شورى العلماء ومجلس أمناء الدعوة السلفية بالإسكندرية! وأما عن المؤلفات ، فيغلب عليها الجانب الدعوي والمنهجي والتأصيلي ، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر: (هيا بنا نؤمن ساعة - وعاشروهن بالمعروف - الديمقراطية في الميزان - ضوابط شرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية - ضوابط شرعية للألعاب الرياضية - الصدق منجاة - خطورة التليفزيون - خطورة التليفون - إلى كل عامل وموظف يؤمن بالله - اللهم لك أسلمت - الله أكبر - الموتى يتكلمون – الاصطياف - الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل - رسالة لأهل الفن - الدولة اليهودية العالمية دولة إسرائيل الكبرى - الزواج العرفي - نظرات في مسألة تعدد الزوجات - أمارات الساعة الآتية - تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد - معجزات النبي صلى الله عليه وسلم - كيف تحل مشاكلنا - كيف تنال السعادة الحقيقية - الكفارات أسباب وصفات - الخطب والوعظ والتذكير - إلى الفتاة المؤمنة - حياة القلوب - الأتقياء الأخفياء - وعند الله تجتمع الخصوم - دعوة أهل الكتاب للدخول في دين رب العباد - أخطاء شائعة في البيوع - الرقية النافعة للأمراض الشائعة -

الصرع (أسبابه وعلاجه) - يمحق الله الربا - خلق المسلم - الإنارة في الحج والعمرة والزيارة - قصص الأنبياء (عظات وعبر) - قصص الصحابة - دروس الزمان في شهر الصيام - ابن تيمية فقيه عصره - الشهرة وعالم الأضواء - الوصية بالأشهر العربية - إرشاد الطالب لتحقيق أهم المطالب - فتاوى اللجنة الدائمة - ماذا بعد رمضان؟! - وبالوالدين إحساناً (أسباب عقوق الأبناء - كيف تحقق غنى النفس؟! - صور من الطغيان المادي)! هذا ، وتوفي في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية ليلة الاثنين 26 ذو القعدة 1445 هـ الموافق 3 يونيو 2024 م! فرحمه الله رحمة واسعة! وإذ مات الشيخ في غير دياره غريباً ، ونص حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم على أن الغريب شهيد! فنسأل الله تعالى أن يكتب شيخنا الراحل سعيد عبد العظيم من الشهداء! ومن الآن أقولها: نحسب الشيخ شهيداً ، ولا نقطع له بالشهادة لماذا؟ لأن الحكم القطعي لله العلي الكبير فقط! وأما نحن فنحكم وصفياً بما رأت العين وأدرك العقل من أحكام الدنيا الظاهرة! لئلا يخرج علينا شحيط بن محيط فيتهمنا بالقطع لمعين بالشهادة! نقول له: يا جاهل يا مغرض يا سفيه ، نحن نجري أحكام الدنيا على ظاهرها ، وأما الحكم لمعين الحكم القطعي الثبوتي فلله! فكان لزاماً على كل شاعر مسلم مؤمن موحدٍ يعيشُ على منهج السلف الصالح بحق أن يبكيه شعراً! ولما كنتُ – وأحسبني – واحداً من هؤلاء الشعراء ، كانت هذه القصيدة التأبينية للشيخ العزيز سعيد عبد العظيم! وإن لم يؤبن الشعرُ السلفيُّ علماء الدعوة السلفية فمن يؤبن؟! ومن يبكي؟! ومن ينعي؟!)

سُـــرَّ (البقيـــعُ) بمَوكِـــب الأفـــراح! لا لطـــمَ فيـــه ، ولا حَســـيسَ نُـــواح!

والـــنعشُ مُبـــتهجُ الســـريرة باســـمٌ مُتوشِّـــحٌ بالصـــمت خيـــر وشـــاح

ومُشـــيِّعو الجُثمـــان هـــدَّهمُ الأســـى كـــلٌ بكـــى بالمَـــدمع الســـحَّاح

ونعـــى الجميـــعُ مُعلمـــاً بلـــغ المَـــدى فـــي النصـــح والإرشـــاد والإيضـــاح

وتـــأثرتْ برحيلـــه مُهَـــجُ الـــورى أرأيـــت مِثـــلَ تـــأثر الأرواح؟!

واســـتمطروا رحَمـــاتِ رَبٍّ مُـــنعم وتوسَّـــلوا بالواحـــد الفتـــاح

أن يـــرحم الشـــيخ الشـــهيدَ تفضـــلاً ويُفـــيض مِـــن بركاتـــه بصِـــفاح

ويَخصَّـــه بالرحمـــة اتســـعتْ لـــه والجَمـــعُ قـــال بنبـــرة المِلحـــاح

يـــا ربنـــا فـــارحمْ (ســـعيداً) ، إنـــه كـــم عـــاش يـــدعونا إلـــى الإصـــلاح!

لـــم يرتـــزقْ يومـــاً بـــإبلاغ الهُـــدى مثـــلَ الألـــى فـــي النـــاس كالأشـــباح

أكلـــوا بـــدين الله ، لـــم يَتورَّعـــوا وتبجَّحـــوا بهُـــرائهم فـــي الســـاح

وغـــدا (مُسَـــيلمة) إمـــامَ ضـــلالهم والـــبعضُ مـــنهم يقتـــدي بـــ (ـــسجاح)!

الشـــيخ قـــاطعَهم ، وكَشَّـــفَ كَيـــدُهم واجتـــثّ بـــاطلهم بخيـــر ســـلاح

ومجاهـــــدٌ بالـــــذكر يَختصـــــر المـــــدى ... بمســـــيرةٍ قرنـــــتْ ببـــــذل كِفـــــاح

نشـــــرَ الحـــــديثَ مُصـــــحَّحاً ومُنقحـــــاً ... وأجـــــادَ بـــــين النـــــاس نشـــــرَ صِـــــحاح

وأقـــــامَ حُجتـــــه ، ولـــــم يـــــكُ وانيـــــاً ... وبيانُـــــه كتـــــبلج الإصـــــباح

واستصـــــحبَ البرهـــــانَ يَقمـــــعُ خصـــــمَه ... مِثـــــلَ الســـــهام براحـــــة النضـــــاح

نعـــــمَ الأدلـــــة ســـــاقها نبراسُـــــنا ... تُـــــزري بصـــــاحب سَـــــطوةٍ ووَقـــــاح!

كـــــم صَـــــدَّ هجمـــــة مُبطـــــل لـــــم يَمتثـــــل ... أدبَ الحـــــوار ، وســـــاقطٍ ، وإبـــــاحي!

كـــــم ردَّ فِريـــــة مُفســـــدٍ مُتخـــــرص ... مُتملـــــق مُتزلـــــفٍ ســـــفاح!

لـــــم يخـــــشَ فـــــي الـــــرحمن لومـــــة لائـــــم ... بـــــل كـــــان يُخـــــرسُ مَـــــن طغـــــى ، ويُلاحـــــي

كـــــان الطبيـــــبَ مُشخصـــــاً أمراضـــــنا ... لنعـــــيش دون مَواجـــــع وجـــــراح

كليـــــة الطـــــب التـــــي شـــــرُفتْ بـــــه ... منحـــــتْ شـــــهادتها بـــــدون مـــــزاح!

ليكـــــون دكتـــــوراً لـــــه تشخيصُـــــه ... أكـــــرمْ بعـــــالم طِبِّـــــه المِنصـــــاح!

وأوى إلـــــى القـــــرآن يـــــدرسُ آيـــــه ... وبـــــه يســـــيرُ كحامـــــل المصـــــباح

ليُنيـــــر دربـــــاً ضُـــــوعِفتْ ظلماتُـــــه ... والمـــــاكِثون بـــــه كمـــــا النـــــزاح

وعلـــــيهمُ اختلطـــــتْ أمـــــورٌ جَمـــــة ... فـــــإذا المبـــــاحُ غـــــدا كغيـــــر مبـــــاح

وطغـــــتْ علـــــى الآنـــــام أعظـــــمُ فتنـــــة ... فـــــي غـــــدوةٍ أودى بهـــــا ورَواح

حتـــــى قضـــــى ســـــبعين عامـــــا فـــــي المَضـــــا ... اليـــــوم يرحـــــلُ رحلـــــة المرتـــــاح!

إنـــــا لنحســـــبه ، وربـــــي حســـــبه ... أوحـــــى لنـــــا ذكـــــراه نفحـــــة واح!

ونعـــــى لنـــــا نفســـــاً دنـــــا ميعادُهـــــا ... وقضـــــى فهـــــل فـــــي النعـــــي أي جُنـــــاح؟!

ووكيلـــــه الـــــرحمنُ ، هـــــذا ظننـــــا ... إذ كـــــان صـــــاحب دعـــــوةٍ وصَـــــلاح

أعطـــــى وناصـــــحَ ، لـــــم يُطـــــوِّع دينـــــه ... ولـــــه صُـــــوَىً فـــــي جهـــــره اللمـــــاح

كجـــــواد سَـــــبق مـــــا ارعـــــوى فـــــي ضـــــبحه ... بـــــل أكمـــــلَ المشـــــوار بعـــــد جمـــــاح

وأتـــــاه نُصَّـــــاحٌ ضـــــلالٌ نُصـــــحُهم ... مـــــا انفـــــك يَفضـــــحُ (عِـــــرَّة) النصـــــاح!

الشـــيخ مـــات ، ولـــم تـــزلْ أســـفارُه ... فـــي المكتبـــات كعـــاطر الألـــواح

والـــبعضُ تُـــرجم كـــي تُزخرفـــه اللغـــا ... والـــبعضُ يُعطـــى حِســـبة بســـماح!

أنـــا يا(ســـعيدُ) علـــى رحيلـــك آســـفٌ ... وأخـــصُّ بـــالإطراء والأمـــداح

كتبـــاً تركـــت وضـــيئة صـــفحاتُها ... ناحـــتْ عليـــك كســـائر الأنـــواح

عاينـــتُ فـــي (الإســـكندرية) حزنَهـــا ... مُـــذ غالهـــا نبـــأ بشـــرِّ صـــباح

كانـــت تُجلـــك لا تســـل عـــن جُودهـــا ... وخصِصـــت فـــي (سَـــمُّوحَةٍ) بجَنـــاح!

وبمســـجد (الفـــتح) اســـتقامت دعـــوة ... لـــم يمحُهـــا يومـــاً تجبُّـــرُ مـــاح!

طـــلابُ عِلمـــك مـــا نسَـــوْك لحَيظـــة ... فاشـــمخ بصِـــيتك ، وابتشِـــر يـــا صـــاح

(عبـــدَ العظـــيم) بكيـــتُ موتـــك والنـــوى ... لا يُرجـــعُ الأمـــواتَ أيُّ صِـــياح!

فـــي خيـــر أيـــام قبضـــت ، وبقعـــةٍ ... إن (البَقِيـــع) بهـــا لخيـــرُ بِطـــاح!

ضـــمَّتْ صـــحابة (أحمـــدٍ) وحـــريمهم ... خيـــر الرجـــال هـــمُ ، وخيـــر مـــلاح

ســـتُجاورُ (الصِّـــدِّيقَ) خيـــرَ رجالنـــا ... وتكـــون جـــار (الليـــث) و(الجـــرَّاح)!

وتُراثـــك المـــذخورُ نحـــن دعاتُـــه ... ولســـوف يَحظـــى فـــي الـــوغى بنجـــاح

ومـــن اهتـــدى بهـــداه فالبُشـــرى لـــه ... ولـــه بهـــذا العـــيش كـــل فـــلاح

هـــو مـــنهجٌ متكامـــلٌ مسترشـــدٌ ... هـــو غيـــرُ محتـــاج إلـــى الإفصـــاح

إذ كـــل ســـطر فيـــه شـــمسٌ أشـــرقتْ ... فزهـــا بـــنص قـــاطع مِفصـــاح

أو كالغـــدير حبـــا العِطـــاشَ نميـــرَه ... مَرحَـــى بمـــاءٍ – للظِمـــاء – قـــراح!

ربـــاه فـــارحمْ يـــا رحـــيمُ (ســـعيدَنا) ... هـــو يســـتجيرُ بربـــه الفتـــاح

أبدلـــه داراً فضـــلتْ عـــن داره ... بُسِـــطتْ بـــأحلى سُـــندس فيـــاح

أبدلـــه أهـــلاً فضـــلوا عـــن أهلـــه ... ولهـــم كـــذلك أفضـــلُ الأرواح!

تبادلُ الزوجات!

(تحتاج هذه الظاهرة الملعونة القذرة – تبادل الزوجات - إلى علاج شرعي وآخر شعري ، وبينهما علاجات أخرى نفسية ، وعصبية ، ومجتمعية ، ريثما تنقشعُ من المجتمعات الطيبة ، بعد أن كثرَ بلاؤها وشرُّها! وهذه الظاهرة كأني بها تقول للواحد منا: مرحباً بك في القرن الواحد والعشرين. حيثُ بات الحـرامُ مجانياً وبأيسر السبل وأرخصها ، والحلالُ مكلفاً جداً وبأصعب الوسائل وأغلاها. حيث أصبحَ وصولُ البيتزا أسرعَ من وصول الإسعاف والأمن. حيث صار فقدانُ الهاتف أكثر ألماً من فقدان الكرامة. والملابسُ اليوم تحدد قيمة الشخص. حيث أصبح الوفاء وأصحابه من الطراز القديم. حيث إن المال اليوم هو تمثال الحرية والعدالة والمساواة. مرحباً بك في هذا العصر الموحش. حيث أصبح الكذب فهلوة ، والخـيانة ذكاءً ، والفقر عيباً. والعُـري قمة الأناقة والحرية ، والتحشم قمة التخلف ، والجمال هو عامل الجذب الأول ، وكسر الخاطر أصبح صراحة ، وجبر الخواطر أصبح طِيبة وهبلاً ، والمال يجبر الناس أن تحترمك حتى لو كان من حـرام ، والخمر مشروبات روحية ، والحِشمة والحجاب رجعية وعودة إلى عصور الظلام ، والتبرج والسفور والعُرْي البهيمي العجماوي تقدماً وحضارة ، والزنا تعاطِيَ الحب ، والربا فائدة ، أصبحت المبادئ والقيم قمة التخـلف والتأخر. أهلاً بك في قمة الزيـف وفي أسـوأ عصر من عصور البشرية ، للأسف الشديد. في عصرنا المنحط ، بعض الزوجات تُتبادل كالسيارات والدراجات البخارية والثياب والفساتين! لقد سمعنا عن تقسيم بعض الصحابة للزوجات تقسيماً أبدية ، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ، وكان كثيرَ المال ، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً ، سأقسِّمُ مالي بيني وبينك شطرين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك ، فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ، فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئاً من سمن وأقط ، فلم يلبث إلا يسيراً ، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه وضر من صُفرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهيم مهيم ، قال: تزوجت امرأة من الأنصار ، فقال: ما سُقت إليها؟ قال: وزن نواةٍ من ذهب ، أو نواةٍ من ذهب. فقال: أولمْ ولو بشاة. اهـ. وليس فيما ذكر امتهان للمرأة ، وإنما يتنازل عنها بالطلاق سعد ثم تعتد ثم يتزوجها عبد الرحمن بعد رضاها ؛ لأن الثيب قد تقرر في الشرع أنها لا تزوج برجل إلا إذا صرحت نطقاً بقوله ، فقد اتفق العلماء أنه لا بد من رضا الثيب. قال الإمام ابن رشد: وأما النساء اللاتي بعتبر رضاهن في النكاح: فاتفقوا على اعتبار رضا الثيب البالغ ، لقوله صلى الله عليه وسلم: والثيب تعرب عن نفسها. رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي. اهـ. ويدل لهذا ما ورد من التفصيل في رواياتٍ أخرى ، فقد ذكر ابن حجر في الفتح أن في رواية ابن سعد: فانطلق به سعد إلى منزله فدعا بطعام فأكلا ، وقال: لي امرأتان ، وأنت أخي لا امرأة لك ، فأنزل عن إحداهما فتتزوجها. وفي رواية إسماعيل بن جعفر: ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها ، فإذا حلت تزوجها. وفي حديث عبد الرحمن بن عوف: فأقسم لك نصف مالي ، وانظر أي زوجتيَّ هويت فأنزل لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها. ونحوه في رواية يحيى بن سعيد وفي لفظ: فانظر أعجبهما إليك فسمها لي فأطلقها ، فإذا انقضت عِدَّتها فتزوجها. وفي رواية حمادٍ بن سلمة عن ثابت عند أحمد: فقال له سعد: أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالي فخذه ، وتحتي امرأتان فأنظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها! هذا ومن المعلوم أن الغالب عن هذه المرأة لو طلقها زوجها أنها سترضى بعبد

الرحمن بن عوف زوجاً لها وذلك لأكثر من سبب:- الأول: أنها صحابية جليلة تحب الدين وأهله وتعلم أن عبد الرحمن من خيرة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ترك وطنه وماله وأهله وهاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فراراً بدينه واعتزازاً بربه واتكالاً عليه ، فهو أهلٌ لأن يقدر له هذا الموقف. الثاني: أن عبد الرحمن من وسط مرموق فهو من أوسط قريش نسباً! الثالث: أنه تاجر ماهر ذو خبرة عالية في التجارة وقد يكون ممن عُرفوا بذلك في الجاهلية ، والنساء يرغبن في الزواج بالرجل الناجح لاسيما إذا كان ينحدر من وسطٍ محترم. ولنعلم يقيناً أن الإسلام كان قد كرَّم المرأة لم يعرف التاريخ مثله ، ولم تعرف الحضارات الإنسانية له مثيلاً! لقد استشرت مسألة: (تبادل الزوجات) في الآونة الأخيرة! وأصبحت ظاهرة تستهدف أمن وسلامة وسعادة المجتمع! وعندما نعلم أنها واكبت انتشار الإنترنت ببعض مواقعه الإباحية القذرة ، ندرك أنها إفراز من إفرازاته العفنة الدنسة! ولقد سمعنا عن التنازل عن الزوجات لا عن التبادل لهن! وفرق كبير بينهما ، يزيد عن الفرق بين السماء والأرض بمراحل! لقد كان التنازل عن الزوجات منقبة عليها الأجر من الناس والثناء من الناس! ولم نسمع قط عن تبادل الزوجات الذي هو العار والشنار وغضب الجبار ولعنة الأخيار وذم الأبرار! أما التنازل عن الزوجات فكان يفعله بعض أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – من الأنصار الذسن آووا ونصروا ، أولئك الأقوام الذين قسموا الدور والممتلكات مع إخوانهمُ المهاجرين ، وأتى الدور على تقسيم الزوجات! وبالاصطلاح المعاصر: (التنازل عن الزوجات)! فيُخير الأنصاري أخاه المهاجري بين زوجاته ، فمن أعجبته منهن أو منهما طلقها زوجها ، وبعد انقضاء عدتها تحل للمهاجري فيتزوجها على كتاب الله وسنة رسوله! أما عن تبادل الزوجات الذي بدأ يستشري بين الديوثيين الداعرين اليوم ، ففيه يتبادلُ كل ديوثين زوجتيهما دون طلاق حيث إن كل زوجةٍ في عصمة زوجها ، استجابة لداعي الهوى والشهوة والنزق ، أو بداعي التجديد على حد قولهم لعنة الله تعالى عليهم! وذلك تأثراً بالحضارة الغربية الجاهلية المعاصرة! ولما علِمتُ بذلك رأيتُ أن أدلي بدلوي غيرة على دين الله وحُرماته سبحانه! وهذا سؤال: هل يجوز الزواج بالتبادل إذا وافقت الزوجتان؟ وتفصيل السؤال: هل يجوز الزواج بالتبادل أو في البدلة ، بمعنى: رجلان يتبادلان بأخواتهم ، أو في بناتهم؟ مع دفع مبلغٍ من المال كمهر ، لكل واحدةٍ منهن ، ولكن أقل من المهر السائد في المنطقة؟ علمًا بأن الزواج بموافقتهن. والجواب: الزواج بالتبادل لا يجوز ، كونه يسمى: نكاح الشغار ، وقد نهى عنه النبي ﷺ في أحاديث كثيرةٍ صحيحة ، وهو أن يقول: زوجني أختك ، وأزوجك أختي ، أو بنتك ، وأزوجك بنتي ، أو ما أشبه ذلك ، هذا لا يجوز ، ولو بالمهر ، ولو تراضى الجميع ؛ لأن الرسول نهى عن ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ ولأنه وسيلة إلى إجبار النساء ، وظلم النساء ؛ ولأنه وسيلة إلى الفتن ، والخصومات ، إذا تنازع هذا مع زوجته ، كذلك الرجل الآخر تنازعه زوجته أو أهلها. فالحاصل: أنه لا يجوز لما يترتب عليه من الشرور ، أما إذا خطب هذا ، وخطب هذا من دون شرط ، هذا خطب من الأسرة ، وخطبوا منه ، من دون مُشارطة ؛ فلا حرج في ذلك! واليوم تُطالعنا الأخبار بتخلى عامل ما عن نخوته ، وعِرض زوجته على راغبي المتعة الحرام ، على صفحة تابعة لإحدى التطبيقات ، وقام العامل وزوجته بعمل فيديوهات بث مباشر ، فقدَّما خلالها عروضاً جنسية للزبائن ، لجذب أكبر عددٍ ممكن حتى ذاع صيتهما ، ليقوم الزوج بعمل صفحة لتبادل الزوجات! كان هذا هو الموجز ، وإليكمُ الأنباء بالتفصيل بدون ذكر الأسماء ولا الأماكن ولا التواريخ! جلس عامل وزوجته يبحثان عن طريقةٍ لزيادة دخلهما ، وقادهما تفكيرُهما

الشيطاني إلى عرض صور خادشةٍ للحياء للزوجة على صفحةٍ أنشأها الزوج الديوث ، وأشرف عليها بنفسه ، وبدأ الزوج في التقاط صور ونشرها لتجذب آلاف الزوار ، فقررا توسيع نشاطهما وتصوير فيديوهاتٍ قصيرةٍ ونشرها على واحدٍ من التطبيقات! ومن مجرد الدعوة الملعونة والصور الأكثر لعنة إلى حفل جنس جماعي! فلقد وجد الزوج ضالته المنشودة وعرف طريق المال ، دون مبالاةٍ بزوجته وما سيقول الناس ، وبدأ في التواصل مع بعض رواد الصفحة الذين طلبوا مقابلته وزوجته واقترحوا سوياً إقامة حفل جنس جماعي ملعون وتبادل زوجات ، وهو ما لاقى قبولاً عند الرجل ، الذي بدأ في نشر تعليقات على صفحته حول استعداده وزوجته لإقامة حفل جنس جماعي. وذاع صيت الديوث ، وقامت زوجته بتقديم خدمات جنسية لراغبي المتعة الحرام عبر أحد التطبيقات ، كما قامت بعمل جروب لتبادل الزوجات. وتبين فيما بعد ، أن المجرم كان يعمل موظفاً صغيراً ، وزوجته ربة منزل ، وكانا معاً قد أدارا صفحة لتسهيل الدعارة ، مستغلين في ذلك واحداً من التطبيقات ، وتواصلا مع آخرين لعمل حفل جنس جماعي وتبادل الزوجات. بينما قام المتهم وزوجته بإنشاء حسابات على تطبيق "تانجو" ، حيث قاما ببث فيديوهاتٍ جنسيةٍ للمجرمة الثانية بهدف تسهيل عملها بالدعارة ، وربح المزيد من الأموال ، والمجرم الأول كان يخفي الأموال التي تحصلا عليها من أعمالهما المشبوهة! واعترف المتهم بمكان الأموال ، كما اعترفتْ زوجته بإنشاء جروب عبر وسائل التواصل الاجتماعي لتبادل الزوجات والتحريض على الفسق والفجور ، وكذلك تنظيم وبث مقاطع جنسية عبر التطبيقات الإلكترونية بهدف تحقيق مكاسب مالية. وكانت تستدرجُ شقيقتها وتُقدمُها لزوجها لاغتصابها ، وأخبرتْها أنها في انتظارها لقضاء الإجازة بصحبتها ، إلا أن الشيطانة كانت قد خططتْ مع زوجها للانتقام من شقيقتها بسبب خلافاتٍ ماليةٍ سابقةٍ بينهما ، وقدمتْها لزوجها لاغتصابها ، وقامتْ بتصويرها أثناء مواقعة الزوج للمجني عليها! وتبين كذلك قيام موظفة ، وزوجها بتخدير المجني عليها شقيقة الأولى ، داخل شقتهما ، وعقب ذلك مارس المجرم الثاني الجنس معها ، بينما صورتها المتهمة الأولى شقيقتها بهاتفها المحمول. وكان الشعارُ المعمولُ به في هذه المجموعة المنحلة الملعونة مجموعة الزناة القوادين: (استمتع بزوجات الآخرين ، مقابل أن تتركهم يستمتعون بزوجتك» ، وتلك فكرة بغيضة أعلن عنها أشخاصٌ بلا أخلاق ، واتخذوها شِعاراً للترويج للمتعة الحرام عبر شبكة الإنترنت ، فأنشأوا حساباتٍ وصفحاتٍ مشبوهة لارتكاب تلك «الجريمة الأخلاقية» ، قبل أن تكون جريمة «جنائية» والتي عرفها الإعلام بقضايا تبادل الزوجات! وكانت هناك قرابة 8 قضايا لتبادل الزوجات خلال السنوات العشر الأخيرة ، جميعها دعتِ العديدَ من خبراء علم النفس والاجتماع والأطباء والباحثين إلى دراسة تلك الوقائع لمعرفة دوافع أصحابها وماذا دار في عقولهم ليدفعهم لهذا السلوك البغيض ، ليرمي بهم في مستنقع الرذيلة هم وزوجاتهم! وبعد ذلك انقلب الرأي العام وسادت حالة من الاستنكار والذعر الاجتماعي من هذه الجريمة اللاأخلاقية! فلقد أنشأ المجرمون موقعاً على شبكة الإنترنت عام 2008م ، يتضمنُ عرض نفسه وزوجته لممارسة الجنس الجماعى ، وبث إعلانات عبر مواقع المحادثات على الشبكة من أجل ممارسة الدعارة والرذيلة. وكان الزوج للأسف هو المجرم الرئيسى ، وكان قد اشترط على الراغبين في «تبادل الزوجات» أن يُقدِّموا عقودَ زواج رسمية للزوجين ، وأنه كان يرفضُ المتزوجين عُرفياً ، خوفاً من حدوث اختلافٍ بينهم قد يُؤدي إلى تمزيق أحدهما لورقة الزواج ، وتبين أن من بين الشروط أيضاً موافقة الزوجتين ، وأن تكونا معجبتين بالطرف الثانى ، فيما اعترفتِ الزوجة

بعد ذلك بأنها تمارس الدعارة مع الرجال دون تمييز! وفي عام 2012م ، كانت هناك شبكة أخرى لتبادل الزوجات ، وفيها أن الزوج المتهم أقنع زوجته بضرورة «التغيير» لتجديد علاقتهما الجنسية والعاطفية ، وأنه وزوجته قد قررا من خلال مشاهدتهما موقعاً خاصاً بشاب خليجى يُعلنُ عن تبادل للزوجات. وأضاف أنهما اختارا 3 أسر من بين العشرات من الأسر التي وافقت على أفكارهما ومارست معهما الدعارة. وقالت الزوجة «30 سنة» وهى مديرة حضانة إن زوجها عرض عليها الأمر ، وأكد لها أن ذلك سيزيد من علاقتهما ويجدد حياتهما الجنسية ، وأنها كانت تدخل غرفة بصحبة الشخص وزوجها يدخل غرفة مجاورة مع زوجة هذا الشخص. وتكرر ذلك – والعياذ بالله - 3 مرات! وفي عام 2014م كان هناك أستاذ جامعي يقود شبكة لتبادل الزوجات في شقته ، وذلك عقب إنشائه حساباً على شبكة الإنترنت لهذا الغرض ، فيتم ضبطه وزوجته وعددٍ آخرَ من المتهمين المشتركين معه في ارتكاب تلك الجريمة! وفي 2015م كان هناك موظف وزوجته ربة منزل بشقتهما ، كانا قد أنشآ صفحة بموقع التواصل الاجتماعي لهذا الغرض ، ورصدت المقابلات الخاصة بالمجرمين بالصوت والصورة! وفي عام 2019م كان هناك مجرم آخر قد أنشأ صفحة عبر موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» لتبادل الزوجات ، وأرسل صوراً عارية لزوجته لراغبي المتعة ، وأنه يعرضها لممارسة الجنس مع الرجال ، وبمجرد التواصل مع أي شخص يدخل للصفحة يخبره برغبته في ممارسة الرذيلة مع زوجته مقابل زوجته المعروضة! وكانت هناك في فترةٍ وجيزة قرابة 8 قضايا لتبادل الزوجات خلال السنوات العشر الأخيرة ، وكانت هناك أكثر من شبكة تبادل زوجاتٍ علي مواقع التواصل الاجتماعي. لقد جرى العُرف أن عِرض الزوجة وشرفها من شرف الزوج ، وما يُمس شرف الزوجة ينال من عِرض زوجها وكرامته ، واعتدنا في مجتمعاتنا على أن أكبر عنوان للرجولة هو حِفظ الرجل لعِرض زوجته وكرامته ، كما أنه في القرأن الكريم وصف الله سبحانه وتعالى الزواج بالميثاق الغليظ ، إلا أنه في هذه الواقعة الكارثية بكل المقاييس ، استباح الأزواج المجرمون كل هذا وضربوا بتعاليم الدين والأعراف المجتمعية عُرض الحائط من أجل المتعة الحرام بالترويج لتبادل الزوجات ، بأن يقدم المجرم الديوث منهم زوجته لرجال غرباء في مقابل أن ينال من زوجاتهم! وكم من واقعةٍ طغى فيها حب اللذات والشهوات الشيطانية على زوج ما وزوجته ، بأن استباح عِرض زوجته وتقديم جسدها لكل من يرغب أن يتبادلها معه ، ليستمرا في إقامة حفلاتِ الجنس الجماعي في شقتهما من خلال هذه الشبكة لتبادل الزوجات التى أنشأوها على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" من أجل المتعة الحرام ، بعد أن زين لهما الشيطانُ طريقَ الفاحشة. وإذا فتحنا صفحة الأطباء النفسيين لندرك آراءهم وعلاجاتهم لهذه الظاهرة الملعونة: (تبادل الزوجات) لأدركنا مدى الخطورة وصعوبة الحلول! فلنطالع ما قاله بعضهم ، فهذا هو الدكتور محمد هاني ، استشاري الصحة النفسية والعلاقات الزوجية والأسرية ، يقول: (إن تبادل الزوجات ، وتكوين شبكات لممارسة هذا الفعل ، تعد من الأشياء الغريبة في المجتمع. وأضاف هاني ، أن الذين يمارسون هذه الرذيلة ، فهم خرجوا عن أساس الزواج ، فأحلوا إشباع الغرائز والشهوات ، محل الرحمة والمودة التي أمر بها الدين. وأوضح استشاري الصحة النفسية ، أن الذين يكوّنون شبكات تبادل الزوجات ، لديهم مرض يسمى بـ "الهلاوس الجنسية" ، وهو يعتبر نوعًا من أنواع الشذوذ ، لافتًا إلى تعدد أسباب الإصابة بالشذوذ ، أبرزها التعرض لتجربة في سن صغير ، والممارسة والمشاهدة للأفلام الإباحية. وأشار استشاري الصحة النفسية والعلاقات الزوجية ، إلى أن المصابين بالشذوذ ، يعانون من

نقص جنسي ، وعدم القدرة على إشباع رغباتهم ، فيبدأون في اللجوء إلى مشاهدة الأفلام الإباحية ، ثم يبدأون في إنشاء صفحاتٍ على الإنترنت ، للتواصل مع من يعانون من نفس المشكلة ، ويتبنون نفس الفكرة. وأوضح الدكتور هاني ، أن مرضى تبادل الزوجات ، لديهم "كوكتيل نواقص" ، منها انفصام في الشخصية مع انفلاتٍ أخلاقي ، ومنهم من لديه نقص ديني ، ومنهم من يكون مدمناً جنسياً ويريد التجربة ، مشيرًا إلي أن بعض الرجال الذين يقومون بذلك العمل الشاذ ، يكون ذلك منهم من أجل جلب الأموال ، مطالبًا بتطبيق أقصى عقوبةٍ رادعةٍ عليهم ، للحفاظ على سلامة المجتمع ، وبنية الأسرة. ولفت هاني ، إلى أن الزوجة التي يُفكر زوجها بهذه الطريقة ، تكون في حيرة ، بين ممارسة الرذيلة ، أو الرفض والطلاق ، كما أنه في كثير من الحالات الزوج يجبر زوجته على الفحشاء ، وإذا كانت لديها الميولُ نفسها ، فتستصعب الأمر في البداية ، ثم تعتاد عليه فيما بعد ، والزوجات يعتبرن أزواجهن أنهم بلا قيمةٍ أو فائدةٍ ، بينما المرأة السوية الحُرة العفيفة الشريفة منهن ، تطلب الطلاق فورًا. وأما عن العلاج ، فبيّن استشاري الصحة النفسية ، أن علاج أصحاب فكرة تبادل الزوجات ، يتم عن طريق أحد برامج العلاج النفسي ، التي تبدأ بتغيير الوسط الذي يعيشون فيه وتغيير ميولهم ورغباتهم ، وإخراج هذا "الفكر الشيطاني الخبيث" من عقولهم).هـ. وفي سياق متصل ، أكد الدكتور أحمد هارون ، استشاري العلاج النفسي وعضو الجمعية الأمريكية لعلم النفس ، أن شبكات تبادل العلاقات الزوجية ، تعد شكل من أشكال الاضطرابات النفسية! وتابع هارون ، أن هناك عدة أنواع في التعاملات الجنسية ، والتي تتمثل في شخص هادئ ، وآخرعنيف ، وأخر يفضل الرومانسية ، مشيرًا إلى أن هناك أزواج يطلبون من زوجاتهم أشياءً غريبة ، كأن تقصُّ عليهم قصصاً جنسية ، موضحًا أن هذه النماذج الأربعة يُعانون من المرض ذاته ، وهو الاضطراب النفسي الجنسي. وأضاف استشاري العلاج النفسي ، أن مرضى تبادل العلاقات ، يشعرون بالملل والتقليدية في حياتهم ، مما يدفعهم للبحث عن وسائل تزيد من الرغبة لديهم ، ومن ثم يلجأون إلى تبادل زوجاتهم. ولفت عضو الجمعية الأمريكية لعلم النفس إلي أن تعارف مرضى تبادل الزوجات ، يتم عن طريق نوع من أنواع الطاقة يسمي بـ"الطاقة النفسية" ، والتي تجذب الأشخاص إلى من يشبهونهم في الميول. كما أوضح هارون ، أن أي اضطراب نفسي ، يكون أساسه 3 أسباب رئيسية ، إما العوامل الوراثية ، وهي تعني استعداد الشخص للإصابة بالمرض ، وإما التنشئة الاجتماعية ، وهي التي تُساهم بشكل كبير في تشكيل رغبات الفرد وتفكيره ، ما إذا كان ملتزمًا أم سيئًا ، وإما أن يكون لدى الشخص دافع ما يحركه مبينًا أن علاج كل هذه الحالات ، يكمن في التكثيف من التوعية النفسية ، أي معرفة ميول الأفراد ودوافعهم ، وهي تتم عن طريق جلسات خاصة حتى يتم تغيير فكره الخاطئ. وشدد هارون ، على أنه إذا شعر الفردُ في نفسه ، برغبةٍ جنسيةٍ غريبةٍ على دينه ومجتمعه ، فعليه الذهاب إلى الطبيب المتخصص ، حتي لا يتطور الأمر ويصبح كارثة جنسية ، ككارثة تبادل الزوجات. ومن جانبها ، قالت العبقرية الدكتورة هبة عيسوي ، استشارية الطب النفسي بطب عين شمس ، ما نصه: (إن حالات تبادل العلاقات الزوجية الجنسية ، تندرجُ تحت نوع من الاضطرابات يطلق عليها "الإثارة الجنسية غير السوية". وتابعت عيسوي ، إن ممارسة العلاقات التبادلية ، ترجعُ إلى وجود كبتٍ جنسي أو هرموني ، مَرجعه سبب ظهور هذه العلاقات ، باحتمالية كبيرة لتعرض من يمارسونها لحالات تحرش ، في إحدى مراحل حياته الأساسية ، خاصة الطفولة والمراهقة ، مُشدِّدة على أن هذه المراحل إذا لم تمر بسلام ، تحدث

له خللاً في علاقاته فيما بعد. وأشارتِ استشارية الطب النفسي ، إلى أنه قد يكون للزوج والزوجة ، نفسُ المُيولُ الجنسية ، وربما تُجبَرُ الزوجة على ارتكاب هذا الفعل ، بسب تدهور حالتها الاقتصادية ، أو أنه لا مأوى لها سوى بيت الزوجية. وشددتِ استشارية الطب النفسي على أنه من أحد أهم العناصر لعلاج هذه المشكلة ، هو عودة تفعيل الخط الساخن التابع للمجلس القومي للمرأة ، للإبلاغ عن حالات التحرش ضد المرأة ، مما يساهمُ في إنقاذ العديد من الزوجات ، وتفعيل خط المشورة أيضًا ، لمعرفة كيفية التعامل مع الزوج في هذا الوضع قانونًا ونفسيًا!).هـ. وحَري بنا أن نطالعَ صفحاتِ التاريخ لندرك إهانة المرأة في الحضارات الجاهلية كلها غابرها وحاضرها! ثم جاء الإسلام العظيم بينهما ، فانتشل المرأة من الحضيض الأسفل ، ووهبها الحياة والكرامة معاً! ثم ها هو فريق من النساء ضاق بالكرامة والطهر ، وانغمس في الرجس والرذيلة ، إلى أن وصل بهن الحال إلى (تبادل الزوجات)! فإذا نظرنا إلى الحضارات التي سبقت الإسلام ، وكيف كان وضع المرأة فيها مُزرياً ولا يتناسب مع أبسط مبادئ الإنسانية. ومنها الحضارة البابلية ، والتي عبرت عنها قوانين حمورابي والتي يرجع عمرها من ٣٥٠٠ عام. أي أنها تسبق الإسلام. وكانت منزلة المرأة فيها بمنزلة الأمة أو العبدة المملوكة ثم تأتي "شريعة مانو" والتي كانت تقضي بأن تموت الزوجة يوم موت زوجها ، وأن تُحرق معه وهي حية! وكثيراً ما تردد في أمثال الأمم القديمة بقولهم: احذر المرأة الفاسدة ، ولا تركن إلى الفاضلة. وحضارة اليونان التي يزهو بها الأوروبيون والأمريكيون لأنهم ينتسبون إليها ؛ فلم يظهر فيها امرأة واحدة نابهة أو كان لها دورٌ فاعلٌ في هذه الحضارة. ومن مشاهير هذه الحضارة كان أرسطو والذي يمثل أكبر عقل فيها ، فقد بنى فلسفته الاجتماعية على أن المرأة للرجل كالعبد للسيد ، ومنزلتهاعند زوجها لا تعدو منزلة العبد لسيده ، وقال: إن الطبيعة تمنحُ الرجلَ عقلاً كاملاً ، بينما تمنحُ المرأة حظاً أقل مما يمنعها أن تشارك الرجل في أعمال الجندية أو السياسة لأنها تحتاج عقلاً راجحاً لا تملكه المرأة التي خلقت للتناسل وإرضاء الزوج فقط. وتحت عنوان: (المرأة عبر الحضارات ، هل ظلمها الإسلام أم كرمها؟!) يقول الأستاذ جلال الجنيدي ما نصه بتصرفٍ زهيد: (لا شك أن الحديث عن مكانة المرأة في الإسلام كثير وكثير جداً ، فهناك من يخرج علينا صائحاً بأعلى صوته أن الإسلام ظلم المرأة وجار عليها وصادر حريتها وحال بينها وبين حقها في أن تعيش كمثيلاتها من النسوة الأخريات من أتباع الحضارات الأخرى ، وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك ووضع الإسلام في قفص الاتهام وحاكمه وأدانه حتى قبل أن يتحرى ويتبين من براءته ، وراح يُجَرِّمُه ويسيء إليه بدعوى ظلم المرأة بدون دليل ولا منهج علمي موضوعي ، وعلى الجانب الآخر تجد من ينفى كل ما نسب إلى الإسلام من شبهات تجاه المرأة ويقول عكس كل ما قيل سابقاً ، وأن الإسلام كرم المرأة وأعلى من شأنها. وللإجابة على هذا السؤال سنعرض مكانة المرأة في مختلف الحضارات وماذا قدمت تلك الحضارات بما فيها الإسلام للمرأة. ففي الحضارة الإغريقية كانت المرأة عند الإغريق محتقرة مهانة حتي أنهم أسموها رجس من عمل الشيطان. وكانتْ كالمتاع تُباع وتشترَى في الأسواق ، مسلوبة الحقوق ، محرومة من حقِّ الميراث وحقِّ التصرُّف في المال ، وكانتْ في غايةِ الانحطاط. وقد قال عنها أشهر فلاسفة الإغريق أرسطو طاليس: "إن المرأة رجل غير كامل ، وقد تركتها الطبيعة في الدرك الأسفل من سلم الخليقة" ، وهو القائل أيضاً: "أن المرأة للرجل كالعبد للسيّد ، والعامل للعالم ، والبربري لليوناني ، وأن الرجل أعلى منزلة من المرأة". أما الفيلسوف الإغريقي المشهور سقراط فقد قال: "إنَّ وجودَ المرأة هو أكبر منشأ ومصْدر

للأزمة في العالَم ، إنَّ المرأة تُشبه شجرةً مَسْمومة ، حيث يكون ظاهرها جميلاً ، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً. واليهود قد صبوا جام غضبهم على المرأة ، فكانت عندهم سلعة خسيسة رخيصة تتنقل بين أحضان الرجال بطريقة غاية في الشذوذ ، كما جعلوها هي الخائنة والمتمردة والكاذبة والذليلة. أما عن وضع المرأة في الحضارة الرومانية فقد كان سيئاً جداً فقد اعتبر الرومان المرأة متاعاً مملوكاً للرجل وسلعة من السلع الرخيصة يتصرف الرجال فيها كيف يشاءون ، وكان يعتبرها الرجال شراً لا بد من اجتنابه ، وأنها مخلوقة للمتعة ، وكان الرجل يملك مالها فهي في نظره ونظر المجتمع الروماني كله مخلوقة لا قيمة لها ، وكان بيد أبيها وزوجها حق حياتها وحق موتها وإذا كانت ملك أبيها في شبابها فهو الذي يختار لها زوجها فإذا تزوجت ملكها زوجها وفي ذلك يقول جايوس: "توجب عادتنا على النساء الرشيدات أن يبقين تحت الوصاية لخِفة عقولهن. وكان من أبرز قرارات المؤتمر الكبير الذي عقد في روما هي أن المرأة بلا نفس أو خلود وأنها لن ترث الحياة الآخرة وأنها رجس ويجب ألا تأكل اللحم وألا تضحك وألا تتكلم وعليها أن تمضي جميع أوقاتها في الخدمة والطاعة وقد حكموا عليها بأن تمنع من الكلام. وقد أقدموا على وضع قفلاً حديدياً على فم النساء كانوا يسمونه (الموزلير) حتى يمنعوا المرأة من الكلام فكانت النساء جميعهم من أعالي الأسر وأدناها تسير في الطرقات وتعمل في البيت وفي فمها قفل من حديد. والطلاق عند الرومان كان كشرب الماء فالزوجة تطلق في السنة عشرات المرات كأنها حشرة تافهة بلا قيمة تطلق لأبسط الأسباب فهذا سينيكا الفيلسوف الرومانى الشهير يندب كثرة الطلاق فيقول: "لم يعد الطلاق اليوم شيئاً يندم عليه أو يستحيا منه في بلاد الرومان وقد بلغ من كثرته وذيوع أمره أن جعلت النساء يعدون أعمارهن بأعداد أزواجهن. وفي إنجلترا كانت تباع المرأة في الأسواق بثِلنين لأنها ثقلت بتكاليفها على الكنيسة التي تؤويها ، كما بقيت المرأة إلى سنة 1882 م محرومة من حقها الكامل في ملك العقارات وحُرية المُقايضة ، وفي بلغراد بيعت النساء بالميزان ، وكان الرطل الواحد يساوي بنسين أو ثلاث بنسات ، وكان ثمن الزوجة التي تزن مائة رطل أو مائة وعشرين رطلاً لا يزيد عن 28 شلناً. والفيلسوف الإنجليزي هربرت سبنسر يؤكد ذلك وقد قال: "أن الزوجة كانت تُباع في إنجلترا خلال القرن الحادي عشر" وقد سنت المحاكم الكنسية في هذا القرن قانوناً ينص على أن للزوج أن ينقل أو يعير زوجته. وفرنسا أيضاً لم تكن هي الأخرى أفضل في تعاملها مع المرأة من جاراتها فقد قرر فيها مجمع ماكون الذي عقد سنة 586م: "أنَّ المرأة إنسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل ، وتخلو روحها من الروح الناجية من عذاب جهنَّم ما عدا أم المسيح"! أما اليهود فقد صبوا جام غضبهم على المرأة، فكانت عندهم سلعة خسيسة رخيصة تتنقل بين أحضان الرجال بطريقة غاية في الشذوذ كما جعلوها هي الخائنة والمتمردة والكاذبة والذليلة، في أبشع هجوم وجريمة بحق المرأة وامتهان لحقوقها. كما أنهم يعتبرون المرأة لعنة ، لأنَّها أغوت آدم ، وقد جاء في التوراة: "المرأة أمرُّ من الموت وإنَّ الصالح أمام الله ينجو منها. أما العرب في الجاهلية كانوا ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الأمتعة التي يمتلكونها مثل الأموال والبهائم ، ويتصرفون فيها كيف شاءوا ، وقد حرموها من الميراث وكان العرب يقولون: "لا يرثنا إلا من يحمل السيف". وقد كانت المرأة مصدر عار عند العرب فقد كان أحدهم إذا ولدت زوجته بنتاً ضاق ذرعاً واستشاط غضباً ، وقد كان وأْد البنات منتشراً بشكل كبير بينهم ، والوأْد هو دفن المولودات الإناث وهن على قيد الحياة. وما تحدثتُ به عن وضع المرأة المأساوي في تلك الحضارات السالفة الذكر غيضٌ من

فيض ، وقد اختصرت الكثير الكثير ، وحتى في وقتنا الحاضر فالمرأة لا زالت عند تلك الحضارات مجرد سلعة وأداة ناجحة للترويج والإعلان ، فالمرأة عندهم متاحة للجميع وفي أي وقت ولا يوجد أي ضابط شرعي أو أخلاقي أو قانوني يحد من ازدرائها والحط من قدرها والاعتداء على كرامتها ، وربما أن حالات الاغتصاب الهائلة وتعدد العشيقات وأطفال الملاجئ خير دليل على وضع المرأة الغربية البائس. إن الإسلام لم يظلم المرأة بل قد ظلم أولئك التغريبيين الإسلام ونالوا منه بافترائهم عليه وخلطوا الأوراق على معتنقيه وعلى غير معتنقيه وصوروه بصورة الوحش الذي ينقض على فريسته وهو بريء من هذه التهم. إن الإسلام لم يظلم المرأة بل قد ظلم أولئك التغريبيين الإسلام ونالوا منه بافترائهم عليه وخلطوا الأوراق على معتنقيه وعلى غير معتنقيه وصوروه بصورة الوحش الذي ينقض على فريسته وهو بريء من هذه التهم. أما الإسلام الذي يتهمه القاصي والداني من أبناء هذه الأمة ومن غير أبنائها فهو الوحيد الذي صان المرأة وحفظ لها كرامتها وأعلى من شأنها ، فقد جاءت النصوص الشرعية جميعها لتأكد على أهمية احترام المرأة وتغليظ عقوبة الاعتداء عليها والحط من قدرها فقد جاء بالحديث الصحيح عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: "استوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عَوانٌ عندكم ، إن لكم عليهن حقاً ، ولهن عليكم حق". وقد نزلت سورة كاملة تحمل اسم "النساء" تُبينُ حقوق المرأة وتُنظم شؤونها وتُعلي من شأنها ، فالمرأة في الإسلام مصانة ولها الحرية في كل شيء ضمن ضوابط شرعية من شأنها حفظ كرامة المرأة. يقول المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون: "إن الأوربيين أخذوا عن المسلمين مبادئ الفروسية وما اقتضته من احترام المرأة ، وهو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه ، وذلك خلافاً للاعتقاد الشائع. وبعد كل هذا التكريم للمرأة في الإسلام نجد من يطل علينا ليتهم الإسلام بظلم المرأة والحط من قدرها والتضييق عليها! ، وقد طالب البعض بتحريرها ليس ذودا عنها بل ليسهل على نفسه وعلى غيره سرعة الوصول إليها وهذا ما قد حدث للأسف وقد خسرت كل من اذعنت لأصواتهم فقد أصبحت دمية بيد كل عابث. لنفرض أن الإسلام حقاً قد ظلم المرأة وحط من قدرها كما فعلت باقي الحضارات الأخرى إذن لماذا هذه الهجمة الشرسة على الإسلام وحده فقط؟! ولماذا لا يهاجم أولئك الذين ذبحتهم الشفقة على المرأة تلك الحضارات التي أهانت المرأة وحطت من قدرها على مدى العصور ، إذا فالمسألة ليست مسألة خوف وشفقة على المرأة ، بل هو شيء في النفوس تجاه الإسلام ومعتنقيه. وأنا أعتقد أن الإسلام لم يظلم المرأة بل قد ظلم أولئك التغريبيين الإسلام ونالوا منه بافترائهم عليه وخلطوا الأوراق على معتنقيه وعلى غير معتنقيه وصوروه بصورة الوحش الذي ينقض على فريسته وهو بريء من هذه التهم كبراءة الذئب من دم يوسف. وعلى المرأة المسلمة أن لا تصغي لأصوات أولئك المدلسون الذين لا يريدون لها ولا للإسلام الخير ، وعليها أن تتمسك بتعاليم هذا الدين العظيم الذي أعلى من شأنها وحافظ على كرامتها. ونظرة لمكانة وحال المرأة في الجاهلية قبل الإسلام تبين لنا مدى الظلم الذي لحق بها! لقد كان العرب في الجاهلية ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الأمتعة التي يمتلكونها مثل الأموال والبهائم ، ويتصرفون فيها كيف شاؤوا. وكان العرب لا يورثون المرأة ، ويرون أن ليس لها حق في الإرث وكانوا يقولون: لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة. وكذلك لم يكن للمرأة على زوجها أي حق ، وليس للطلاق عدد محدود ، وليس لتعدد الزوجات عدد معين. وكان العرب إذا مات الرجل وله زوجة وأولاد من غيرها كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره ، فهو

يعتبرها إرثاً كبقية أموال أبيه ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الرجل إذا مات أبوه أو حموه فهو أحق بامرأته ، إن شاء أمسكها ، أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها ، أو تموت فيذهب بمالها. رواه أبو داود. وقد كانت العدة للمرأة إذا مات زوجها سنة كاملة ، وكانت المرأة تحد على زوجها شر حداد وأقبحه ، فتلبس شر ملابسها ، وتسكن شر الغرف ، وتترك الزينة والتطيب والطهارة ، فلا تمس ماء ولا تقلم ظفراً ولا تزيل شعراً ولا تبدو للناس في مجتمعهم. وكان عند العرب أنواع من الزيجات الفاسدة منها: اشتراك مجموعة من الرجال بالدخول على امرأة واحدة ثم إعطاؤها حق الولد تلحقه بمن شاءت منهم فتقول إذا ولدت: هو ولدك يا فلان فيلحق به ويكون ولده. ومنها: نكاح الاستبضاع وهو أن يرسل الرجل زوجته لرجل آخر من كبار القوم لكي تأتي بولد منه يتصف بصفات ذلك الكبير في قومه. ومنها: نكاح المتعة وهو المؤقت. ومنها: نكاح الشغار وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته أو موليته لرجل آخر على أن يزوجه هو موليته بدون مهر وذلك لأنهم يتعاملون على أساس أن المرأة يمتلكونها كالسلعة. وكذلك كان العرب يكرهون البنات ويدفنونهن في التراب أحياء خشية العار كما يزعمون ، وقد ذمهم الله بذلك وأنكر عليهم فقال الله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ).هـ. وإذا عقدنا مقارنة يسيرة للمرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية ، لأدركنا يقيناً الفرق الكبير بينهما! وهناك فرية يتهم الغرب فيها الإسلام بأنه يظلم المرأة ، فما هي مكانة المرأة في الإسلام؟! فنقول له: لقد بلغت المرأة في الإسلام مكانة عالية ، لم تبلغها ملة ماضية ، ولم تدركها أمة تالية ، إذ إن تكريم الإسلام للإنسان تشترك فيه المرأة و الرجل على حد سواء ، فهم أمام أحكام الله في هذه الدنيا سواء، كما أنهم أمام ثوابه وجزاءه في الدار الآخرة سواء ، قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) ، وقال عز من قائل: (للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) ، وقال جل ثناؤه: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) ، وقال سبحانه: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ، وقال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمَّا يبلُغنَّ عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رِّب ارحمهما كما ربياني صغيراً). وقال تعالى: (فاستجاب لهم ربهم أنّي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) ، وقال جل ثناؤه: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ، وقال عز من قائل: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً). وهذا التكريم الذي حظيت به المرأة في الإسلام لا يوجد له مثيل في أي ديانة أو ملة أو قانون فقد أقرت الحضارة الرومانية أن تكون المرأة رقيقاً تابعاً للرجل ، ولا حقوق لها على الإطلاق ، واجتمع في روما مجمع كبير وبحث في شؤون المرأة فقرر أنها كائن لا نفْس له ، وأنها لهذا لن ترث الحياة الأخروية ، وأنها رجس. وكانت المرأة في أثينا تعد من سقط المتاع ، فكانت تُباع وتُشترى ، وكانت تعد رجساً من عمل الشيطان. وقررت شرائع الهند القديمة: أن الوباء والموت والجحيم وسم الأفاعي والنار خير من المرأة ، وكان حقها في الحياة ينتهي بانتهاء أجل زوجها - الذي هو سيدها - فإذا رأت جثمانه يحرق ألقت بنفسها في نيرانه ، وإلا حاقت عليها اللعنة! أما المرأة في اليهودية فقد جاء الحكم عليها في العهد القديم ما يلي: (درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً ، ولأعرف الشر أنه جهالة ، والحماقة أنها جنون ؛ فوجدت أمرّاً من الموت : المرأة التي هي شباك ، وقلبها شراك ، ويدها قيود) سفر الجامعة ،

الإصحاح 7 : 25 ، 26 ، ومن المعلوم أن العهد القديم يقدسه ويؤمن به اليهود والنصارى. تلك هي المرأة في العصور القديمة ، أما حالها في العصور الوسطى والحديثة فتوضحها الوقائع التالية شرح الكاتب الدانمركي اتجاه الكنيسة الكالوثوليكية نحو المرأة بقوله: (خلال العصور الوسطى كانت العناية بالمرأة الأوربية محدوداً جداً تبعاً لاتجاه المذهب الكاثوليكي الذي كان يعد المرأة مخلوقاً في المرتبة الثانية) ، وفي فرنسا عقد اجتماع عام 586 م يبحث شأن المرأة وما إذا كانت تعد إنساناً أو لا تعد إنساناً؟ وبعد النقاش: قرر المجتمعون أن المرأة إنسان ، ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل. وقد نصت المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون الفرنسي على ما يلي : (المرأة المتزوجة - حتى لو كان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها - لا يجوز لها أن تهب ، ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية. وفي إنجلترا حرّم هنري الثامن على المرأة الإنجليزية قراءة الكتاب المقدس وظلت النساء حتى عام 1850 م غير معدودات من المواطنين ، وظللن حتى عام 1882 م ليس لهن حقوق شخصية ، سلسلة مقارنة الأديان ، تأليف د . أحمد شلبي ، ج3 ، ص: 210 ، أما المرأة المعاصرة في أوروبا وأمريكا وغيرها من البلاد الصناعية فهي مخلوق مبتذل مستهلك في الأغراض التجارية ، إذ هي جزء من الحملات الإعلانية الدعائية ، بل وصل بها الحال إلى أن تجرد ملابسها لتعرض عليها السلع في واجهات الحملات التجارية وأبيح جسدها و عرضها بموجب أنظمة قررها الرجال لتكون مجرد متعة لهم في كل مكان. وهي محل العناية ما دامت قادرة على العطاء والبذل من يدها أو فكرها أو جسدها ، فإذا كبرت وفقدت مقومات العطاء تخلى عنها المجتمع بأفراده ومؤسساته ، وعاشت وحيدة في بيتها أو في المصحات النفسية. قارن هذا - ولا سواء - بما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ، وقوله جل ثناؤه: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف). وقوله عز وجل: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمَّا يبلُغنَّ عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رِّب ارحمهما كما رباني صغيراً). وحينما كرمها ربها هذا التكريم أوضح للبشرية قاطبة بأنه خلقها لتكون أماً وزوجة وبنتاً وأختاً ، وشرع لذلك شرائع خاصة تخص المرأة دون الرجل. وتحت عنوان: (مكانة المرأة في بعض الحضارات القديمة والأديان الأخرى) ، يقول الأستاذ عبد الرحمن الطوخي ، ما نصه بتصرفٍ زهيد: (على مرِّ التاريخ ، وتعاقُب الأمم والحضارات ، كانتِ المرأةُ ممسوخةَ الهُوية ، فاقِدة الأهلية ، منزوعة الحريَّة ، لا قِيمةَ لها تُذكر ، أو شأن يُعتبر ، بل كانتْ تُقاسي في عامَّة أحوالها - باستثناء عصور الرِّسالات الإلهيَّة - ألوانًا من الظُّلم والقهْر ، والشَّقاء والذُّل ، صاغتْها أهواءٌ ضالَّة ، أو عقائدُ فاسِدة! ولا جرمَ أنَّ الباحثَ في وضْع المرأة قبلَ الإسلام لن يجدَ ما يسرُّه ؛ إذ يرى نفسَه أمامَ إجماع عالَمي على تجريدِ هذه المخلوقة مِن جميع الحقوق الإنسانيَّة. المبحث الأول: المرأة عند الإغريق:- كانتِ المرأة عندَ الإغريق محتقرةً مَهينة ، حتى سموها رجسًا مِن عمِل الشيطان ، وكانتْ كسقط المتاع تُباع وتشترَى في الأسواق ، مسلوبة الحقوق ، محرومة من حقِّ الميراث وحقِّ التصرُّف في المال ، وكانتْ في غايةِ الانحطاط سوء الحال مِن حيث نظرية الأخلاق والحقوق القانونيَّة والسلوك الاجتماعي جميعًا. وممَّا يُذكر عن فيلسوفِهم سقراط قوله: "إنَّ وجودَ المرأة هو أكبر منشأ ومصْدر للأزمة والانهيار في العالَم ، إنَّ المرأة تُشبه شجرةً مَسْمومة ، حيث يكون ظاهرها جميلاً ، ولكن عندما تأكل منها العصافير

تموت حالاً". ويقول أرسطو: "إنَّ الطبيعة لم تزودِ المرأةَ بأيِّ استعداد عقلي يُعتَدُّ به ؛ ولذلك يجب أن تقتصرَ تربيتُها على شؤون التدبير المنزلي والأُمومة والحَضانة وما إلى ذلك ، ثم يقول: "ثلاث ليس لهنَّ التصرُّف في أنفسهنَّ: العبد ليس له إرادة ، والطِّفل له إرادة ناقِصة ، والمرأة لها إرادة وهي عاجِزة". المبحث الثاني: المرأة عند الرومان:- كان شِعر الرومان فيما يتعلَّق بالمرأة: "إنَّ قيْدها لا يُنزع ، ونيرها لا يخلع" ، وكان الأب غيرَ ملزم بقَبول ضمِّ ولده منه إلى أُسرته ذَكرًا أم أنثى ، بل يُوضَع الطِّفْل بعد ولادته عندَ قدميه ، فإذا رفَعَه وأخَذه بيْن يديه ، كان ذلك دليلاً على أنَّه ضمَّه إلى أُسْرته ، وإلا فإنَّه يعني رفْضه لذلك. ومِن عجيب ما ذكرتْه بعضُ المصادر ـ وهو ممَّا لا يُكاد يُصدَّق ـ أنَّ "ممَّا لاقته المرأة في العصور الرُّومانية تحتَ شعارهم المعروف "ليس للمرأة رُوح" تَعذيبها بسَكْب الزَّيْت الحار على بَدنِها ، وربْطها بالأعمدة ، بل كانوا يَربطون البريئاتِ بذُيول الخيول ، ويُسرعون بها إلى أقْصى سُرْعة حتى تموت". المبحث الثالث: المرأة عند الفُرْس:- كان الفُرْس أُمَّةً حربية ، وكانوا يُفضِّلون الذَّكَر على الأنثى ؛ لأن الذكور عمادُ الجيش في الحرْب ، وأمَّا البنات فإنَّهن ينشأْنَ لغيرهنَّ ، ويَستفيد منهنَّ غيرُهنَّ. وخضَعَتِ المرأة الفارسية القديمة للتياراتِ الدِّينيَّة الثلاثة ، فمِن الزرادشتية ، إلى المانوية ، إلى المزدكية ، وقد تركتْ كلُّ ديانة من هذه الديانات بصمتَها الواضحة على كيان الأُسرة ، تعيش في ذلٍّ ، وقهْر ، واستعباد. وكانتِ النساء تحتَ سُلطة الرجل المطلَقة الذي يحقُّ له أن يحكُمَ عليها بالموت ، أو ينعم عليها بالحياةِ طبقًا لِمَا يراه ، وتطيب له نفْسه ، فكانتْ كالسلعة بيْن يديه. كما كانتْ بخسة في الأدوار الطبيعيَّة "كالحيْض والنِّفاس" ، يُبعدن في وقتِه عن المنازل ، ويَقمْنَ في خيام صغيرة تُضرب لهنَّ في ضواحِي المدينة أو البلدة ، ولا يجوز مخالطتُهنَّ قطعًا ، بل كانوا يعتقدون أنَّهم يتنحسون إذا مسُّوهنَّ أو مسُّوا الخيام أو الأشياء المحيطة بهنّ. المبحث الرابع: المرأة عند الهنود:- في شرائعِ الهندوس أنَّه: "ليس الصبر المقدَّر ، والرِّيح ، والموت ، والجحيم ، والسُّم ، والأفاعي ، والنار ، أسوأَ مِن المرأة").هـ. ويقول الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ: "ولم يكن للمرأةِ في شريعة "مانو" حقٌّ في الاستقلال عن أبيها أو زوْجها أو ولدها ، فإذا مات هؤلاء جميعًا وجَب أن تنتمي إلى رجلٍ من أقارب زوْجها ، وهي قاصرةٌ طِيلةَ حياتها ، ولم يكن لها حقٌّ في الحياة بعْدَ وفاة زوْجها ، بل يجب أن تموتَ يومَ مات زوجها ، وأن تُحرَق معه وهي حيَّة على موقِدٍ واحد ، واستمرَّتْ هذه العادة حتى القرن السابع عشر ، حتى أُبطلت على كُرْه من رِجال الدّين الهنود ، وكانت تُقدَّم قربانًا للآلهة لترْضَى ، أو تَأمُر بالمطر أو الرِّزق ، وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرةٌ يجب أن يُقدِّم لها أهلُ المنطقة فتاةً تأكلها كلَّ سَنَة. المبحث الخامس: المرأة عند اليهود:- كانتْ بعض طوائف اليهود تَعتبر البنتَ في مرتبة الخادم ، وكان لأبيها الحقُّ في أن يبيعها قاصِرة ، وما كانت تَرِث إلا إذا لم يكن لأبيها ذريةٌ من البنين ، وإلا ما كان يتبرَّع لها به أبوها في حياته. والمتأمِّل لحال المرأة في المجتمع اليهودي يَجِدها لا تختلف عن المجتمعاتِ البدائية ، فهي مملوكةٌ لأبيها قبلَ الزواج ، ثم تُشترَى منه عندَ نِكاحها ؛ لأنَّ المهر كان يدفع لأبيها أو لأخيها على أنَّه ثمن شراء ، وبذلك تُصبح مملوكةً لزوجها ، وهو سيِّدها المطلَق ؛ إذ إنَّ العقد في شريعتهم عقد سِيادة لا عقد زواج. والمرأة في الشريعة اليهودية تُورَث كجزء مِن تركة الميِّت ، فإذا مات زوجُها وَرِثها وارثُه مع بقية المتروكات ، وله أن يبيعَها أو يعضلها ، ثم إنَّ المرأة غيرُ طاهرة عندَهم في اليوم الذي تبدأ فيه بالشُّعور بأنَّ عادتها الشهرية قد اقتربَتْ ، وحتى إذا لم يكن هناك أثرٌ ظاهِر ، وعلى الزَّوْج عدم ملامستها ، ولا حتى بأصبعه الصَّغير ، ولا يسمح له

بمناولتها أي شيء ، ولا حتى شيئًا طويلاً ، ولا أنْ يأخذ منها شيئًا من يدِه إليها أو العكس غير مسموح به أيضًا ، ولا يسمح لها بالأكْل مع زَوْجها على مائدةٍ واحدة ، ولا يُسمح له بشُرْب ما تفضل منها في الكوب ، ولا يُسمح لهما في المبيت في السَّرير نفْسه ، ولا في الرُّكوب معه في عَرَبة واحدة. المبحث السادس: المرأة عند الأمم النصرانية:- هالَ رِجالَ النصرانية الأوائل ما رَأَوا في المجتمع الرُّوماني مِن انتشار الفواحش والمنكرات ، وما آل إليه المجتمعُ مِن انحلال أخلاقي شَنيع ، فاعتبروا المرأةَ مسؤولة عنْ هذا كلِّه ؛ لأنَّها كانت تخرج إلى المجتمعات ، وتتمتَّع بما تشاء مِن اللهو ، وكذلك فقد عدُّوها أصْلَ الخطيئة ، ورأس الشر ؛ لأنَّها سببُ الفساد ، وسبب خروج آدمَ مِن الجنة. فكانت المرأة نتيجةً لذلك مُطالَبةً بنوع من سلوك معيَّن ، حتى وهي داخل الكنيسة ، فقد أصدر "بولس" أوامرَ صارمة لأتْباعه ، وكما يقول صاحب قصَّة الحضارة: "لتصمتْ نِساؤكم داخلَ الكنيسة ؛ لأنَّه ليس مأذونًا لهن أن يتكلمْنَ ، ولكن إذا كُنَّ يُرِدْنَ أن يتعلمْنَ شيئًا فليسألْنَ رجالهنَّ في البيت ؛ لأنَّه قبيح بالنساء أن تتكلَّم في الكنيسة". وقد وصَمت الكنيسةُ العلاقة الزَّوجيَّة بين الرجل والمرأة بالنجاسة؛ ولذا يجب أن تُجتنب، ولو كانت عن طريق نِكاح مشروع، ومِن هذه النظرة انتشرتِ الرهبانيةُ لدَى كثير من الرجال، وامتنعوا عنِ الزواج، كما انتشرتْ نظرية الازدراء لمَن يكشف عن زواجه؛ لأنَّ علاقة الزواج مبنيَّة على أمرٍ نَجِس. وقد حرَّمت الكنيسةُ الطلاق، مهما بلغ التباغُض بين الزوجين مداه، وأقصى ما يمكن اتخاذُه في مثل هذه الحال أن يفرق بينهما جسديًّا مع امتناع كلٍّ منهما عن الزواج حتى يفرقَ بينهما بالموت).هـ. هذا ولقد تفردت الموسوعة الحرة: (الويكيبيديا) بالحديث المحقق المدقق عن المرأة العربية قبل الإسلام ، أقتبس منه نصياً: (لقد اختلفت مكانة المرأة حسب المستوى الاجتماعى الذي تنتمي إليه. وناقش بعض الكُتاب وضع المرأة في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ووجدوا أنهم أمام وضع مختلط. فوفقًا للعرف القبلي الذي كان بمثابة القانون القائم آنذاك ، لم يكن للمرأة كقاعدةٍ عامةٍ أي وضع قانوني يُذكر ، لقد بيع النساء عن طريق أولي أمورهن ، والذين كانوا بدورهم «كتجار إناث» يقبضون الثمن في المقابل ، وكان هذا الزواج قائم على الإرادة المنفردة للزوج ، ولم يكن للنساء الحق في الملكية أو الإرث. ويذهب بعض الكُتاب ، بأن المرأة كانت أكثر تحررًا قبل الإسلام عن ماكان عليه وضعها بعده ، ويستشهدون على ذلك بالزواج الأول للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم - ؛ والذي كان زواجًا عن طريق طلب خديجة بنت خويلد ، حيث أرسلت إحدى صديقاتها ؛ وهي نفيسة أخت يعلى بن أمية إلى النبي محمد تعرض عليه الزواج من خديجة ، وكانت خديجة سيدة في قومها وتاجرة ذات مال. وكذا يُعول هؤلاء الكُتاب على نقاطٍ أخرى منها عبادة العرب للات ، وهي إحدى الأصنام التي عبدها العرب قبل الإسلام وكانت هي والصنمين مناة والعزى يُشكلن ثالوثًا أنثويًا عبده العرب وبالخصوص ممن سكن مكة. وتعتبر المؤرخة السعودية هاتون الفاسي أن حقوق المرأة العربية تضرب بجذورها في عمق التاريخ ، وتستعين بذلك بأدلة من الحضارة النبطية القديمة الموجودة في الجزيرة العربية ، فقد وجدت أن المرأة العربية في ظل هذه الحضارة كانت تتمتع بالشخصية القانونية المستقلة ، وأشارت الفاسي إلى أن المرأة فقدت الكثير من حقوقها في ظل القانون اليوناني والروماني قبل دخول الإسلام ، وقد تم الإبقاء على هذه المعوقات اليونانية الرومانية في ظل الإسلام. ويختلف وضع المرأة على نطاق واسع في جزيرة العرب قبل الإسلام من مكان لآخر نظرًا لاختلاف الأعراف والعادات الثقافية للقبائل التي كانت متواجدة آنذاك ؛ حيث كانت قوانين المسيحية واليهودية مهيمنة

للغاية بين الصابئة والحميريون في الجنوب المزدهر من المنطقة العربية. في أماكن أخرى مثل مكة المكرمة حيث مولد النبي محمد كان لمجموعة من القبائل الحق في المكان ؛ وكان ذلك أيضًا ينطبق مابين ساكني الصحراء من البدو ، ويختلف الوضع باختلاف العرف من قبيلة لأخرى ، وبالتالي لم يكن هناك تعريفٌ واحدٌ لا للدور الذي اضطلعت به المرأة ولا للحقوق التي حصلت عليها قبل مجيئ الإسلام. وأما عن مكانة المرأة في طبقة الأشراف والأغنياء ، فالجدير بالذكر أنه في طبقة الأشراف والسادة والأغنياء ، كانت المرأة محترمة ، مصونة تتمتع بكل الحقوق ، تُسل دونها السيوف ، وتراق فداء لكرامتها الدماء وكانت لها ذمتها المالية المستقلة فامتلكت الأموال ، وشاركت في التجارات ولعل السيدة خديجة بنت خويلد كانت أعظم نموذج لذلك إذ كانت من ذوات المال ، وكانت تشتغل بالتجارة ، ولها قوافل تجارية تخرج سنويا إلى بلاد الشام ، وكانت تشرف بنفسها علي تجارتها تجارتها ، وتعهد بها لأهل الثقة والكفاءة والأمانة. وأما عن المرأة في الحروب ، فقد لعبت المرأة دوراً كبيراً فيها وذلك بإثارة روح الحماسة في صفوف الرجال ، وتشجيعهم علي بذل النفس والنفيس ولتحقيق النصر لقبائلهم ، فعندما استحكم الصراع بين الغساسنة والمناذرة ، قامت حليمة بنت الحارث الغسانى تتفقد جنود أبيها بنفسها ، وتدهن أيديهم بالطيب والعطر ، وهي تبث فيهم روح الحماسة والإصرار. ويتكرر هذا الدور في مشهد أخر عند محاربة قريش للمسلمين في يوم أُحد ، حيث خرجت نسوة قريش تقودهن هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان يتجولن في الصفوف ، ويضربن بالدفوف ، يستنهضن الرجال ، ويحرضوهم علي القتال ويثرن حفائظ أهل الضرب والطعان وينشدن. وكانت النساء تصاحب الرجال إلى ساحة القتال لمداواة الجرحى ، وحمل الماء إلى العطشى ، ولم يقتصر دورهن عند هذا الحد فحسب ، بل بارزن بالسيف ، وامتطين صهوة الجياد ، ورفعن لواء الحرب ، وكانت لبعضهن صولات وجولات لا تقل عن فرسان قبائلهن. كما كانت المرأة قادرة على أن تشعل نار الحرب والقتال بين القبائل ، فإنها كانت قادرة أيضا على وقف القتال والدعوة للسلام ، وحقن الدماء ، وإنها الخلاف ، وقد رأينا سبيعة بنت عبد شمس في يوم عكاظ بين كنانة وقيس وكانت الدائرة فيه علي قيس ، فلما رأت قومها قد أسرف في القتل ، جعلت من خبائها حرماً آمناً لكل من استجار به من قيس ، وأمضي ذلك حرب بن أمية فأجار من استجار بها ، وقال لها: "ياعمة من تمسك يا طناب خبائك أو دار حوله فهو آمن فنادت بذلك ، فأستدارت قيس بخبائها حتى كثروا ، فلم يبقي أحداً لا نجاة له إلا دار بخبائها فسمى هذا الموضع مدار قيس! كما كان أي اعتداء على المرأة سبباً في اندلاع الحرب بين القبائل، وإراقة الدماء، فعندما نادت ليلى ام الشاعر عمرو بن كلثوم «واقوماه» لم يملك ابنها إلا أن استل سيفه وذبح عمرو بن هند ملك الحيرة ، وسبى خيله ونسائه عقاباً له لتعمد أمه إهانة ضيفتها أم الشاعر. وتمادى العرب في ذلك فكان اعتداء كليب وائل زعيم ربيعة على ناقة البسوس سبباً في حروب ومعارك دامية استمرت أربعين عاماً ، وكان تناول رجل رغيفاً من على رأس الخولاء ، خبازة بني سعد بن زيد مناة سبباً في أن تشكوه إلى قومها فثأروا عليه ، وقامت حروب ومعارك بينهما قتل فيها ما لا يقل عن ألف رجل. واشتهرت بعض نساء العرب بالحكمة والعقل ، فكن مرجعا للرجال يأخذوا بمشورتهن ، ويسمعوا لأرائهن ، وقد رأينا كيف تمكنت سُعدى أم أوس بن حارثة بين لأم طائى من اقناع ابنها بالعدول عن قتل الشاعر الذي هجاها وهجاه ، والعفو عنه والإحسان إليه وإكرامه ، حتى أقسم ألا يقول شعراً إلا مدحاً فيهما فأنهت بحكمتها صراعاً كاد أن ينشب ، وحقنت دماء كادت أن تراق. وإذا برحنا ساحة الحرب والقتال ودلفنا إلى ساحة المرأة ودورها في الأدب ، لأدركنا أن المرأة العربية كانت مبرزة في الحياة الأدبية! فقد برزت نساء شاعرات ، أجدن في نظم الشعر ، وقد امتلكن من فصاحة اللفظ وجزالة المعنى ما جعلهن على قدم المساواة مع فحول الشعراء ، وكان من أشهرهن جليلة بنت مُرة ، والخنساء التي بلغت من

الفصاحة والبيان والشهرة ما أهلها لأن تقوم بالتحكيم بين كبار الشعراء المتنافسين ، كما برزت منهن طبيبات ومعالجات. وإذا كانت المرأة قد تمتعت بكل هذا الاحترام ، فإن الأم بصفة خاصة حظت بمكانةٍ مرموقةٍ ، حيث حرص أبناؤها على برها وكسب ودها ، وجاء الإسلام ليؤكد هذه النزعة عندهم فقال عز وجل: (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً). وأما عن دور المرأة في المنزل ، فالمرأة في الحياة المنزلية قد حظت نساء الأشراف والأغنياء في بيوتهن بالراحة والدعة ، تخدمهن جوارى وإماء ، يقضين أوقات فراغهن في التزين ، وعقد المجالس مع نساء طبقتهن للحديث والمسامرة. وأما المرأة العامية أو البدوية. أما المرأة في الأوساط العامية أو البدوية ، فكانت أقل حظا من مثيلاتها من أبناء الطبقة الراقية! إذ وقع على عاتقهن مسؤولية البيت ، ورعاية الأولاد ، وإعداد الطعام ، وسقى الماء ، وجلبه من الأبار والعيون ، وحلب الحيوانات ، وغزل الصوف ، وصناعة الملابس لها ولأولادها ، وصناعه الخيام والبسط ، وجمع الحطب للوقود وفضلاً ذلك كانت بعض النساء تشارك زوجها في كسب العيش والسعي للرزق ، فمنهن من احترفت حرفه الرضاعة ، خاصه إرضاع أبناء الأغنياء في الحضر مقابل جعل يأخذونه من والد الصبي. ومنهن من عمل بالكهانة والعرافة والتنجيم ، وقد أوردت المصادر التاريخية جانباً من أخبارهن ، خاصة وأن معظم العرب كانوا يلجأون إليهم لمعرفة المجهول ، أو قراءة الطالع أو للتعرف على إرادة ومشيئة الآلهة بزعمهم ، لاسيما من أضافت إلى عملها السابق سدانة معبد أو خدمة صنم).هـ. وإذن فكانت حياتها في البادية الجاهلية قاسية وعاتية! حيث إنها إن سلمت من الوأد صغيرة ، فكان ينتظرها مشوارُ حياةٍ حافلٌ بالشقاء والضنك! وتحت عنوان: (المرأة عبر العصور) تقول الأستاذة سحر عبد القادر اللبان ، بتصرف يسير: (لقد اختلفتْ معاملة الشعوب للمرأة وتباينت نظرتهم إليها ، فقد كانت المرأة في الصين تتجرّع كؤوس المهانة صباحاً ومساءً. ورسمت أغنية صينية قديمة صورة وضع المرأة الحقيقي في الصين وقد تضمنت: "ألا ما أتعس حظّ المرأة ، ليس في العالم كله شيءٌ أقلّ قيمة منها. إن الأولاد ، الصبيان يقفون متكئين على الأبواب كأنّهم آلهة هبطوا من السماء...أما البنت فإن أحداً لا يُسرّ بمولدها ، وإذا كبرت اختبأت في حجرتها تخشى أن تنظر وجه إنسان ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها. ولقد كان الأب الصيني مثلاً إذا بُشّر بالأنثى ذهب إلى السوق عارضاً إياها للبيع بأبخس الأثمان ، فإن لم يجد من يشتريها أعطاها لأول عابر سبيل بدون مقابل ، أو عمد إلى قتلها خنقاً في مكان مهجور أو أغراقها ، أو وأدها في التراب. والتي لم يتم التخلّص منها بوسيلةٍ من الوسائل ، يُصار إلى تشويه أقدامها لمنعها من الخروج من بيت أبيها أو زوجها ، وكانت المرأة دائماً تحت الوصاية إن من أبيها أو من زوجها ، أو حتى من ابنها ، أو من رجل من أقارب زوجها في النسب! ولقد كان بين بعض العِرقيّات وبين المرأة من عهد بعيد عداوة مزمنة وصلت لحدّ الانتقام والاقتصاص منها فالزوجة التي يموت عنها زوجها ، فمحرّم عليها العيش بعده ، وواجب عليها أن تموت وتحرق معه على موقد واحد! وكانت المرأة الهندية ، محرومة من الميراث حتى عام 1656م. والمرأة في بابل كانت تعتبر حسب شريعة "حمورابي" في عِداد الماشية المملوكة ، وعليها أن تبقى في بيتها لرعاية أطفالها ، وخدمة زوجها والسهر على راحته ، وإدخال السرور إلى قلبه ، وإذا مات هذا الزوج ورثها أخوه تلقائياً ومن دون اي مناقشة. أما المرأة الإغريقية فقد وصلت بها المهانة والمذلة إلى ذروتها ، فقد كانت المرأة معزولة تماماً عن المجتمع وكأنها سقط متاع. وكان أرسطو أشدّ قسوة على المرأة عندما قال: "إن المراة رجل غير كامل ، وقد تركتها الطبيعة في الدرك الأسفل من سلم الخليقة"! وهو القائل: "إن المرأة للرجل كالعبد للسيّد ، والعامل للعالم ، والبربري لليوناني ، وإن الرجل أعلى منزلة من المرأة". والقانون الروماني كان يعتبرُ الأنوثة سبباً أساسياً لانعدام الأهلية كحداثة السنّ والجنون ، وأعطوا الحقّ لزوجها بأن يُحاكمها عندما تتهم بجريمةٍ وأن يعاقبها ، بل

ويحكم عليها بالإعدام وينفذه بنفسه! أما المرأة الفرعونية فقد نالت من التكريم والاحترام ما خوّل الحضارة الفرعونية أن تتبوّأ المرتبة الأولى بين الحضارات الإنسانية بالنسبة لاحترامها للمرأة وحقوقها. فالمرأة الفرعونية كانت تملك ، وترث ، وتتولى أمر أسرتها في غياب الزوج. وقد كان المصريين يعتقدون أنْ المرأة أكمل من الرجل ، والزوج يكتب كل ما يملك من عقارات لزوجته ، التي كانت تساعده في الزراعة والعمل. والأطفال الفرعونيون كانوا ينتسبون لأمهاتهم لا لآبائهم ، كما كانت القوّامة للمرأة على زوجها ، والزوج كان عليه أن يتعهّد في عقد الزواج بأن يكون مطيعاً لزوجته في جميع الأمور. أمّا عن المرأة العربيّة في الجاهليّة ، فنعرف عن مكانتها ، بالرجوع إلى القرآن الكريم وما أنبأنا به عن اسوداد وجه الأب عند تبشيره بالأنثى ، وعن وأدهم للبنات والعمل على التخلّص منهن. وكيف كانت المرأة تُباع وتُشترى في أسواق النخاسة ، فضلاً عن إيجارها وإعارتها! وتكليفها ما لا تطيق من الأعمال الشاقة وفي الإسلام ، ارتفع شأن المرأة وعلا قدرها ومكانتها ، فأصبحت شقيقة الرجل. وسمح لها أن تُشارك مشاركة فعّالة في نشر الدين الجديد! ولقد اعترف الإسلام بالمرأة كائناً مستقلاً لا مجرّد تابع للرجل ، وأعطاها التشريعُ الإسلامي شخصية قانونية كاملة ، لها مطلقُ السلطة على كلّ ما تملك دون حاجةٍ إلى تدخّل الرجل. وقد قال "المسيو ريفيل": "إننا لا نجد عملاً أفاد النساء ، أو رفع من قدرهن أعظم مما أتى به النبي محمّد ، فهنّ مَدينات له بأمور كثيرة ، وفي القرآن آياتٌ سامياتٌ عن تقرير حقوقهنّ وما يجب لهنّ على الرجال ، ولقد قطعت المرأة في النصف الثاني من القرن العشرين خطواتٍ واسعة نحو تحقيق المساواة الاجتماعيّة والسياسية مع الرجل ، وحقّقت الكثير من المكاسب في مجالات العمل والنشاط السياسي والاقتصادي. وقلدت العديد من النساء مناصب دبلوماسيّة مرموقة ، كرئيسة وزراء سيريلانكا ، ورئيسة وزراء الهند ، ورئيسة وزراء باكستان ، ورئيسة الوراء البريطانية ماغريت تتشر. ولم تدع المرأة مجالاً واحداً يدخله الرجل إلا ودخلت فيه وشاركته معه ، حتى إنّها زاحمته إلى غزو الفضاء ، فكانت "فالنتينا تريشكوفا" الروسية ، أول رائدة فضاء في العالم! أما المرأة في العالم العربي فقد قطعت شوطاً لا يستهان به ، فقد اكتسبت في الأردن الحقوق في التعليم ، والعمل ، كالمشاركة في الأنشطة المهنيّة ، كالاشتغال بالطبّ والتعليم ، وكافة المجالات الأخرى كما نالتِ الحقوق السياسية ، فحصلتْ على حقّ الترشيح النيابي ، وهذه كلها تُعدّ مبادرة فعّالة لإشراك المرأة في عمليات تطوير المجتمع وتنميته الشاملة).هـ. وإذن فجاء الإسلام وحال بين المرأة وصنيع الجاهليات بها! فأبقى على حياتها فلم تُوأد! ومنحها الكثير من الحريات التي يعجز القلم عن تصويرها! فاستقام على هُدى الإسلام كثير من النساء ، فأبلين بلاءً حسناً في نهضة المجتمع وبنائه! ولكن طائفة من النساء لم تُطِق العيش في الطهر والنقاء ، عمدن في العقدين الأخيرين إلى ظاهرة قد تصلح في عالم الطيور والببغاوات والحيوانات ، ألا وهي ظاهرة تبادل الزوجات! ومن هنا احتاج الأمر أن يُدلي الشعر بدلوه ، جنباً إلى جنب بجوار العلم الشرعي والطب النفسي والعصبي للإسهام في وضع حد لهذا الظاهرة الدنسة الملعونة! فكانت قصيدتي هذي بمقدمتها التاريخية وشواهدها الواقعية ، ترجمة لإحساسي بالمسؤولية كشاعر!)

بـــئسَ الحيـــاة مِـــن الهدايـــة تمْـــرُقُ وتَضِـــيقُ بالهـــدْي القـــويم وتَشـــرَقُ

والجاهليـــــة أشـــــربَتْها كأسَـــــها والكـــأسُ ـ بالســـمِّ الـــذعافِ ـ مُعتـــق

أسَـــــنتْ حيـــــاة لا تُسَـــــلي أهلهـــــا ... هـــل يُســـعِدُ الأقـــوامَ عَـــيشٌ مُوبـــق؟!

يـــا ليـــت شِـــعري كيـــف رَاجَ فجورُهـــا ... ودروبُهـــا اختلطـــتْ ، وغـــاب المَفـــرق؟

أو ليـــت شِـــعري كيـــف طـــابَ سُـــفولها ... والنـــاسُ ضـــلوا: غرَّبـــوا أو شـــرَّقوا؟!

أو ليـــت شِـــعري كيـــف جَنـــدلتِ الـــورى ... فـــتنٌ تمُـــوجُ ، بهـــا الخلائـــقُ كـــم شـــقوا؟

أو ليـــت شِـــعري كيـــف منهـــا مَخـــرَجٌ؟! ... إنـــي علـــى مَـــن غـــاصَ فيهـــا مُشـــفِق!

أو ليـــت شِـــعري كيـــف دَكَّـــتْ عَيشـــنا ... بـــدعٌ عليهـــا الجاهليـــة بَيـــرق؟!

هـــذي الجحافـــلُ رحَّبَـــتْ بـــدمارها ... وغـــدتْ بكـــل نقيصـــةٍ تتعلـــق

كيـــف ارتضَـــتْ غيـــرَ الرشـــاد طريقـــة؟! ... أبـــئسْ بمَـــن ســـلكوا ، وبـــئس المنطـــق!

كيـــف اســـتكانتْ للضـــلالة والهـــوى ... وغـــدتْ بأعـــذار وَهَـــتْ تتشـــدق؟!

و(تبـــادل الزوجـــات) شـــرٌ مُؤشِـــر ... يَصِـــفُ الســـقوط ، فـــذا بَـــلاءٌ مُحْـــدِق!

هـــذي الدياثـــة مَـــن تُـــراه وراءهـــا؟! ... تلـــك الدعايـــة مَـــن عليهـــا يُنفـــق؟!

هـــل هانـــتِ الزوجـــاتُ يـــا أهـــلَ الخنـــا؟! ... تعســـاً لكـــم ، أنـــا لا أكـــادُ أصَـــدِّق!

زوجٌ يُقـــدِّمُ زوجَـــه لمَـــن اشـــتهى ... وأمـــام عينيـــه الكرامـــة تُسْـــرق!

فبـــأي وجـــهٍ طـــابَ للتـــيس الرضـــا؟! ... هـــل فـــي الوريـــدِ دَمُ الحيـــا يتـــدفق؟!

أيـــن الرجولـــة عـــن رذيـــل أدبـــرَتْ؟! ... فمضـــى يُغَلّـــبُ مـــا يُحِـــبُّ ويَعشـــق!

أيـــن التقاليـــدُ التمســـكُ خانهـــا ... فغـــدتْ علـــى مُســـتهتر تتحـــرق؟!

بـــل أيـــن أعـــرافٌ بكـــتْ أصـــحابَها ... منهـــا اســـتطابوا بـــالهوى أن يَمرُقـــوا؟!

أيـــن المعـــاييرُ التـــي ترقـــى بهـــم ... حتـــى يكـــونَ بهـــا المَقـــامُ الأليـــق؟!

أيـــن المـــوازينٌ الكرامـــة أسُّـــها ... ولهـــا الســـعادة والمَهابـــة رَونـــق؟!

أيـــن المقـــاييسُ التـــي إنْ أمحلـــتْ ... فقـــدَ الأنـــامُ إبـــاءَهم ، وتفرَّقـــوا؟!

هـــل كـــان يُعقـــلُ أن تســـودَ دَعـــارة ... تُـــزري بمَـــن للهاثهـــا يتشـــوَّق؟!

حَنـــتْ لهـــا (شـــبَكاتُ) عُهـــر تجتننـــي ... طهـــرَ الـــديار ، بهـــا الغـــواة تخلقـــوا

تهفـــو القِحـــابُ لرجســـها وفســـادها ... وبهـــن مَـــن حـــذقوا المُـــراودة التقـــوا

وتســـــعَّرَتْ شـــــهواتُهن لفسَّـــــق ... بالســـــاقطات الفـــــاجرات تعلقـــــوا!

حـــــاكوا الخنـــــازيرَ التـــــي بإناثهـــــا ... ظفِـــرَتْ ، وذا بـــابُ الحظيـــرة مُغلـــق!

تنـــــزو وتَحكُمُهـــــا الغريـــــزة وحـــــدها ... والجمـــعُ فـــي قـــاع الرذيلـــة يَغـــرق

يتبـــــادلون إنـــــاثهم بمِـــــزاجهم ... ويَضـــمُّهم بيـــتٌ لهـــم أو فنـــدق!

وتكفـــلَ الشـــبقُ الرقيـــعُ يُجِـــيلهم ... زمَـــــراً بحُريَّاتهـــــا تتحـــــذلق!

ويَـــؤزهم نحـــو التحلـــل دُعـــرُهم ... وجمـــيعُهم فـــي المُوبقـــات اســـتغرقوا!

ويقـــودُهم نحـــوَ الضـــياع سُـــعارُهم ... وقـــد اســـتلذ بـــذا الضـــياع الفيلـــق

مـــا هـــذه الفوضـــى؟ ومـــا تبعاتُهـــا؟ ... والـــبعضُ يَشـــجبُها ، وبعـــضٌ يَقلـــق!

مـــا هـــذه المحـــن الرهيبـــة تجتنـــي ... مُهَـــج العبـــاد؟ ومَـــن يَثـــرْ فسيشـــنق!

الغـــربُ صَـــدَّرَها ، وأشـــعلَ نارهـــا ... وبناظريـــه – إلـــى الضـــحايا – يرمُـــق!

وأرادهـــا حربـــاً ضَروســـاً لا تنِـــي ... والأمـــرُ مَـــدروسُ الصُّـــوَى ومُوثَّـــق

مَـــوجٌ إبـــاحيٌ يجُـــوسُ خِلالـــه ... جيـــلٌ إلـــى حُســـن العـــواهر يُحْـــدِق

مـــا انفـــك تُصْـــليه المَواقـــعُ نارَهـــا ... وعيونُـــه ممـــا يُشـــاهدُ تُصـــعق

واستســـلمَ الجيـــلُ البئـــيسُ لحتفـــه ... ورأيـــتُ أرواحَ الأشـــاوس تُزهـــق!

وهنـــتْ عَـــزائمُ أهلهـــا ، فتقهقـــروا ... وبـــدا لهـــم نفـــقٌ دَجِـــيٌ ضَـــيق!

وتمـــرَّسَ الشـــبانُ فـــي عِشـــق الزنـــا ... يـــا ليـــتهم صَـــمَدوا ، ولـــم يتحـــذلقوا

يـــا ليـــتهم هرعـــوا إلـــى قـــرآنهم ... ليُغِيـــثهم ممـــا يُضِـــيرُ ويَمحـــق!

يـــا ليـــتهم لجـــأوا لسُـــنة (أحمـــدٍ) ... لتُجيـــرَهم مِـــن باطـــل يتملـــق!

يـــا ليـــتهم نـــدِموا علـــى مـــا فرطـــوا ... فـــالله يَقبـــلُ مَـــن يَتـــوبُ ويَصْـــدُق!

جمع بينهما القرآن!

(ما أجمل أن يجمع القرآن بين قلبين! تقول إحدى الموفقات الحافظات للقرآن: (كان شيخي ، وحفظتْ معه ربع القرآن ، وفجأة قال بأنه اعتزل حلقات تحفيظ القرآن للنساء ، وتم نقلنا أنا وكل زميلاتي لمعلمة ، وكانت هذه المعلمة والدته ، بينما هو ترك المقرأة كلها ، وانقطعت أخبار شيخنا نهائياً حتى نسيناه كلنا! وبعد سنتين ختمت أنا وزميلاتي ، وأعِد لنا حفل ختم كبير جداً! وفي يوم الحفل أخذتني معلمتي بعيداً عن زميلاتي ، وقالت لي: هناك شابٌ يريد خطبتك ، وسردت لي كل مواصفاته ، فأعطيتُها هاتف أبي ، للتواصل معه! وبعد يومين ننتظره برفقة أهله! فإذا بها معلمتي ذاتها ومعها زوجها وابنها الذي كان شيخنا من سنتين ، وحفظنا معه ربع القرآن! وأنا صدقاً من أثر المفاجأة لم أتمالك أعصابي لليوم! ولما حان وقت الرؤية الشرعية ، قال لي: أنا لما أحسست أني فتنت بك من بين رفيقاتك ، علمت أن باباً من أبواب الشيطان سيفتح علي ، فبإعانة الله تعالى وتوفيقه قررت أن اعتزل تحفيظ النساء جميعهن ، حتى لا أترك للشيطان ولو مدخلاً بسيطاً ، وتركت كل شئ يقربنى إليك ، لأنني أعلم أنني غير جاهز الآن للارتباط بك أو لسواك ، لذلك بعدت حتى لا أفسد قلبي ودينى وأفسدك معي ، ولكن لما تركتك ، تركتك مع أأمن مخلوق بالنسبة لي على الأرض! تركتك لأمي وأوصيتُها عليك بحجة أنك طالبة متميزة وتريدين الاهتمام والرعاية ، لكي يخرج منك معلمة متقنة! وكنت أتابع مسيرة حفظك أولاً بأول ، وفي الوقت ذاته كنت أتضرع لله ليخرجك من قلبي ، أو يُقرِّبك لي حلالاً! ومع مرور الوقت كنتُ أريد نسيانك ، ولكن ازددت تعلقاً بك! ومن هنا قررت أن أتقدم للزواج منك ، وأنا في طريقي لأن أفاتح أهلي ، وكانت أمي تدعوني لحضور حفل ختامك ، وقالت لي أنه بعد أسبوع! فقررتُ تأجيل موضوع الخِطبة لحين تمام يوم مولدك الحقيقي الذي هو يوم استظهارك وحفظك لكتاب الله تعالى ، وكنت أتمنى يومها الاشتراك في تتويجك بنفسي ، ولكن خشيت أن يفتضح أمري ، وأفسد عليك قلبك ، وألا ييسر الزواج بذنب كهذا! وبعدها فاتحت أبي وأمي ، وكانت أمي مُرحِّبة جداً جداً ، لأنها تعرفك حق المعرفة ، وفرحت فرحاً شديداً لما علمت أنك العروس التي اخترتُها ، وزاد قائلا: تعرفين يا (إيمان) أنني من فرحتي بكيت! رغم أن كل الكلام بحقه وحقيقته كان أمام أبيه وأمه وإخوته وأهله! ولكنه كان يتكلم بكل قوةٍ وجرأة! وتمت الموافقة عليه بفضل الله تعالى! وخلال أسبوع تم العقد وليست خطبة فقط كما جرت العادة! وبدأنا زواجنا في شهر شعبان! وفي شهر رمضان وفي كل يوم من أيامه المباركة كان يأخذني لأصلي خلفة صلاتي العشاء والتراويح! ولا أعرف كيف أصف لكم فرحة قلبي طول الصلاة وفرحتي وأنا اسمع النساء يثنين عليه وعلى تلاوته وخشوعة فى الصلاة ، ولا أعرف كيف أصف لكم كم مقدار المحبة التي وضعها الله في قلبي له ، ولكنني أعلم علم اليقين أن هذه المحبة جزاءه ، لأنه اتقى الله فيَّ وفي قلبي ، فاللهم بارك فيه واحفظه بحفظك! عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله ، وحتى أن يُقذَف في النار أحبُّ إليه مِن أن يَرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما» ، وأشيرُ هنا إشارة إلى أنَّ العلماء ذكروا أنه يَدخل في صفة أن يَكره الإنسان أن يعود إلى الكفر كما يَكره أن يُقذَف في النار: أن يَكره الإنسانُ أن يعود إلى المعصيةِ بعد أن أنقذه الله منها كما يَكره أن يُقذَف في النار. بعض المسلمين قد يكون على معصية قد يُبتلى بمعصيةٍ ، ثم يكرمه الله فينقذه مِن هذه المعصية فيتوب عليه ، فإذا أصبح يكره أن يعود إلى هذه المعصية بعد أن أنقذه الله منها كما يَكره أن يُقذَف في النار: يجد حلاوةً في قلبه ، هي مِن ألذِّ ما يَجده الإنسانُ في الدنيا. وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يَجد عبدٌ حلاوة الإيمان حتى يَعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه ، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه» ، فالعبد الذي يبلغ به الحال أن يَعلم علم اليقين علمًا مستقرًّا يَعقِد عليه قلبه أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فلا يقول: لو أن كذا لكان كذا ؛ يجد حلاوةً عظيمة في قلبه. وقد وَصَفَ الشيخ صدِّيق حَسن خان القرآنَ وصفًا بليغًا فقال - رحمه الله -: "الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى

ودِين الحقّ ، وبيَّن له مِن معالِم العِلم وشعائر الشرائعِ ومشاعِر المِلَلِ كلَّ ما جَلَّ ودَقّ ، ونزَّل عليه كتابًا معجِزًا أفحم مصاقع الخطباء مِن العرب العُرباء ، وخطابًا مُفحِمًا أعجَز بواقِع البُلغاء مِن عصابة الأُدباء بأَظْهَر بيِّنات وأبهر حجج ، قرآننا عربيًّا غير ذي عوج ، أَمَرَ فيه وزَجَر ، وبشَّر وأنذر ، وذَكَر المواعظ ليُتذكَّر ، وقَصَّ عن أيام الأمم الخالية ليُعتبَر ، وضرب فيه ليُتدبَّر ، ودلَّ على آيات التوحيد ليُتفكَّر ، أنزله بحسب المصالح والحِكَم مُنجَّمًا ، وجعله بالتحميد مفتتحًا ، وبالاستعاذة مختتَمًا ، وأوحاه متشابهًا ومُحْكمًا ، مزاياه ظاهرةٌ باهرةٌ في كلّ وجهٍ وكلّ زمان ، دائرةٌ مِن بين سائر الكتب على كلّ لسان في كلّ مكان ، كادتِ الرواسي لهَيبتِه تَمور ، ويَذوبُ مِن خَشيته الحديد ، ويَميع منه صمُّ الصخور ، فمَن تمسك بعروته الوثقى وحبله المتين وسلك جادته الواضحة وصراطه المبين ؛ فقد فاز بمناه ، ومَن نَبَذَه وراء ظهره وعصاه واتخذ إلهه هواه ؛ فقد هوى في تُخوم الشقاء وتَردَّى في مَهاوي الرَّدى والاشتباه." القرآن كلام ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ له حلاوة وعليه طلاوة ، ولذلك جاء عند الحاكم بإسناد اختلف فيه أهل العلم لكنّ الشيخ ناصر الألباني صحَّحه في صحيح السيرة ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأ عليه القرآن فكأنه رَقَّ له ، فبَلغ ذلك أبا جهل فأته فقال: يا عم! إنّ قومك يرَون أن يَجمعوا لك مالًا ، قال: لِمَ؟ قال: ليُعطوكَه فإنك أتيتَ محمدًا لتُعرِض عما قِبَلَه" يعني لمّا سمِعوا أنه رقّ لسماع القرآن أرادوا أن يُغروه بالمال حتى يُعرِض عما جاء به محمدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فماذا قال؟ قال: قد عَلِمتْ قريشٌ أني مِن أكثرها مالًا ، قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكِر له أو أنك كارِه له ، قال فماذا أقول؟ فو الله! ما فيكم رجلٌ أَعلَم بالأشعار مني ، ولا أَعلَم برَجَزٍ ولا بقصيدةٍ مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يُشبِه الذي يقوله شيئًا مِن هذا ، والله! إنّ لقوله الذي يقولُ حلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمِر أعلاه ، مُغدِقٌ أسفلُه ، وإنه لَيعلو وما يُعلى ، وإنه لَيحطِم ما تحته! ونعود لقارئنا ، وزوجته (إيمان)!)

لا يَجمعُ الأرواحَ كالقرآنِ ... جَمعاً يُؤلفها على الإيمانِ

فتعيشُ وادعةً تُسَلي أهلها ... بجميل ما ظفرتْ من الرضوان

تخِذتْ كتابَ الله منهجَ عَيشها ... أنعِمْ بها ، نالتْ رضا الرحمن!

هذا الكتابُ سما بها بين الورى ... فبه تكونُ شرافة الإنسان

وبه تكونُ كرامة وحضارة ... وبه تكونُ نصاعة الفرقان

وبه يكونُ تمايزٌ وتقدُّمٌ ... وبه تُحَققُ طيباتُ أماني

وبه يكونُ النصرُ والحُسنى معاً ... وبه تكونُ هزيمة العدوان

وبه تكونُ هداية قدسية ... فنصوصُه حَوَتِ الهُدى الرباني

وبه يُنالُ العز والتقوى معاً ... ويبوءُ ذنبُ المرء بالغفران

ومَن اهتدى بهُداه أفلحَ واستمى ... ونأى عن التضليل والعِصيان

ولقد غبطتُ اثنين مِن قرائه ... قد شُرِّفا بتلاوة القرآن

فمعلـــــمٌ يتلـــــو ، ويُـــــتقِنُ درسَـــــه ... لا خيـــــرَ فـــــي درس بـــــلا إتقـــــان

وبناتُـــــه حاكينـــــه فيمـــــا تـــــلا ... وبـــــدون تزويـــــدٍ ولا نقصـــــان

وعـــــن التعفـــــفِ والتحجـــــب لا تســـــل ... لـــــم تـــــأتِ إحـــــداهن دون صِـــــيان

فـــــي حلقـــــة القـــــرآن جـــــئنَ قوانتـــــاً ... مُتعـــــوذاتِ مِـــــن أذى الشـــــيطان

وحجـــــابُ كـــــلٍّ ســـــابغٌ يُخفِـــــي الحَـــــلا ... ومِـــــن الحجـــــاب بَـــــدَتْ فقـــــط عينـــــان!

ودهـــــى المعلـــــمَ طيـــــفُ فضـــــلى ، فاشـــــتكى ... قلبـــــاً تقلـــــبَ فـــــي هـــــوى (إيمـــــان)!

شـــــدَّتْه نبـــــرةُ صـــــوتِها وحجابهـــــا ... جـــــذباه نحـــــو غرامهـــــا الاثنـــــان!

واحتـــــارَ كيـــــف عـــــلاجُ قلـــــبٍ مُولـــــع ... بمحبـــــة جـــــاءت بـــــلا حُســـــبان

حُـــــبٌّ تملـــــك لا ســـــبيل لدفعـــــه ... وغـــــزا المشـــــاعرَ دونمـــــا اســـــتئذان

أيُـــــراودُ البنـــــت الحَصـــــانَ بـــــلا حيـــــا ... ليبـــــوءَ بعـــــد الهـــــزل بالخســـــران؟!

أيُصـــــارحُ البنـــــت البَتـــــولَ بحُبـــــهِ ... ويُزخـــــرفُ الكلمـــــاتِ كالفنـــــان؟!

هـــــل يأخـــــذ الميعـــــادَ وفـــــق مُرادهـــــا ... وهنـــــاك خلـــــفَ الســـــور يلتقيـــــان؟!

هـــــل يَســـــتبيحُ لقاءَهـــــا وكلامَهـــــا ... إمـــــا إذا خليـــــا معـــــاً بمكـــــان؟!

هـــــل يَســـــتطِيبُ إذا حَكَـــــتْ نبراتِهـــــا ... تســـــبي الفـــــؤادِ بأعـــــذب الألحـــــان؟!

أيليـــــقُ هـــــذا بالشـــــريعة مـــــذهباً؟ ... أيليـــــق ذاك بصـــــاحب القـــــرآن؟!

حاشـــــاهُ أن يَنصـــــاعَ مُختـــــاراً إلـــــى ... حِيَـــــل بـــــه تُفضـــــي إلـــــى النيـــــران!

حاشـــــاهُ يخطـــــو خطـــــوة نحـــــو الـــــردى ... ويبيـــــتُ يَضـــــربُ فـــــي عَمـــــىً وهَـــــوان!

بـــــل قـــــال: أتـــــركُ للنســـــا تدريسَـــــها! ... خيـــــرُ الحُلـــــول لعاشـــــق وَلهـــــان!

واختـــــارَ للتـــــدريس هـــــذا أمَّـــــه ... خيـــــر العقائـــــل زينـــــة النســـــوان

ولأمِّـــــه أدلـــــى بتوصـــــيةٍ دَعـــــتْ ... للخيـــــر والمعـــــروف والإحســـــان!

يـــــا أمُّ هـــــذي أصـــــلحي مِـــــن شـــــأنها ... وتحمَّلـــــي تقويمَهـــــا بتفـــــاني

لتكـــــون فـــــي القـــــرآن أمهـــــرَ غـــــادةٍ ... أكـــــرِمْ بهـــــا مـــــن عَفـــــةٍ ورزان

قالـــــت: وصـــــية مـــــن أحـــــب أوامـــــرٌ ... ســـــتكون نصـــــبَ العـــــين كـــــل أوان

ونـــأى عـــن التحفـــيظ فـــي حِلَـــق النســـا ... ليُجنـــــب القلـــــبَ الســـــقوط الآنـــــي

حتـــــى أتمَّـــــتْ حِفظهـــــا وخِتامَهـــــا ... سُـــــرَّ الحبيـــــبُ ، وذاعَ فصـــــلَ بيـــــان

متحـــــــدثاً للأهـــــــل دون تحَـــــــرُّج ... رُوحـــــي يُـــداعبُها هـــوى (إيمـــان)!

إن تخطِبوهـــــا لـــــي شـــــكرتُ جمـــــيلكم ... ولكـــــم أقِـــــرُّ بـــــوافر العِرفـــــان

أمـــــاه هيـــــا رتبـــــي لـــــكِ موعـــــداً ... مـــــع أمهـــــا بالوقـــــت والعنـــــوان

ونســـــيرُ عائلـــــة لأدرك مطمحـــــي ... مـــــا لابـــــنكم فـــــي حـــــب تلـــــك يـــــدان!

أخشـــــى غريمـــــاً يَغتـــــدي لـــــيَ ســـــابقاً ... فتصـــــيرُ زوجتـــــه ، فـــــذاك طِعـــــاني!

والأســـــرة اتصـــــلتْ ، وحـــــان الملتقـــــى ... فـــــي مَحفـــــل مُتواضـــــع مُـــــزدان

وقبولـــــه زوجـــــاً ، فبـــــات مُعلقـــــاً ... حتـــــى يَبـــــينَ الوجـــــهُ والكفـــــان

فلربمـــــا بعـــــضُ الملامـــــح بُـــــدِّلتْ ... فيكـــــونُ رفـــــضٌ طيـــــبُ الإيقـــــان!

فـــــإذا بهـــــا (إيمـــــانُ) ، ســـــبحان الـــــذي ... ســـــوَّى ، مليـــــكُ النـــــاس ذو الســـــبحان!

وخطيبُهـــــا إذ عَـــــف أهـــــداها لـــــه ... إذ خافـــــه فـــــي الســـــر والإعـــــلان

وتزوجـــــا ، فـــــالله أكرمهـــــا بـــــه ... وبدايـــــة التعـــــريس فـــــي (شـــــعبان)!

وأتاهمـــــا (رمضـــــانُ) يَختصـــــرُ المـــــدى ... والـــــذكريات رطيبـــــة وحـــــواني

والبُشـــــرياتُ الآن حـــــانَ قِطافهـــــا ... وثمارُهـــــا للمُشـــــتهين دوانـــــي

صـــــلى التـــــروايحَ العـــــريسُ مُـــــرَتلاً ... آيَ الكتـــــاب بدمعـــــه الهتـــــان

وعروسُـــــه وســـــط النســـــاء فخـــــورة ... بثنـــــائهن علـــــى الأداء الحـــــاني

قالـــــت لهـــــن: إمـــــامُكن فســـــيدي! ... وبكـــــتْ بكـــــاء الحمـــــد والشـــــكران

يـــــا رب بـــــارك فيـــــه ، واقبـــــل ســـــعيَه ... واجعلـــــه زوجـــــي فـــــي علـــــيِّ جنـــــان!

حربٌ تُخَضبها الدماء!

(محاكاة لنص نقوش على جدار الحرب للشاعر أحمد عبد الحي)

(حاكيتُ الشاعرَ القديرَ أحمد عبد الحي في قصيدته الطيبة المباركة التي عنوانها: (نقوشٌ على جدار الحرب! وذلك لِما لمستُ في الأستاذ الشاعر من حَس مُرهفٍ وقدرةٍ فائقةٍ على التعبير! وأعلمُ أن نص الأستاذ يَفوقُ ما كتبتُه بمراحل ، ولكنه شرفُ المحاولة الذي يحدوني دائماً ، والفضلُ والسبقُ لمن سبق! وكان الأستاذ قد استهل قصيدته بالحَيرة فقال:-

مـــن أيـــن أبتـــدئ الكـــلام وأنطِـــق؟! أو كيـــف أنظـــم دُرتـــي وأنمـــق؟!

وبـــأي قافيـــةٍ أصَـــفف بيتهـــا وبـــأي لحـــن يســـتجيبُ المنطـــق؟!

ويستمر الشاعر في وصف الحرب ، وبين فظاعتها وآلام أهل أرض الرباط المباركة ، راسماً صورة للتفاؤل بمستقبل عظيم تعجز الكلمات عن تصويره ، فيقول:-

مـــا عـــدتُ تغرينـــي الحـــروف لأنهـــا كتبـــتْ لشـــاردةٍ وباتـــت تزهـــق

فخلعـــتُ مـــن لغتـــي الكـــلام ، وربمـــا تعـــبَ الكـــلامُ مـــن الكـــلام ويرهـــق!

والحقيقة أن النص في حقيقته سُلوانٌ لأهل عزة المساكين الذين خذلهمُ القاصي والداني! فلهم الله تعالى الغالب القاهر فوق عباده ، والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً! والآن نعيشُ مع نصِّنا!)

مـــا أجمـــلَ الهيجـــاءَ نبضـــاً يَخفِـــقُ! وتبيـــتُ فـــي الآفـــاق شمســـاً تُشـــرقُ!

مـــا أجمـــلَ الهيجـــاءَ تُفهـــمُ مـــن طغـــى أن الحقيقـــة نورُهـــا يتـــألق!

الثـــأرُ يَكـــوي ، والمكائـــدُ تصـــطلي والمَكـــرُ بـــين يديـــه دَفَّ البَيـــرق

وتكالبـــتْ أمـــمُ الأعـــادي فـــي الـــوغى ووطيسُـــها يُصـــغِي لبُـــوق يَنعِـــق

هـــي يـــا(ابن عبـــد الحـــي) ســـاحة مُلتقـــى شـــبَّتْ جهالتُهـــا ، وغـــابَ المَنطـــق!

بـــين الضـــعاف وقـــد تعـــاظمَ ضـــعفهم والمعتـــدين مِـــن الـــذين تحـــذلقوا

بـــين التقـــاة الأبريـــاء لهـــم جَـــوىً والمجـــرمين وجـــرمُهم يَتحـــرق

والحـــربُ بـــين الكـــل فـــارَ ســـعيرُها ومُسَـــعِّروها فـــي المـــآل تفيهقـــوا

ورأيـــتُ بعضـــاً فـــي المصـــائر غرَّبـــوا والـــبعضَ فـــي شـــأن المعـــارك شـــرَّقوا

تعســـاً لهـــذي الحـــرب أغـــرق شـــؤمُها داراً بكـــتْ أصـــحابَها إذ أغرقـــوا!

حـــربٌ تُخضـــبها الـــدماءُ عزيـــزة بـــأكُف أعـــداءٍ عَتـــوا ، لـــم يُشـــفِقوا

كـــــم هُـــــدِّمتْ دُورٌ علـــــى سُـــــكانها ... وأوى الألـــى هربـــوا العَـــرا والخنـــدق!

كـــــم أزهقـــــتْ أرواحَ قـــــوم عُـــــزل ... ودمـــــاؤهم فـــــوق الثـــــرى تتـــــدفق!

كـــم شـــردتْ شـــعباً ترفـــعَ ، مـــا ارعـــوى ... لـــــدغاول حِيكـــــتْ بأعـــــداءٍ شـــــقوا!

وإذا تـــــرى الأطفـــــالَ والأنقـــــاضَ لـــــم ... تُمســـكْ دموعـــاً فـــي المصـــيبة تُهـــرق!

وإذا تـــــرى أتقـــــى النســـــاء قوانتـــــاً ... يبكـــين مـــا فعـــلَ الـــبلاءُ المُحـــدق!

حـــربُ الكرامـــة لـــم تضـــع أوزارَهـــا ... فالنـــارُ مُوقـــدة ، ويســـعى الفيلـــق

هـــي يـــا(ابن عبـــد الحـــي) حَـــتمٌ لازمٌ ... والمعجـــــزاتُ بســـــاحها تتحقـــــق

فـــــي برِّهـــــا أو جوِّهـــــا أو بحرهـــــا ... فيهـــــا أمـــــورٌ لا تكـــــادُ تُصـــــدَّق!

وإذا تـــــرى الأنفـــــاقَ تقـــــذفُ بـــــاللظى ... وشـــــواظ نـــــار يجتبيهـــــا الـــــزورق

دعهـــا تُطهـــرُ مـــن خيـــاس أرضـــنا ... لتعـــود أرضـــاً بالطهـــارة تنطـــق!

لتنـــــال (كهفياتُـــــك) الجـــــاهَ الـــــذي ... أبياتُـــــك الغـــــرا بـــــه تتعلـــــق

فـــذر الجبـــال ، وعُـــد لنـــا مستبشـــراً ... بالنصـــــر أنـــــت لشـــــكله تتشـــــوق

الحـــــربُ عَلمـــــتِ الصـــــغيرَ إبـــــاءَه ... ليعـــــيش معتـــــزاً ، فـــــلا يتملـــــق

داعـــــبْ قصـــــيدتك التـــــي ســـــطرتها! ... روحُ القصـــيد علـــى المـــدى لا تُزهـــق

صُـــورُ التفـــاؤل جمـــة ، فـــافخر بهـــا ... ونســـيمُ عِزتهـــا عطـــورٌ تعبـــق

ونقوشـــها شـــتى ، وشِـــعرُك زانهـــا ... والـــنص مـــن زبـــد الكـــلام منســـق

وعلـــى (جـــدار الحـــرب) زينتُهـــا بـــدتْ ... مثـــل اللآلـــئ زانهـــا الاســـتبرق

آمـــنْ بـــأن الله منجـــز وَعـــدِه ... والخيـــرَ آتٍ ذات يـــوم يُغـــدق

والميتـــون اليـــوم يولـــدُ غيـــرُهم ... فـــالله مَـــن يهـــب الأنـــامَ ويـــرزق

ولســـوف نبنـــي مـــا الأعـــادي هـــدَّموا ... ونصـــيرُنا وظهيرنـــا مَـــن يَخلـــق!

حنانيك يا عبد الحي!

(أحاكي الشاعرَ القديرَ أحمد عبد الحي في نصه الرائع: (كهفيات عبد الحي) ، وذلك لما احتواه النص المحترم من جاذبية الشعر وبيان عظيم رسالته! والشاعر فيما يبدو قد دفعته ظروف الحياة لأن يعتزل أهلها قليلاً ، ثم أرسل راحلة فراقه ، وعاد إلى الناس! وكان الشاعر قد استهل قصيدته بمطلع يبين حاله وأنه ارتأى هجرة البلاد تطلعاً لغدٍ ومستقبل أفضل فقال:-

وقد أويتُ إلى الجبال ، لأنني ... من بعد نصب قد بلغتُ مرادي

حتى خرجتُ من البلاد لنلتقي ... وتعلم الطفل الذي بفؤادي!

واستمر الشاعر في شجونه مسامراً غربته ومستفيداً من دروسها القاسية ، فتوصل إلى قرار حازم صارم رغم عدم حبه له ، وهو عودته إلى الناس من جديد. فقال الأستاذ عبد الحي:-

ورجعتُ من كهف الحقيقة واجداً ... وخرجتُ من سجن الحقيقة حادي

سأسوق راحلة الفراق لأنني ... ما عاد يجدي أوبتي ورشادي

وعندما طالعتُ النص تذكرت غربتي التي ربما لا تقل قسوة عن غربة الشاعر عبد الحي إن لم تزد عليها! لقد كانت تجربة مريرة! ومن هنا كانت محاكاتي لنص الأستاذ عبد الحي!)

أهديتُ (راحلة الفراق) جِلادي ... وأعَرتُها في العائدات فؤادي

ودخلتُ (كهفياتِ عبد الحي) ، لم ... أحفلْ بصَولة مجرم أو عادِ!

ورحلتُ قبلك ، واصطليتُ بغربتي ... وجهدتُ فيها غاية الإجهاد

وجرعتُ خذلَ الصحب مُرَّاً عَلقماً ... وأصبتُ من خذلانهم بسُهاد

وشقيتُ بالأهلين أعظمَ شِقوةٍ ... وكأنهم خلقوا لكبح ودادي

وشَرِقتُ بالخلان لمَّا أسفروا ... عن حِفنةٍ من سيئ الأوغاد

ورأيتُ في التغريب كهفاً مُوحشاً ... حتى رأيتُ الأنسَ أرضَ بلادي

في غربةٍ أنا ما احتفلتُ بطولها ... إذ عَوْدتي لمَحلتي مِيلادي

سَلني عن التغريب كيف بلاؤه ... وشؤونه سَكنتْ شِغافَ فؤادي

فلقد علمتُ بكهفه ورقيمه ... علماً يفوقُ كتيبة الأفراد!

كُن جِلسَ بيتك ، لا تُصاحبْ أرذلاً ... عمداً يَبيعُك في زهيد مزاد

وانظـــرْ إلـــى مســـتقبل مترصـــدٍ ... ترنـــو إليـــه نـــواظرُ الأحقـــاد

إذ إن تحديـــد المـــرام فراســـة ... فيهـــا تكـــون مصـــارعُ الحُسَّـــاد

أنـــا يـــا(ابن عبـــد الحـــي) ذبـــتُ تحســـراً ... أنْ لـــم أجهـــز للقتـــال جيـــادي

بيَّـــتُّ حُســـنَ الظـــن ، أحسِـــبُ أننـــي ... فـــي غربتـــي فـــي عـــالم الزهـــاد

قـــدَّرتُ أشـــياءً تُفيـــدُ صـــحابتي ... والصـــحبُ لـــي فـــي الكيـــد بالمرصـــاد

والله قـــــدَّرَ أن أذوق عـــــداءَهم ... ســـبحان ربـــي المســـتعان الهـــادي!

قـــدَّمتُ خيـــري وافـــراً ومقنطـــراً! ... والســـوءُ مـــن صـــحب لئـــام بـــاد

هـــذا قصـــيدُك هـــيجَ الـــذكرى جـــوىً ... وأنـــا أحـــاكي الـــنص بالإنشـــاد

(الكهـــفُ) أولـــى مـــن رفـــاق كالغثـــا ... (الكهـــفُ) أطيـــبُ مـــن رفـــاق النـــادي

(الكهـــفُ) فـــي دنيـــا اغترابـــك جَنـــة ... ترتـــاحُ فيهـــا مِـــن شُـــرور عِبـــاد

درسُ الحيـــاة ببـــاح كهفـــك نجـــدة ... ممـــا تُعـــاني الـــنفسُ مـــن تَسْـــهاد

وهـــو النجـــاة مِـــن المَهالـــك تجتنـــي ... فـــي كـــل قلـــب طعـــمَ أي وداد

وهـــو الســـبيلُ إلـــى اتقـــاء معـــارك ... رَصَـــدتْ وقـــوداً أســـوأ الأجنـــاد!

التضـــحياتُ كثيـــرة ، ومِلاكُهـــا ... أن لا يُصـــيبَ الـــروحَ أي فســـاد

صـــورُ الـــبلا شـــتى ، وأعتاهـــا الهـــوى ... لِيُزيـــغ بالإرغـــاء والإزبـــاد

تصـــطادُك الـــدنيا إذا أحببتهـــا ... فاحـــذرْ فخـــاخ الصـــيد والصـــياد

لا تخلـــدَنَّ إلـــى زخـــارف أخـــذها ... فلتـــدفعنَّ مَغبـــة الإخـــلاد

(الكهـــف) مَلجـــأك الوحيـــدُ حقيقـــة ... ولزومُـــه يُنجيـــك يـــومَ مَعـــاد

واحـــذرْ مَقولـــة رفقتـــي وصـــحابتي ... لا ألفينـــك تهـــذينْ: (عُـــوَّادي)!

عاشـــرتُ قبلـــك ، والقصـــائدُ شـــاهدي ... ورأيـــتُ أغلـــبَهم بـــدون رَشـــاد!

حياتُهم ثمنُ حقهم!

(إن هناك صراعاً بين الحق والباطل ، بين الهُدى والضلال ، بين الرشاد والغي ، بين الخير والشر! فمن الذي يدفع فاتورة هذا الصراع؟! إنهم أهل الحق سواء كانوا أنبياء أو رسلاً أرسلهم الله تعالى ، أم كانوا مصلحين ، أو مفكرين أو علماء! وفي النهاية تكون نصرة الحق والخير والهدى والرشاد! ويندحر الباطل! ولكن بعد أن يكون الحق والخير قد دفعا ثمناً باهظاً وتكاليف عظيمة في سبيل ذلك! مات رسول الله – صلى الله عليه وسلم مسموماً ، وتعددت محاولات اغتياله وقتله! كما تعددتْ محاولات قتل إخوانه الأنبياء والمرسلين من قبل! مات عمر بن الخطاب (رضي الله عنه وأرضاه) مقتولاً! ومات عثمان بن عفان (رضي الله عنه وأرضاه) مقتولاً. مات علي بن أبي طالب (رضي الله عنه وأرضاه) مقتولاً ، مات في السجن! الإمام الأعظم أبو حنيفة مات بعد الضرب الشديد في محبسه. مات سعيد بن جبير مقطوع الرأس. مات محمد بن نوح مسجوناً. ومات سفيان الثوري فاراً مطارداً. ومات الطبري مُحاصراً. ومات البخاري مهجوراً شريداً. ومات النسائي مقتولاً. القاضي عياض مقتولاً. ومات ابن حزم مطارداً. ومات شيخ الإسلام ابن تيمية مسجوناً. ومات نعيم بن حماد في السجن بسبب فتنة خلق القرآن ، وكان مقيداً فأوصى أن يدفن بقيوده ، وقال: إني مخاصم. ومات الإمام البويطي مقيداً في الحديد ، في القرن الثالث الهجري في الامتحان بفتنة خلق القرآن! ومات صاحب المعالم والظلال الوارفة مشنوقاً! هذا هو حال العلماء. وأمثالهم كثر رحمهم الله تعالى ، وأسكنهم فردوسه الأعلى. يدفعون أعمارهم من أجل إيصال كلمة الحق ورسالات الله. إن الموت في سبيل الحق ، لهو عين البقاء.. فماذا قدمت أنت في هذا الطريق؟ قال الله تعالى: (الم ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)! وللأسف امتدت هذه العدوى لتشمل العلماء الذين ينشرون العلم ، ولو كمانوا من غير قومنا وعلى غير ديننا! فكم سمعنا في الشرق الملحد والغرب الصليبي عن قتل علماء فيزياء وذرة وفلك وطب وجيولوجيا وفضاء! وإذن فعداوة العلماء والمصلحين جديدة قديمة ، ولا وطن لها ، ولا قوم ، ولا زمان! كتبتُ على قافية الراء ومنهوك الرجز هذا النص الرثائي!)

حقيقـــــــــــــة لا تَســـــــــــــتتِرْ ... بنصِّـــــــــــها جـــــــــاءَ الأثـــــــــرْ

إن الصـــــــــــــراعَ مُضـــــــــــــرمٌ ... مـــــا بـــــين خيـــــر – إي – وشـــــر!

كـــــم سَـــــطرَ التـــــاريخ فـــــي ... أســـــــفاره أســـــمى العِبَـــــر!

والبـــــــــاحثون سَـــــــــجَّلوا ... جرائمـــــــــاً لا تُغتفـــــــــر

يَنـــــــدى الجبـــــــينُ آســـــــفاً ... ممـــــا أتـــــى أعتـــــى البشـــــر

كـــــــم أنبيـــــــاءَ قتِّلـــــــوا ... يـــــا للفجـــــور المُســـــتعر!

كـــــــم مرســـــــلين عُـــــــذبوا ... والـــــنص عـــــنهم مُســـــتطر!

كـــــــــم مُصْـــــــــلِحين جُنـــــــــدِلوا ... والنيـــــــــلُ مـــــــــنهم مشـــــــــتهر!

كـــــــــم عـــــــــالِمين حُرِّقـــــــــوا ... والســـــــــفرُ أرداه الشـــــــــرر!

لا يَقبـــــــــل الجهـــــــــلُ الهُـــــــــدى ... والعلـــــــــمُ يقلـــــــــوه الغجـــــــــر!

فـــــــــالمجرمون زمـــــــــرة ... للعِلـــــــــم ليســـــــــتْ تنتصـــــــــر

بهـــــــــم يَســـــــــودُ باطـــــــــلٌ ... ويَنتشـــــــــي ، ويَزدهـــــــــر!

وكـــــــــم تـــــــــرُوجُ سُـــــــــوقه ... فـــــــي النـــــــاس فـــــــي ســـــــهل وبَـــــــر!

لكنـــــــــــــــه مُؤقـــــــــــــــتٌ! ... هيهـــــــــات يومـــــــــاً يســـــــــتمر!

لـــــــه انتفـــــــاشٌ فـــــــي الـــــــدنا ... يـــــــأوي إليـــــــه كـــــــل غِـــــــر

وانظـــــــرْ إلـــــــى أهـــــــل التقـــــــى ... يُقوِّمـــــــون مـــــــا انكســـــــر

ويُصْـــــــــــــــلِحون واقعـــــــــــــــاً ... إلـــــــى الهدايـــــــة افتقـــــــر

ويَرفعـــــــــــــــون شـــــــــــــــأنه ... مهمـــــــــا تمكـــــــــنَ التتـــــــــر

لا يَـــــــــــــــأبهون بـــــــــــــــالأذى ... لا ينظـــــــــــــــرون للضـــــــــــــــرر

أرواحُهـــــــــــــــم رخيصـــــــــــــــة ... هانـــــــت علـــــــيهم فـــــــي الغِيَـــــــر

إذ قـــــــــــــــدَّموها حِســـــــــــــــبة ... عنـــــــد المُليـــــــك المُقتـــــــدر!

خياران أحلاهما مُر!

(تزوجها على كتاب الله تعالى وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - ، ليس يَطمحُ إلى شيءٍ سوى مرضاة ربه ، بينما كانت لها ولأهلها مطامحُ أخرى ومطامعُ مختلفة ! ولما تحققتْ هذه المطامحُ وتلك المطامعُ ، وأدركتْ أن الرجل كان قد طعنَ في السن ، تمردتْ عليه ، واتخذتْ من أهلها حِصناً ودِرعاً ، وبات الرجلُ بين خِيارين أحلاهما مُرٌ للغاية: إما أن يستمر معها ريثما ينصلحُ الحال ، وإما أن يتزوجَ من أخرى مُضحِّياً بكل ما يملك! وفي هذه الحالة يكونُ قد ضَيَّع على أولاده أموالاً وعقاراتٍ شتى يملكها! وبعد دراسةٍ واستخارةٍ تصبرَ الرجل ، وارتأى أن يترك أولاده أغنياء! فإن ذلك أولى! وضحَّى بنفسه في سبيل تلك الغاية! وكما عنوَنا للقصيدة بأن هذا الخيارَ خِيارٌ مُر! وأمَرُّ منه أن يتزوج من أخرى صالحةٍ يستعيد على يديها ما افتقده من الشباب! وهذه مغامرة ، فإنه لا يضمن الثانية!)

حـــارَ فِكـــري مـــا بـــين ضِـــدٍ وضِـــدِّ ... والمـــوازينُ أشـــكلتْ بعـــدُ عِنـــدي

وابتأسْـــتُ إذ ضِـــعتُ كمًّـــا وكيفـــاً ... كيـــف آلـــتْ حـــالي لهـــذا التـــردي؟!

كيـــف هُنـــتُ حتـــى طـــوتْني خطـــوبي؟! ... وعلـــى ماضـــي العمـــر كـــم طـــال وجـــدي!

كـــم بـــذلتُ الخيـــورَ عـــن طِيـــب نفـــس ... رغـــم أحـــوال بـــين جَـــزْر ومَـــد!

كـــم تحمَّلـــتُ أنفســـاً لا تُبـــالي ... سَـــربلتْ عَيشـــي بـــين بَـــرق ورَعـــد!

كـــم تغاضـــيتُ عـــن بلايـــا عِظـــام ... صـــانعوها كـــم أمعنـــوا فـــي التحـــدي!

كـــم تكلفـــتُ كـــي أبَلِّـــغ غيـــري ... مـــا تمنـــى مـــن كـــل خيـــر وسَـــعد!

كـــم تنازلـــتُ عـــن حقـــوقي لغيـــري ... عَلنـــي أحظـــى ذات يـــوم بـــرَدّ!

كـــم نصـــحتُ مَـــن عـــاقبوني لنصـــحي ... ثـــم كـــادوا ، وبـــالغوا فـــي التعـــدي!

كـــم وعظـــتُ قومـــاً أبـــوا كـــل وعـــظٍ! ... ليتنـــي كنـــتُ صُـــنتُ بـــذلي وجُهـــدي!

مِثـــلَ كـــل زوج تزوجْـــتُ فضـــلى ... أظهـــرتْ لـــي طوعـــاً صُـــنوفَ الـــود

فـــاخرتْ بـــي أهـــلاً وصَـــحباً وقربـــى ... وحبتْنـــي الألقـــابَ فـــوق الحـــد

نـــاولتْني تشـــجيعَها عـــن يَقِـــين ... فانطلقـــتُ أســـعى لنيـــل المجـــد!

دون شـــرطٍ أعطـــتْ لينـــزاح همـــي ... واســـتزادتْ فـــي جُودهـــا دون قيـــد

وقضـــينا عقـــدين فـــي خيـــر حـــال ... والوفـــاقُ للخيـــر والبـــر يَهـــدي

ودوامُ الأحـــوال شـــيءٌ مُحـــالٌ ... حيـــث عِشـــتُ انقـــلابَ ضِـــدٍّ لِضِـــد

عَضَـــلتْ بـــي الحيـــاة لمَّـــا اســـتبدتْ ... زوجـــة غالـــتْ عِشـــرتي بالحِقـــد

وهـــنَ العظـــمُ ، والمَشِـــيبُ اعترانـــي ... والقـــوى هِيضـــتْ عنـــدما التـــاعَ كَبْـــدي

وارتضـــتْ زوجـــي ذِلتـــي وانكســـاري ... ولـــذا خانـــت فـــي الكُهولـــة عَهـــدي

قلبـــتْ لـــي ظهـــرَ المِجَـــنِّ اعتباطـــاً ... والـــدموعُ ســـالتْ علـــى كـــل خـــد

تخِـــذتْ ردْءاً أهلهـــا ، فتقـــوَّتْ ... والجميـــعُ فـــي الظلـــم أشـــرسُ جُنـــد!

لـــم يَعُـــدْ لـــي إلا خيـــاران قطعـــاً ... لـــم يعُـــدْ وقـــتٌ بـــين أخـــذٍ ورَد

إنَّ فصـــلَ الخطـــاب أدلـــى بـــدَلو ... وإذا بـــي لا أســـتطيعُ التصـــدي

هـــل زواجـــي يَحُـــل أعتـــى القضـــايا؟ ... هـــل يُعِيـــدُ الصـــبا زواجـــي بخَـــود؟!

هـــل يَسُـــرُّ الـــنفسَ ارتبـــاطي بـــأخرى ... ذاتِ ديـــن حـــق ، وحُسْـــن ، وزُهـــد؟!

تحتفـــي بـــي مـــن بعـــد لأي وضـــنكِ ... إن تبـــدتْ تغتـــالُ ضِـــيقي وسُـــهدي

إن هـــذا – واللهِ – أشـــقى اختيـــار ... قـــد يَزيـــدُ حِنقـــي وحُزنـــي وحَـــردي

والمصـــيرُ المعهـــودُ مكـــرٌ وكيـــدٌ ... هـــل يفـــوقُ كيـــدَ الحليلـــة كيـــدي؟!

ربمـــا تُـــؤذيني بشـــتى الأواذي ... أو حظِيـــتُ منهـــا بلعـــن وطـــرد

أو أعـــيشُ بالصـــبر حتـــى ألاقـــي ... خـــالقي المَـــولى ، ثـــم أســـكنُ لحـــدي!

إن هـــذا الخيـــارَ أهـــدى ســـبيلاً ... رغـــم إخـــلال يَعتريـــه ونقـــد

قـــد يكـــونُ فـــي الصـــبر أرجـــى عِـــلاج ... ســـاقه لـــي بعـــد الـــدعا بعـــضُ رُشـــد

كـــم بلايـــا بالصـــبر والرُّشـــد تُـــزوَى ... عنـــدما تُمســـي زوجـــة شـــرَّ نِـــد!

قـــد يَزيـــدُ الـــزواجُ حـــالي اكتئابـــاً ... وانفعـــالاتٍ مـــا لهـــا مِـــن خَمـــد

بينمـــا بالصـــبر العـــذاباتُ تخبـــو ... ثـــم فـــي يـــوم الحشـــر جنـــاتُ خلـــد

قِصَّـــتي فيهـــا الصـــبرُ سَـــمتٌ وهَـــديٌ ... صُـــغتُها بالأشـــعار بعـــد الســـرد

ولربـــي الـــرحمن أكبـــرُ فضـــل ... ولـــه شُـــكري بعـــد ذِكـــري وحمـــدي!

دمعة على الزنداني!

(استحق أستاذنا عبد المجيد الزنداني دمعة تأبين ، حيث رحل عنا يوم 22 من أبريل لعام 2024م ، وكنت أتوقع كذب الخبر ككل مرة! ذلك أننا اعتدنا أن نسمع بموت الزنداني من ثلاثة عقود أو يزيد! ولكن للأسف هذه المرة توثقَ الخبر! فرحمَ اللهُ الشيخَ الزنداني! فمن هو الزنداني؟ وماذا استفدنا منه عبر مسيرةٍ علميةٍ امتدت أربعة قرون ، ونحن نطالع له موضوعاً تفرد به: (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم)؟! ولد الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني سنة 1942م ، في قرية الظهبي بمديرية الشعر من محافظة إب ، إحدى محافظات الجمهورية اليمنية ، ولكن أصله من منطقة "زندان" في مديرية أرحب بمحافظة صنعاء. تلقى تعليمه الأولي في الكتّاب بمسقط رأسه ، والتحق بالدراسة النظامية في عدن ، ثم انتقل إلى مصر للدراسة الجامعية ، فالتحق بكلية الصيدلة ودرس فيها سنتين ، ثم تركها بسبب اهتمامه بالعلم الشرعي ، وأخذ يقرأ في علوم الشريعة ، وتسنى له الالتقاء بأكابر العلماء في الأزهر الشريف. انكب على الدراسة على علماء ومشايخ الأزهر الشريف قبل أن ينتقل إلى المملكة العربية السعودية ويلتقي كبار علمائها وأدبائها ، من أمثال الشيخ عبد العزيز بن باز ومحمد بن صالح العثيمين ، وحصل فيما بعد على شهادة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية في السودان. ووسّع مداركه من خلال المطالعة واستنطاق النصوص الشرعية ، ومحاولة فهمها في ضوء الحياة المعاصرة والاكتشافات العلمية ، مما فتح أمامه مجال الإعجاز العلمي في القرآن الذي شكل أحد أهم انشغالاته ومجال تميزه. وكان قد مارس التدريس أثناء وجوده في السعودية ، وتولى بعد عودته إلى اليمن وظائف ومسؤوليات مختلفة ، من بينها إدارة معهد النور العلمي ووظائف تدريس في بعض مؤسسات التعليم. ثم عاد الزنداني إلى صنعاء وتولى إدارة الشؤون العلمية في وزارة التربية والتعليم ، وساهم في تدريس عدد من المواد العلمية كمادة الأحياء ، ثم عيّن رئيساً لمكتب التوجيه والإرشاد عند إنشائه سنة 1975 م قبل أن يعين في وزارة المعارف. وشكل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية أحد الانشغالات الأهم للزنداني ، واعتبر على نطاق واسع أحد أبرز العلماء المعاصرين الذين حاولوا البرهنة على سبق القرآن في مجال الحديث عن الاكتشافات العلمية في مجالاتٍ كثيرةٍ كالطب ، وخلق الإنسان ، والجيولوجيا. وفي عام 2004م أعلن أنه اكتشف دواء لمرض فقدان المناعة المكتسب (الإيدز) ، وذلك عن طريق خلط مستخلصات من أعشاب قال إن لها تأثيراً على الفيروسات وعلى بعض الخلايا السرطانية. وأكد أن أبحاثه في هذا المجال استغرقت 15 عاماً ، رافضاً الكشف عن الوصفة خشية السطو عليها مما سماها "مافيات الأدوية". ثم أعلن عنها فيما بعد احتساباً للأجر عند الله تعالى! ونفع الله تعالى بها أناساً فشفاهم! ولم ينفع بها آخرين فلم يشفهم! ومن هنا كاد له العلمانيون الحاقدون ، فلم ينظروا للذين شفاهمُ الله بل نظروا لمن لم يشفهم ، فقالوا بفشل أعشاب الزنداني ووصفته ، وكذبوا! وساهم في تأسيس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في المملكة العربية السعودية وترأسها بعد ذلك ، ثم عاد إلى اليمن ، فأسس جامعة الإيمان للعلوم الشرعية ، بفروعها في صنعاء وعدن وحضرموت! وتواصلت مصنفاته وأبحاثه في علم الإيمان والإعجاز. والشيخ عبد المجيد الزنداني لا يجهله أحد في حِكمته وفي طريقته المثلى وعرضه الجيد للكتاب والسنة ، وقوته العلمية خاصة في الإعجاز العلمي ، ويُسْلم على يديه أساطين الكفر في فرنسا وأمريكا وبريطانيا ، أناس بلغوا

علم الذرة ، ويتكلمون في الأشعة وفي دقائق العلم ، ثم جلس معهم وقدم لهم الوثيقة الربانية (القرآن الكريم) الذي نزل قبل ألف وأربعمائة سنة ، فيدخلون في دين الله تعالى! وكان قد أثرى المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من المؤلفات ، كما أن له العديد من الأشرطة والمحاضرات التي فصَّل فيها مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. ومن أبرز كتبه: (تأصيل الإعجاز العلمي - علم الإيمان - طريق الإيمان - نحو الإيمان - التوحيد - البينة العلمية في القرآن الكريم)! يقول الأستاذ خالد برية ما نصه: (والزنداني فخرُ الرجال ، وشيخُ العلماء ، وصوتُ الضَّمير ، وخادم العلم ، ومربي الفضلاء ، وتاريخُ التَّاريخ ، وأحد صنَّاعِه الكبار ، أحد جبال اليمن الكبير ، يعرفُ قيمته الرجال ، وتعرفه العقول الوزانة في كلِّ مكان. لا يعني هذا أنه بلا أخطاء ؛ فهذا لا يقولهُ إلا بليد ، وإنما الرجلُ النبيل ، العامل ، الحامل لهمِّ الفكرة ينبغي أن يُحمَل علىٰ الأكتاف ولو كانَ مخالفًا ، فدفنُ فضل أهلِ الفضل والمكارم (من أي توجهٍ كان) ؛ نكرانٌ لا يليقُ بعاقلٍ نبيل ، ليكن الرجل منَّا من يكون ، ما دام مخلصًا لوطنه ، نافعًا للخلق ، باذلًا من عمره في سبيل فكرته. لا ينبغي أن يهال عليه تراب القطيعة ، والنسيان ؛ فلا يهضم حق الرجال إلا ناقص. ومن السفه أن تسيء إلىٰ رجلٍ عظيم المكارم ؛ إرضاء للسُّفهاء ، وبعض سقَطِ المتاع من الحاقدين أعداء العلم والنخب البائسة التي أطفأ الشيخ كل نور توهموه نورًا. ما تمنيتُ أن تُدوَّنَ سيرة ذاتية لرجلٍ يمني كما تمنيتُ لسيرة هذا الرجل ، لكنه لم يكتب شيئًا فيما أعلم ، وها هو الآن في لحظاتٍ حرجةٍ ، مخوفة ، يصارعُ الحياة ، كما صارعها مذ مضىٰ في طريقهِ إلىٰ الله تعالى. إياكم أن تدفنوا محاسن كباركم ، فكل فضيلةٍ تُدفن ، يحيا عليها وغدٌ يصعدُ علىٰ أنقاضِ الآخرين ، لنكن شرفاءَ حتىٰ في خصوماتنا ، وخلافنا ، لنعطِ كل ذي حقٍّ حقه ؛ لأننا سنكتشفُ في يومٍ ما أنَّ كل عظيم تربَّصَ به خصمه ، أغلقَ دونه باب التاريخ ، وطمسَ محامده ، لنبقىٰ في العراء بلا نموذج أو سيرة تستحقُّ أن تُروَىٰ في ليالي المجد الطويل).هـ. هذا ، وتوفي الشيخ عبد المجيد الزنداني يوم الاثنين 22 أبريل/نيسان 2024 م ، في أحد مستشفيات إسطنبول ، عن سن ناهز 82 عاماً. ونعاه نجله محمد بن عبد المجيد الزنداني وعلماء وهيئاتٍ إسلاميةٍ عديدةٍ من بينها الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وهيئة علماء اليمن وهيئة علماء فلسطين وهيئة علماء المسلمين في العراق. العلم هو الترياق المضاد للتسمم بالجهل والخرافات. والعلم عبارة عن طريقة للتفكير أكثر من كونه قالباً جامداً للمعرفة. وأول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل ، والخامس نشره. يضيع العلم بين اثنين. الحياء والكبر. والناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب! وذلك لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين ، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه. وإذا لم يمنع العلمُ صاحبه من الانحدار ، كان جهل ابن البادية علماً خيراً من علمه. ونحن لسنا محتاجين الى كثير من العلم ، بقدر ما نحن محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة. والنجاح لا يحتاجإالى كثير من العلم ، بقدر ما يحتاج إلى الحكمة. والهدف النهائي للحياة هو الفعل والعمل وليس العلم وحده ، فالعلم بلا عمل لا يساوي شيئاً. ونحن نتعلم لكي نعمل. والمهم في العلم ليس أن تحصل على حقائق جديدة ، بل أن تكتشف طرقاً جديدة للتفكير في هذه الحقائق. وإن القلب الخرب يجعل من العلم سلاحاً للفساد. (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم). فانظر إلى ضراوة العلم عندما يفقد الإخلاص لله والرفق بالعباد ، كيف يثير التفرقة ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل. والعلم بدون دين أعرج ، والدين بدون علم أعمى. ولو كان العلم من دون التقى شرفاً ، لكان أشرف خلق الله إبليس. ولا يصلح العلم إلا

بثلاث: تعهد ما تحفظ ، وتعلم ما تجهل ، ونشر ما تعلم. ومن مشكلات التعلم الشائعة في المجتمعات النامية الانفصام بين لغة العلم وبين لغة الحياة اليومية. والعلم هو الكتاب لا الذي يلقيه. وذو العلم حقيقٌ أن لا يَعدَمَ في كل خطب حيلة ، وإن ذا الجهل خليق أن لا يجد في أي خطب حيلة. وإن الجراءة هي علم الجاهل حين يكون له علم ، وجهل العالم حين يكون للعالم جهل. والزنداني ركز جُل اهتمامه على هذا المبدأ! والأمر كما يقولون: اصرف كل اهتمامك إلى العلم ، فإن الله لا يُعبَد إلا بالعلم. (فاعلم أنه لا إله إلا الله)! والعلم المادي أضاء لنا البيت ، ولكنه لم يضئ لنا عقولنا. إن العلم الحق لم يكن أبداً مناقضاً للدين ، بل إنه دال عليه مؤكد لمعناه. وإن كانت النوايا آثمة فواخوفي من علم ربي بالسرائر. إنه لا تعارض بين الدين والعلم ، لأن الدين في ذاته منتهى العلم المشتمل بالضرورة على جميع العلوم! وهذه الحقيقة هي التي عمل على ترسيخها الزنداني عقوداً من عمره! فلن تكون متدينا إلا بالعلم. فالله لا يعبد بالجهل. ومهما كان العلم مؤلماً ، فلن يكون أشد ألماً من الجهل. والاختبار والعلم يصقلان العبقرية ولكن لا يقومان مقامها. والمدينة العظمى هي التي يسود فيها العلم والحرية والإخاء والوفاء. والإنسان ينسج حياته على غير علم منه وفقاً لقوانين الجمال حتى في لحظات اليأس الأكثر قتامة طبعاً وفق الشرع. وإن العالِم ليطلب العلم من المهد إلى اللحد ويموت جاهلاً. وإن نشر العلم كفيلٌ بطرد الجهل كما يطرد النور الخفافيش. والهدف الدائم للعلم التجريبي هو الصدق وليس اليقين ، فليس هناك علم تجريبي يقيني ولن يكون. ومن عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح كما أثر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله. والأخلاق أولاً ثم العلم والكفاءة ، هذا هو مفتاح السعادة للأفراد والجماهير. والعلم أكبر من أن يحاط به ، فخذوا من كل شيء أحسنه. والجامعات في أمريكا وأوربا لا تبحث عن العلم من أجل العلم ، ولا تبحث عن المعرفة من أجل الارتقاء بمكانة الإنسان الاجتماعية وشبكة علاقاته بالمنشأ والحياة والمصير. وإنما هم هناك يبحثون عن المعرفة والعمل باعتبارهما عنصراً من عناصر القوة اللازمة للنجاح في الحياة بأسرها. وبعض الناس ينظرون إلى حال العلم والمعرفة كنظرهم إلى الذهب عند نساء دِيارهم ، فيبقيان مجرد حلية يباهي بهما الأفراد وحملة الشهادات بعضهم بعضاً في الداخل. والعلم وحده لا يكفي ما لم يتوج صاحبه بمكارم الاخلاق. أقبح أنواع النسيان ، نسيان المشهور تاريخه يوم كان مغموراً ، ونسيان التائب ماضيه يوم كان عاصياً ، ونسيان العالم أن الله وهبه الفهم والعلم وسيسأله عنهما ، ونسيان المظلوم آلام الظلم بعد أن يصبح منتصراً ، ونسيان الطالب الناجح فضل من كانوا سبباً في نجاحه ، ونسيان الداعية فضل الذين سبقوه أو ساروا معه ، ونسيان الفضل لكل ذي فضل مهما كان دقيقاً. ونصف العلم أخطر من الجهل. ومن هنا كان الحث على طلب العلم! والعليم اسمٌ من أسماء الله الحُسنى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ، وإذن فالله معلم أنبياءه ورسله ، وهو الذي يعلم ويعرف كُلَّ شيءٍ سرًّا وعلانيةً ، والعِلم في الاصطلاح هي مجموعة المعارف والخبرات والاستنتاجات التي يتوصّل إليها الإنسان ، ويُتقنها في مجالٍ ما من مجالات المعرفة ؛ فهناك عِلم الطّبيعة ، وعِلم الدِّين ، وعِلم الطِّب والهندسة ، وغيرها. وقد جاء في الأثر أنّ الأنبياء عليهم السّلام لا يورّثون ذهبًا ولا فضّةً ولا منصبًا وإنّما يورّثون العِلم لمن بعدهم ، والإسلام دِين العِلم والتّعليم ؛ فأوّل آيةٍ حملها جبريل عليه السّلام للنّبي صلى الله عليه وسلم: "اقرأ" ثُمّ تلتها قوله تعالى:"ن* والقلم وما يسطرون" فهاتان الآيتان عظّمتا شأن القراءة والكتابة ، وأقسم الله سبحانه بالقلم وهو أداة التّدوين والكتابة والحفظ ، وبالقراءة والكتابة تُكتسب العلوم المختلفة وتزدهر

الحضارات وينتشر العِلم بين النّاس. حُكم طلب العِلم العِلم بحسب الشّريعة الإسلامية ينقسم إلى قسمين اثنين هما: علوم الحياة والصّناعة والطِّب وغيرها من العلوم الدُّنيوية اللّازمة لحياة الإنسان ، وما يترتّب عليها من اختراعاتٍ وتصاميم ؛ فحُكم هذا النّوع من العِلم فرض كفايةٍ أي لو قام به البعض سقط عن البقية. والعِلم الشّرعي وينقسم إلى قسمين هما: علوم العقيدة وكُلُّ عِلم لا تصح العبادات إلا به كعِلم التَّوحيد ، وعلوم الإسلام والإيمان وأركانهما ؛ فحُكمه فرض عينٍ على كلّ مسّلمٍ أي يُلزم الكل بتعلُّمه. وعلوم الدِّين التي تبحث في التّفاصيل والمسائل الدَّقيقة كعِلم الفرائض - المواريث- ، وعِلم أصول الفقه والحديث والتّفسير ؛ فحُكمه فرض كفايةٍ إذا قام به بعض العلماء سقط عن الباقين. الحثّ على طلب العِلم يتّضح لنا ممّا سبق في أحكام طلب العِلم أنّها تتراوح ما بين فرض عين وفرض كفايةٍ ، أي أنّه لا بُد من طلب العِلم في الإسلام ، وقد حثّ ورغّب الإسلام في طلب العِلم والسّعي وراء الحِكمة والمعرفة ، فهي ضالّة المؤمن التي يبحث عنها. وقد طبق هذا شيخنا تطبيقاً! فرحم الله الشيخ الزنداني رحمة واسعة!)

بَكَـــى القـــريضُ بـــدمع ســـاجم حـــاني ... علـــى رَحيـــل رَفيـــع الشـــأن (زنـــداني)!

والتـــاعَ قلـــبٌ علـــى مَـــن كـــان عَلّمَنـــا ... رَبـــط العلـــوم زكَـــتْ بـــآي قـــرآن

(عبـــدَ المجيـــد) عليـــك العـــينُ ثاويـــة ... تُزجـــي الـــدموعَ لهـــا لطيـــفُ سُـــلوان

عَزيـــتُ فيـــك دِيـــاراً أصـــبحتْ مِزَقـــاً ... بـــين الفـــراعين مِـــن فـــرس ورُومـــان

عَزيـــتُ أمـــة حـــق هـــانَ سُـــؤدَدُها ... وأذهبـــتْ بأســـها أجنـــادُ عـــدوان

طلابُـــك اليـــوم مَـــن يقـــودُ جَحفلهـــم؟! ... ومَـــن يُناصِـــحُ فـــي سِـــر وإعـــلان؟!

ومَـــن يُفطـــنهم إلـــى شـــرافتهم؟! ... ومَـــن يقـــودُ إلـــى نصـــر وســـلطان؟!

ومَـــن يُبَصِّـــرُهم بالعائـــدات ســـبتْ ... عقـــولَ مَـــن رَكنـــوا عمـــداً لطغيـــان؟!

ومَـــن يَـــدُلُ علـــى عِـــز ومَكْرُمـــةٍ؟! ... أمَّـــن يُحَـــذرُ مِـــن غـــدر وخُـــذلان؟!

ومَـــن يُشـــاطِرُ فـــي الأحـــزان مَـــن غلبـــوا ... مِـــن بعـــد أنْ ســـقطوا فـــي ســـاح ميـــدان؟

عَزيـــتُ فيـــك بصـــنعا خيـــرَ جامعـــةٍ! ... وللفـــروع عَـــزاءٌ لاحـــقٌ ثـــاني!

أنشـــأتها ، فغـــدتْ بـــالعِلم عـــامرة ... وبعـــدُ ألبسْـــتها وشـــاحَ (إيمـــان)!

فـــي حضـــرموتٍ وفـــي صَـــنعا وفـــي عَـــدَن ... مـــأوى الأماجـــد مِـــن أبنـــاء (قحطـــان)!

غـــدا ســـيفنى جميـــع الخلـــق فـــي (يمَـــن) ... لكـــنْ صـــنيعُك هـــذا لـــيس بالفـــاني!

عَزيـــتُ فيـــك حِمـــى (الظهْبـــيِّ) فارقـــه ... ابـــنٌ مضـــى فقضـــى بـــدون حُســـبان

فـــي مَعقِـــل التـــرك فاضـــتْ رُوحُ عالِمِنـــا ... والجســـمُ وَدَّعهـــا بكـــل إذعـــان

عَزيـــتُ (زِنـــدانَ) لـــم ترقـــأ مـــدامعُها ... بـــل قـــرَّحَ الـــدمعُ فيهـــا بعـــضَ أجفـــان

ولـــو تـــرى (أرحبـــاً) تُبـــدي الحِـــدادَ صُـــوَىً ... وأظهـــرتْ للـــورى سَـــوادَ فســـتان!

(عبـــدَ المجيـــد) نفحـــت العِلـــمَ فـــي زمـــن ... فيـــه الحقـــائقُ قـــد نِيطـــتْ ببُهتـــان

فكـــم رَدَدْت علـــى قـــوم تخرُّصَـــهم! ... وكـــم دَحَضـــت لهـــم تضـــليلَ كفـــران!

وكـــم أبنـــت لمـــن ضـــلوا ضـــلالتهم ... مُـــدَعِّماً كـــل تبيـــين ببرهـــان!

وكـــم تعقبـــت مَـــن بالباطـــل انتفشـــوا ... واغتلـــت بـــاطلهم بكـــل إيقـــان!

وكـــم لقيـــت الأذى فـــي كـــل مصـــطدم ... ولـــم يُخِفـــك تحـــدي المجـــرم الجـــاني!

وكـــم تفـــردت بـــالعلوم مشـــرقة ... ومـــا أعاقـــك حقـــدُ الحاســـد الشـــاني!

وكـــم أسِـــرت ، فكـــان الأســـرُ تســـرية ... ولـــم يهُـــزك يومـــاً قيـــدُ سَـــجَّان!

وكـــم تحمَّلـــت فـــي ليـــل الفســـاد دُجـــىً ... فقلـــت: فجـــري ســـيُردي كـــل إدجـــان!

وكـــم تغربـــت عـــن أهـــل وعـــن وطـــن ... فمـــا بكيـــت علـــى فِـــراق أوطـــان!

وكـــم أبـــدت ظلامـــاً جـــابَ مـــؤتمراً! ... وكـــم خصصـــت الألـــى جـــاؤوا بفرقـــان!

ابـــنُ الثمـــانين لـــم تفتُـــر عزائمُـــه ... بـــل عـــاشَ ذا همـــةٍ عُليـــا وإثخـــان!

حتـــى إذا زاره الشـــيبُ اســـتكانَ لـــه ... فبـــات فـــي الشـــيب كالمســـتأثر العـــاني

وحـــل ضـــيفاً عليـــه الســـقمُ دون هـــوىً ... والســـقمُ طـــاشَ بألقـــاب وتِيجـــان

وأصـــبح الشـــيخُ جُثمانـــاً تُجَندلـــه ... أغيـــارُ كـــم وأدتْ شـــبابَ جُثمـــان!

لا بـــأسَ يـــا شـــيخنا ممـــا شـــقِيت بـــه ... فـــالأجرُ مـــدخرٌ بـــدون نقصـــان

ربـــاه فارحمْـــه والطـــفْ يـــا رَؤوفُ بـــه ... وجُـــد عليـــه بتثبيـــتٍ وغفـــران

وكـــنْ لـــه مُؤنِســـاً فـــي القبـــر مـــا طلعـــتْ ... شـــمسٌ ، ومـــا بَقيـــتْ رُوحٌ بإنســـان!

هل هؤلاء بشر؟!

(تحكي إحدي عاملات دار المسنين هذه القصة! قائلة: توفيتْ منذ شهر نزيلة بالدار اسمها الحاجة عائشة عن عمر يناهز الثانية والثمانون عاماً تقريباً! ولقد أتت إلي الدار منذ عشرين عاماً! وأنا أتذكر هذا اليوم جيداً! لقد أتي بها ابنها الدكتور ياسر! ولقد كان وجهها شاحباً وتكاد لا تتحدث إلا بإيماءاتٍ قليلة! وعندما تحدثت معها أخذت في البكاء الشديد! وقالت: لقد كنت أعمل بمهنة التدريس للغه الفرنسية ، وتعرفت علي زميل لي مدرس للغة الفرنسية أيضاً! وصارحني بإعجابه بي ورغبته في الزواج مني ووافقت علي الفور لأن أخلاقه طيبة وصفاته جيدة! ولقد تم الزواج والسنين مرت سريعاً! وأنجبت ثلاثة أبناء:- (ياسمين وعبير وياسر)! وكاد لا يمر علي زواجي عشرة سنوات ليتوفي زوجي إثر حادث ليترك لي مسؤولية ثلاثة أنباء مسؤولية كاملة! وأكملت رسالتي مع أبنائي ، ورفضت الزواج مرة أخري رفضاً قاطعاً ، مع كل الضغوطات من عائلتي لأن عمري وقتها كان لا يتعدي الخامسه والثلاثين! ولكن كرست كل حياتي لهم! وعملت بالمدرسة وبالدروس الخصوصية ليلاً ونهاراً ، لأكمل تعليمهم في مدارس انترناشونال! وليظهروا بمظهر جيداً أمام المحيطين بنا ، وكذلك أمام زملائهم بالمدرسة والنادي! وكان يومي مشغولاً جداً ما بين عملي ومذاكرة أولادي وتمارين النادي! ولكن مرتِ الأيام سريعاً! ليكبر أطفالي ويتخرجوا من كليات القمة كما يقولون! وسافرت ياسمين لاستكمال دراستها بإنجلترا وتعرفت علي زميل لها وتزوجت واستقرت بالغربة! وابنتي الثانية لقد تزوجتْ بأستاذها بالجامعة وجاءه عمل بدولة عربية وسافرت معه! أما ابني الدكتور ياسر فتزوج من طبيبة زميلته! وطلب مني أن يتزوج في منزلي ، ووافقت علي الفور ، وتم تجديد المنزل من كل شئ لأرى السعاده في عين ابني! وتزوج وإذا بزوجته تعاملني معاملة غريبة الشكل وكأنني خادمة لها! ولكن أمام ابني تتعامل معي وكأنها هي خادمة لي! ومرت الأيام ورزق الله عز وجل ابني بأطفال وضاق المنزل علينا! والظروف لا تسمح بتوفير منزل أوسع من هذا! وذلك لأن زوجته تصرف مبالغ طائلة علي ملابسها ومظهرها ، وكل عام تقوم بتغير نوع سيارتها للأحدث ، ولم يتبق إلا بعض المصاريف الشهرية! فاقترحتْ زوجته أن يذهب بي إلي دار للعجزة! وأنا لا أعلم شيئاً إلا أن في يوم من الأيام قال لي ابني: أمي أحضري حقيبتك ، فأنا أريد أن أذهب معك في نزهة! ولقد فرحت فرحاً شديداً فأنا منذ زمن لم أتنزه ، فقد كان يأخذ زوجته وأولاده إلي المصيف ، ويتركني وحيدة أتحدث مع جدران منزلي! فقلت له: إلي أين يا بني؟! قال: إلى البحر! وبالفعل وضعتُ كل ما هو جميل من ملابسي وأشيائي في حقيبتي! وفي الصباح ، قال ياسر: هيا أسرعي يا أمي! فقلت له: أنذهب أنا وأنت فقط؟! يا بني أحضر معنا زوجتك وأولادك! فقال لي: لا فالنزهة لك أنت وحدك! وبالفعل ركبنا السيارة! وبعد نصف ساعه توقف ياسر ، وقلت له مسرعة: أوصلنا بهذه السرعة؟! وقال بحدة: انزلي يا أمي ، وبعد بضعة دقائق أري أمامي لافتة مكتوب عليها دار العجزة! ولقد تسمرتُ مكاني ، وزادتْ ضربات قلبي ، وأنزلني رغماً عني وها هنا انا الآن أمامك يا سيدتي! وبذلك أنهت حديثها الحاجة عائشة! وخلال العشرين عاماً لم يأت أحد من أبنائها لزيارتها! إلا ياسمين فقد أتت مرتين أو ثلاثة بالكثير لرؤية والدتها! وقبل وفاة الحاجة عائشة ، اتصلنا بأبنائها وشرحنا لهم حالتها الصحية ورغبتها الملحة في رؤيتهم هم وأحفادها ، ولكن للأسف لم يأت أحد لزيارتها! إلا بعد وفاتها أتى الثلاثة أبناء معاً ، لاتخاذ إجراءات إعلان الوراثة! إنني

عندما قرأتُ هذه القصة تساءلت: هل هؤلاء بشر؟ هل في الدنيا أبناء وبنات كهؤلاء؟! والله العزيز قد تتورع البهائم والعجماوات والسوائم عن مثل هذا! وكم رأينا من عبر وعظاتٍ تدل على رحمة الحيوانات بالناس وبأنفسها! فهل يصبح بعض الأبناء والبنات اليوم في مرحلةٍ أخس وأحقر وأدنى من الحيوانات والبهائم؟ ولا يتساوون بالكلاب والقطط في معاملة والديهم؟)

العُـــرفُ يـــرفضُ مـــا تـــأتون والـــدينُ ... وكـــل مُتصِـــفٍ بـــالعَق مَلعـــونُ

وكيـــف ترجـــون مِـــن رب الســـما فرَجـــاً ... وكـــل سَـــعيكمُ بـــالظلم مَقـــرون؟!

وهـــذه الأم لـــم تُهمـــلْ رســـالتها ... بـــل جُهـــدُها بعـــد مـــوت الـــزوج ممنـــون!

تقـــدَّمَ الخـــاطبون الحـــبُّ يَســـبقهم ... وفـــي الضـــمائر بـــذلُ الـــودِّ مكنـــون

جميلـــة تأسِـــرُ العيـــونَ رؤيتُهـــا ... وعَفـــة ، ولهـــا الإعجـــابُ عربـــون

لكنمـــا طعنـــتْ جمـــالَ خِلقتهـــا ... فـــي كفهـــا بعـــد طعـــن الحُســـن ســـكين

وســـربلتْ حُســـنها بـــدون مرحمـــةٍ ... والحُســـنُ ممـــا أتـــتْ بـــالكرب مَرهـــون

وآثـــرتْ فـــي دجـــى البلـــوى أيومتهـــا ... كـــي لا تُهـــدِّدُها المعيشـــة الـــدون

لمّـــا تُـــردْ زوج أم لا يُعـــاملهم ... بكـــل عطـــفٍ ، فمـــا فـــي قلبـــه لـــين!

ضَـــحَّتْ ، ولـــم تنتظـــرْ مـــنهم مكافـــأة ... وقلبُهـــا بســـهام العـــيش مطعـــون

واستســـلمتْ لعـــذاباتٍ يَضـــيقُ بهـــا ... أقـــوى الرجـــال ، ويَخشـــاها الـــدهاقِين

وواصـــلتْ يومَهـــا والليـــلَ كادحـــة ... حتـــى يكـــون لهـــم فـــي العـــيش تـــأمين

وعلمـــتْهم ورَبَّـــتْهم ، فـــدامَ لهـــا ... بـــين الخلائـــق تكـــريمٌ وتمكـــين

حتـــى إذا كبـــروا زاغـــتْ بصـــائرُهم ... وكـــان مـــنهم لهـــذي الأم تخـــوين

وأوقـــدوا فتنـــة العقـــوق ســـاعرة ... ولـــم تعُـــدْ قِـــيمٌ ولا مَـــوازين!

حتـــى البُنيـــات مـــا فـــيهن مَرحمـــة ... كأنمـــا اســـتهوتِ الغِيـــدَ الشـــياطين

كـــلٌ تزوجـــتِ الـــزوجَ الـــذي رَغِبـــت ... وعـــيشُ كـــل مِـــن التشـــتيت مَصـــوون

وســـافرتْ لـــبلاد الغـــرب واحـــدة ... واســـتقبلتْ أختهـــا فـــي الغربـــة الصـــين

وقـــال الابـــنُ لهـــا: عيشـــي مُكرَّمـــة ... وحـــب زوجـــي لأمـــي اليـــوم مضـــمون

والأم مـــا عارضـــتْ سُـــكناه شـــقتها ... وأقلمَـــت نفسَـــها ، وســـاد تـــوطين!

وبعـــد حـــين بـــدَتْ جهـــراً حقيقتُهـــا ... إذ قلبُهـــا بســـعير الكيـــد مَشـــحون

إمـــا أتـــى زوجهـــا تكـــون طيعـــة ... وقولهـــا بشـــذى الرمـــان مَـــدهون!

وإن يَغِـــبْ تُظهـــر الرعنـــاءُ قســـوتها ... فالفعـــلُ مرتـــذلٌ ، والقـــولُ مِنتـــين!

وذات يـــوم أتـــتْ بشـــرح مُقتـــرح ... يفـــوحُ مِـــن هولـــه ظلـــمٌ وتـــأفين

قالـــت وبـــئس الـــذي قالتْـــه آثمـــة: ... البيـــتُ ضـــاق ، وتُخزينـــا البـــراهين

(دارُ المســـنين) أولـــى بـــالتي طعنـــتْ! ... وفـــي قـــرارك يـــا زوجَـــاهُ تفطـــين!

فـــأودِعَ الأم كـــي ترتـــاحَ زوجتـــه ... فـــي (الـــدار) رفقتُهـــا فيهـــا المســـاكين

والكـــل قاطعَهـــا ، والـــرأي مُتحـــدٌ ... وضـــاعَ جُهـــدٌ ، وأذرتْـــه الطـــواحين!

وجاءَهـــا المـــوتُ ، فاشـــتاقت لهـــم وغـــدتْ ... فـــي التـــو تطلـــبُهم ، والنشـــدُ مـــوزون

فمـــا أتـــى أحـــدٌ حتـــى يُودِّعَهـــا ... إذ كـــل فـــردٍ بمـــا لديـــه مفتـــون!

وماتـــتِ الأم ، والأبنـــاءُ مـــا حضـــروا ... ولـــم يكـــن مـــنهمُ لـــلأم تـــأبين!

والقـــائمون علـــى الـــدار اســـتبد بهـــم ... شـــكٌ تُغلـــفُ فحـــواه الأظـــانين!

هـــل هـــؤلاء بمـــا قـــد أحـــدثوا بشـــرٌ؟! ... واللهِ موعـــدُهم فـــي العِيشـــة الهُـــون!

جـــاؤوا لتقســـيم ميـــراثِ التـــي رحلـــتْ ... وكـــل فـــردٍ بـــإرث الأم ميمـــون

لا بـــد تلحقهـــم لعـــائنٌ وجبـــتْ ... أمـــا الجُســـومُ ستُضـــنيها الطـــواعين!

ربَّ الأنـــام انتصـــرْ مِـــن كـــل مُجتـــرم ... وأمـــرُك الأمـــرُ (كـــافٌ) بعـــدَه (نـــون)!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (قصائد لها قصص مؤثرة 13)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	السم غير القاتل!	الكامل	الأخطارِ	7
2	الشعر لا يقتات به!	الكامل	حَدَّ كَفافِ	10
3	المعروف لا يضيع!	المتقارب	المُربحة	16
4	الوريثُ الوحيد!	البسيط	صادق الوعد	19
5	الطبل والتطبيل!	الكامل	المَخبولا	22
6	العشق المهلك! (محاكاة للعبيدي)	الكامل	الاستسلامُ	26
7	اليتمُ دَربُ الغِنى!	الرمل	ألوان العَنا	29
8	أمنياتٌ فات أوانها!	الخفيف	واستجارتْ	32
9	أمنية كافور الإخشيدي!	الكامل	كافورُ	34
10	أول القصيدة كُفر!	البسيط	رزقا	39
11	بأولادي ارتقيت!	الرمل	مشفِقُ	42
12	بائعة الخبز التونسية!	البسيط	مَنح (أوسكارِ)	45
13	بطرس البستاني أبو القواميس المعاصرة!	الكامل	سادن الأشجانِ	49
14	بقدر احترامي كان احتقاري!	المتقارب	أشقى النسا	54
15	بنت الصعيد منى بكر!	الكامل	يُعربُ	57
16	تأبين سعيد عبد العظيم!	الكامل	نُوَاحِ	61
17	تبادلُ الزوجات!	الكامل	وتَشرَقُ	65
18	جمع بينهما القرآن!	الكامل	الإيمانِ	82
19	حربٌ تُخَضبها الدماء! (محاكاة لأحمد عبد الحي)	الكامل	تُشرقُ	86
20	حنانيك يا عبد الحي! (محاكاة لأحمد عبد الحي)	الكامل	فؤادي	88
21	حياتُهم ثمنُ حقهم!	منهوك الرجز	جاء الأثرْ	90
22	خياران أحلاهما مُر!	الخفيف	عِندي	92
23	دمعة على الزنداني!	البسيط	زنداني	94
24	هل هؤلاء بشر؟!	البسيط	مَلعونُ	99

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (قصائد لها قصص مؤثرة 13)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله! وأما الدواوين والقصائد والمجموعات والكتب:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نِهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيزُ النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سُويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأملُ الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذلُ الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموعُ التصبر: (ديوان شعر).
12 – عِتابٌ وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوهُ ، ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مِسبحتي وتَغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عَزة الخير: (ديوان شعر).
17 – مَنارُ الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ مِن قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلامُ الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجَمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعرُ رَحِمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وَداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
27 – يا شعرُ كُنْ لي شاهداً! (ديوان شعر).
28 ـ اللهمّ تقبَّلْ مِني شِعـــري! (ديوان شعر).
29 ـ اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم! (ديوان شعر).
30 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المُخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ مشاركاتي على الفيس بك والواتس آب! (لغوية وأدبية وشعرية ونحوية).
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)
7 – مائة ألف معلومة ومعلومة! (معلومات قيمة في مختلف فروع العلوم على هيئة سؤال وجواب!)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء! (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار!
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف! (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو! (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية! (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية! (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صَديقاً وصِهراً!
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً!
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي! (النص الوحيد من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى! (مدح الله تعالى)
21 – الآن طاب الموت! (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة!
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء!
24 – فاعفوا واصفحوا!
25 – أبجديات شعرية!
26 – الشعر رَحِمٌ بين أهله!
27 – الله يرحمُ مُزنة!
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف!
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لِحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم! (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم المَيّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – عزائي وتأبيني للشيخ الصابوني – رحمه الله تعالى -!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به مُحَللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلمَ وفهِ التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب! (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب! (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي! (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث! (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد) (معارضة لشوقي)
55 – رسالة إلى دائنة! (ابنة السويدي)
56 – رضيعة الحاوية! (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع! (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رُفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –!
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سُمية بنت خياط – رضي الله عنها –!
61 – سنسافر أنا والكتب! (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها! (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طِبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طِبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة! (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين! (كفلهما شقيقهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس! (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل!
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن! (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – الكائنات الفضائية!
74 – لصوص القريض!
75 – لقاؤنا في المحكمة!
76 - لوعة الرحيل!
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً! (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى! (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء!
81 – منار الخير! (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها! (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية! (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – كن كما أنت! (انتصارية للشيخ الصابوني رحمه الله)
86 - تلميذي البار شكراً!
87 - القصيدة الزينبية! (محاكاة لزينبية ابن عبد القدوس) 2
88 - شمس العرب تسطع على الغرب!
89 - تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
90 - الخلق والعلم معاً! - الأستاذ محمد الكيلاني!
91 - الشعر حَنينٌ ورنينٌ وأنين!
92 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
93 - المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة!)
94 - زواجٌ بالإكراه!
95 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
96 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
97 - محاكاة لامية ابن الوردي!
98 - امرأة تزوجتْ رجلين!
99 - أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
100 – مروءة ولى زمانها!
101 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
102 – زلزال تركيا المدمر!
103 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزائري القبور)
104 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
105 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميتٍ وقبره!)
106 – دمه وماله وعِرضه! (الصهر الكذاب)
107 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
108 – رمضان أشرقْ!
109 – يا شعرُ كن ليَ شاهداً!
110 – المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)
111 - القطة وإمام المسجد! – وليد مهساس
112 – مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
113 - حللت أهلاً ونزلت سَهلاً يا عيد الفطر!
114 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
115 – المقابر تتكلم 7 (المبالغة في البناء)
116 – شبعة من بعد جوعة! (رسالة إلى أسرةٍ وضيعة)
117 – فإذا أمن بعضكم بعضاً! (رسالة إلى متكسِّب بالقرآن!)
118 – عَظم الله أجرك في الكتب! (رسالة إلى سارق الكتب)
119 – لا تقولوا: ضحِية زوجته!
120 – غادة الأزهر! (حبيبة السيد مصطفى خليفة)
121 – منتقبة لا مُنقبة!

122 – نقابي حِشمتي!
123 – منتقبة لها دَورُها!
124 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان
125 - أخرْتُ عمّنْ هان رَدَّ سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
126 – لا يُؤت الإسلام من قبلك يا ذات النقاب!
127 – النقابُ ثلاثة أنواع!
128 - دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!
129 – ليتني أطعتُ صِحابي!
130 - غِريد القرآن عبد الباسط عبد الصمد!
131 - منتقبة ذات علم وخلق!
132 – الأعمال بالخواتيم 2 (العروس الصادقة)
133 – الأعمال بالخواتيم 3 (يوم عرسها ماتت!)
134 – المنتقبة الصغيرة!
135 – تدل على الرجال مواقفهم! (محمود هلال)
136 – وليس العُري كالستر!
137- إعصار ليبيا المُدَمر (دنيال)
138 - المنتقبة والعصفور!
139 - عروسة المولد!
140 - ما ذنب النقاب يا قوم؟!
141- العدل بين الزوجات أولى!
142 - الأعمال بالخواتيم 3 - عروسٌ تموت وهي ترقص!
143 - المنتقبة الفارسة!
144 - ممارسات تُزري بالمنتقبة!
145 - قصة المنتقبة مع قطتها!
146– ذات النقاب والفارس!
147 – منتقبتان في الحديقة!
148 – المنتقبتان الضرّتان!
149 - المنتقبة والبحر!
150 - المنتقبة والقطة المبتلاة!
151 - المنتقبة واليتيمتان!
152 - دعاء مغترب!
153 - لباقة منتقبة!
154 - نسيم الشعر على عطية صقر!
155 - وداعا صديقي محسن مأمون رسلان!
156 - عندما يتبرج النقاب!
157 – هدية امرأة منتقبة!
158 - منتقبات في حلقة التحفيظ!
159 - منتقبة تتزود للآخرة!
160 - من فات قديمه تاه!
161 - أبتاه عُذراً!
162 – نقاب غطته الدماء! (رزان)
163 – النقاب للستر ، لا للنشر!

164 – أطفال تحت الأنقاض!
165 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
166 – القارئ المرتل ظافر التائب!
167 – نجومٌ في ظلمات حياتنا!
168 – إحدى الحسنيين!
169 – أرسلوا النعوش والأكفان!
170 – الحجاب ليس حِكراً على النساء!
171 – السمط الثمين في حكمة ابن عُثيمين!
172 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
173 – الوقت كالسيل لا كالسيف!
174 – النفس وظلمات التيه!
175 – جرح المتهم البرئ!
176 – رسالة إلى الشاعر (الفولي عصران)!
177 - البدوية المنتقبة!
178 - الجوهرة تُحفظ لا تُعرض!
179 - النصر حفيد الصبر!
180 - إلى خنساوات أرض الرباط!
181 - بريءٌ دَهته المنايا!
182 - فيم الصمتُ عن أرض الرباط؟
183 - القمرُ المنتقبُ الصغير!
184 – المقابرُ تتكلم 8 (بدع الجنائز والمقابر)
185 - الأزهري الصغير معاذ!
186 - المُنتقبات الخمس الصديقات!
187 - النقاب تشريع لا تقليد!
188 - منتقبة تشتكي إلى الله! (نانا)
189 – عهد المنتقبات!
190- رجل جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد)
191 – تحية لمصانع الأزياء الإسلامية!
192 - لك حُبي واحترامي!
193 - لا وقت للدُمَى ، يا بُنَي!
194 - حكاية الجرسونة (روزا)!
195 – سنرحلُ ويبقى الأثر! (المَشالي & عَطية)
196 – لماذا تبكي النّساء؟!
197 – هرقل والمُلك الزائل!
198 – هل في القزع جمال؟!
199 – في مكتب مدير المدرسة (1)!
200 – في مكتب مدير المدرسة (2)!
201 - إلى أين يا عدوة نفسها؟
202 – أختٌ من الأب!
203 – مالكُ بنُ دينار وابنته!
204 – تذكَرْ يوسف وموسى!
205 – التجمّل الباطل في وسائل التواصل!

206 – حَميد الله الهندي!
207 – البذاذة من الإيمان!
208 – مُحْيي الدين عبد الحميد!
209 – كلابٌها أصدق من أهلها!
210- رسالة منتقبة حكيمة!
211 – عليهِ العِوَض ، ومنهُ العِوَض!
212 – هل مات العريس؟!
213 – الله الله في شعر أبيكم!
214 – هل أصبحتُ وباءً؟!
215 – من المحنة تأتي المنحة!
216 – الخمسة أولادي!
217 – رجلٌ جمعَ القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد!)
218 – ياسمين والرحيل إلى الله!
219 - سامحوني أيها الأبناء!
220 – هل في القزْع جمال؟
221 – كذبتني ، فهل صَدَقتَ؟!
222 – امرأة بألف رجل!
223 – الواعظة الصغيرة!
224 - زوجات مبتكرات!
225 - اللهم تقبل مني شعري!
226 - الكلاب في شعر أحمد سليمان!
227 – قالت رحابُ ، وقلتُ! (محاكاة لرحاب المحمود) - 1
228 – خياران أحلاهما مُر!
229 – كم أعطوك؟!
230 – الخديعة الكُبرى!
231 – نحن جاهزون للطلاق!
232 – الوريث الوحيد!
233 – فاعدل بينهم!
234 – سأعَلمها وأربِّيها!
235 – الأعمى البصير!
236 – ذهب النشوز بالحب!
237 - الأخت الكُبرى الضحية!
238 – أخبره أني أخته!
239 – اذكر دراجتك وقفاصتها!
239 – ضحايا الروتين اليومي!
240 – شتان بين اللجنتين!
245 - الجهل سلاح المرتزقة!
246 – شكرٌ أتى متأخراً!
247 – لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً!
248 – لماذا خذلتني يا أبتاه؟!
249 – عُقبى حُب الظهور!
250 - صلاة التراويح الظافرية!
251 - تبادل الزوجات!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات!
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال!
4 – أمتي الغائبة الحاضرة!
5 – أنات محموم وآهات مكلوم!
6 – أوبريت هيا إلى العمل! (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية ، والرد عليها!
8 – رمضان شهر الخير والبركة!
9 – عندما لا نجد إلا الصمت!
10 – يا أماه ويا أختاه كُفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء!
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء! (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان!
15 – رسائل سليمانية شعرية!
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة!
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضِدَّان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة! (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمِرُ العِتاب!
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائدُ لها قِصصٌ مُؤثرة! (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره!
24 – مساجلات سليمانية عشماوية!
25 – مُراودة ومُعاندة! (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –!
27 – الزاهية تُحدثنا عن نفسها! (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العِلل والداءات!
30 – الصعيد مهد المجد والسعد!
31 – الضاد بين عدو وصديق!
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى!
33 – الغربة دُربة على الطريق!
34 – الغيرة غير القاتلة!
35 - القصيدة ابنتي!
36 – اللغة العربية وصراع اللغات!
37 – اللقيط برئٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل!
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة! (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال!
41 – الوحدة بر الأمان! (مسرحية من فصل واحد)

42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم!
43 – أمومة وأمومة!
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر!
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا أوباش؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير! (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة! (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية!
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب!
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة!
63 – من أناشيد الأفراح!
64 – نحويات شعرية!
65 – نساء صَقلتهن العقيدة!
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان!
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر!
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان

84 – بر الوالدين في شعر أحمد سليمان!
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري!
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة!
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المُرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون!
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (3&2&1)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - يا جارة الوادي اليمنية! (1 & 2) (معارضة لشوقي)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق!
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد!
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
121 – قصائد يوتيوبية سليمانية (1) & (2)
122 - مشاركاتي على الواتس آب والفيس بك!
123 - مجلس التهاني في قناة المجد الفضائية!
124 - رحلتي مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد!
125 – النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان!

126 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
127 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
128 - الأريج في شعر أحمد علي سليمان!
129 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
130 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
131 - القلم في شعر أحمد علي سليمان!
132 – حسابي مع الأوباش!
133 - ضرب الزوجات!
134 - نصيب أسرتي من شعري!

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرّجة

(الحب بين المشروعية والضلال) كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

سابعاً: الكتب الإنجليزية

1 . Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet – Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature, Mansoura University – Egypt, May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum

	6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic. 13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7, 8, 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire! 23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye, My Poetry! 27– Oh, My Poetry, Be my Witness! 28 – Oh, Allah, Reward my Poetry! 29 – Allah, Allah, in your father's Poetry! 30 – The Life-Style of Ahmad Ali Solaiman
Other Literary Books	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life